دولـة لـيبيـا

وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلـمي

الجـامعـة الأسمـريـة الإسـلاميـة، إدارة الـدراسـات العليـا والتدريب والمعيدين

كليـة اللغـة العربيـة والدراسـات الإسلاميـة

قسم اللغة العربية ـ شعبة/ الأدب والنقد

صـورة الطفـولة فـي الـسّيـرة الـذّاتيّة فـي الأدب الليبي الحديث

بحـث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصـول على الإجازة العـالية " المـاجستير " في الأدب والنقد

إعـداد الطـالبة :

إلـهـــام عطيـــة قنيــص

إشراف الدكتور :

المهــدي إبــراهيم الغويـــل

العام الجامعي 2017 م ـ 2018 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

(و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب)

صدق الله العظيم

سورة : هود ، الأية :88

الإهـــداء

ـ إلى العلماء الذين فتحوا الأبواب المغلقة والحصون الخفية في عوالم المعرفة.

ـ إلى التي غمرت فصول عمري بربيعها المشرق فكانت حباً متدفقاً في ثنايا القلب

أمي الحبيبة...

ـ إلى بؤرة النور التي عبرت به نحو الأمل والأماني الجميلة واتسع قلبه ليحمل حلمي حين ضاقت الدنيا فروّض الصعاب لأجلي

والدي الحبيب...

ـ إلى الذي عاش معي هذه الرحلة لذةً ومعاناة فكان المحفز الإيجابي للسير والمواصلة رغم كل العقبات

زوجي العزيز...

ـ إلى صورة الطفولة المفعمة بالصفاء في سيرة حياتي

أبنائي: محمد و المقداد...

ـ إلى إخوتي وصديقاتي الذين رفعوا عنّي ستار الملل وبعثوا في نفسي روح الأمل...

إليهم جميعاً أهدي عصارة ذهني وثمرة جهدي المتواضع عرفاناً وإخلاصاً.

الباحثة...

الشكر والتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور (المهدي إبراهيم الغويل) الذي أمدني بالعون والمساعدة والاهتمام بإشرافه على هذه الدراسة، وتحمل معي ما تعرضت له من ظروف طيلة فترة الدراسة، فله كل الشكر وجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الموصول إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة دراستي وإثراء البحث من فيض علمهم الغزير.

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور (حسن الأشلم) الذي كان له الدور الفاعل في تدليل بعض الإشكالات الخاصة بالموضوع، فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

وأتقدم بالشكر إلى إدارة وأعضاء هيئة التدريس ومسؤولي المكتبات وإلى هذا الصرح العلمي الشامخ (الجامعة الأسمرية الإسلامية).

فجزاهم الله كل خير.

الباحثة...

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على من أوتِيَ جوامع الكلِم، وعلى صحابته الأبرار مصابيح الهدى وعلى آله الأطهار نجوم المعرفة وأولي الحكمة والنهى.

وبعد...

فيُعد درس الطفولة في السيرة الذاتية من الموضوعات المهمة التي لم تلق الاهتمام الكافي من قبل النقاد والدارسين الليبيين، ولم نعثر ـ فيما تمكنّا من الاطلاع عليه ـ على دراسة جادة تتعلق بصورة الطفولة في الأدب الليبي عامة، أو في السيرة الذاتية الليبية خاصة، وإن وجدت بعض الدراسات فإنها في الأدب العربي أو في الدراسات الغربية، مثل (في طفولتي دراسة في السيرة الذاتية العربية، لتيتز رووكي) ترجمة طلعت الشايب، و(الرجوع إلى الطفولة، لليلى بوزيد).

والكثير من الدراسات العربية التي تناولت أدب الطفل ركزت على جنس الرواية والشعر دون السيرة الذاتية، مثل (صورة الطفل في الرواية المصرية، لمنير فوزي) و (صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، لسليمة عكروش)، ومحاولة الكتابة عن هذه المرحلة ونقدها ودراستها يعد تعبيراً عن حالة الفقد التي كان يعيشها الكاتب، والكتابة عن الطفولة في مرحلة سنية متقدمة هي محاولة لاستعادة ما ضاع، ولا يمكن استعادة الطفولة؛ لأن كل ما يستطيع الكاتب أن يفعله هو تقديم صورة خيالية عنها، وتكون هذه الصورة بديلاً يقدم عوامل ليست حقيقية في أغلبها، فالطفولة أوطان متخيلة، والاهتمام بالطفولة من علامات التعبير الأدبي، من هنا كان اختيار دراسة صورة الطفولة في السيرة الذاتية الليبية المعاصرة، ومحاولة الكشف عن كيفية تجسيد الكتّاب للطفولة في نتاجهم السَّيرذاتي، زد على ذلك حبي لدراسة هذه المرحلة

كان دافعاً قوياً وراء اختياري لهذا البحث الذي يسعى للإجابة على جملة من التساؤلات منها:

ـ هل اهتم الأدب الليبي بموضوع الطفولة ودراستها؟

ـ هل استطاع الكتاب الليبيون إبراز طفولتهم من خلال ما وجد في سيرهم الذاتية؟

ـ كيف جسد الكتاب الليبيون صورة الطفولة من خلال السيرة الذاتية المعاصرة؟ وهل اختلفت الصور باختلاف الأعمال؟

وقد تم توظيف آليات السرد في إظهار جانب الطفولة في السرد السيرذاتي من خلال استخدام مصطلحات السرد الحديثة وخصائص السرد الذاتي وسمات أدب الطفولة وكيفية توظيفها.

واختيارنا للأعمال السيرذاتية ـ موضوع البحث ـ لم يكن عشوائياً بل إن البحث هو الذي فرض ذلك، فقد تم اختيار مجموعة من الكتاب مختلفي البيئات الاجتماعية، (فالقويري) نشأ في بيئة الغربة في مجتمع مصري، (وأحمد نصر) تربى في البيت المصراتي، (وأمين مازن) كاتب الجنوب ولد ونشأ في هون في بيئة صحراوية، و(كامل حسن المقهور) ابن طرابلس نشأ على الساحل ووسط المدن.

وطبيعة البحث اقتضت الاستناد إلى أكثر من منهج؛ لأن الاعتماد على منهج واحد لا يكفي للإحاطة بتفاصيل الموضوع، فقد اتبعت المنهج التاريخي، والمنهج البنيوي الوصفي، كل في مكانه وحسب الحاجة إليه.

وقد جاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل التمهيدي فقد خُصّص لدراسة مفهوم السيرة الذاتية وأنواعها، والسيرة الذاتية في الأدب الغربي والأدب العربي، والسيرة الذاتية في الأدب الليبي الحديث.

ثم خُصّص الفصل الأول لدراسة صورة المكان في مرحلة الطفولة، وقد تضمن مبحثين:

الأول: نظري لدراسة المكان، والثاني: صورة المكان في البنية السردية.

وفي الفصل الثاني تتبعت صورة الزمن السردي في مرحلة الطفولة، وقد تضمن الفصل مدخلاً نظرياً لدراسة الزمن ومعالجة تطبيقية لفكرة الزمن من خلال تناولها لدى الكتاب، وسيكولوجية الزمن.

أما الفصل الثالث فقد خُصّص لدراسة صور الشخصيات السردية في مرحلة الطفولة، وتضمن الفصل ثلاثة مباحث، الأول: نظري لدراسة الشخصية، والثاني: حصر شخصيات الطفولة وتصنيفها، وأما الثالث: فحوى البعد التكويني للشخصيات في الطفولة.

وقد اعتُمد في ذلك على مجموعة من المصادر تمثلت في كتاب (في طفولتي، لتيتز رووكي) و (جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، حسن الأشلم) و (القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، دراسة في المضمون والرؤيا والأيدلوجية، أحمد محمد محمد الشيلابي).

ومن الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث قلة المراجع المتخصصة في الأدب الليبي، وبخاصة السيرة الذاتية ونقدها، فلا يوجد مراجع كافية تدرس هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي ونقده، وقلة الدراسات النقدية التي تعالج السيرة الذاتية، أما الطفولة فهي أقل ندرة من السيرة، فلا توجد دراسات حول نقد هذه المرحلة من العمر إلا ما ندر.

وأخيراً، فمن الواجب تقديم الشكر لمن هو أهله، إلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث، سواء بإعارة المراجع، أو بمناقشتي في إحدى نقاط الموضوع، وأخص

بالشكر الدكتور المشرف (المهدي الغويل) على ما أولانيه من توجيه ونصح طوال فترة البحث.

وبعد فهذا البحث يعد مساهمة في هذا المجال، قد يحفز إلى التوسيع وإلى المتابعة في هذا المجال، فإن يكن له حظ من التوفيق فبفضل الله عز وجل، وإن تكن الأخرى فتلك سمة أوليات أعمال البشر، وأسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول (تمهيدي)

نشـأة السّيـرة الذّاتيـة في الأدبين الغـربي والعـربي

ـ مدخل.

ـ المبحث الأول: مفهوم السيرة الذاتية وأنواعها.

ـ المبحث الثاني: تاريخ السيرة الذاتية في الأدب.

ـ المبحث الثالث: السّيرة الذاتية في الأدب الليبي.

المبحث الأول

مفهـــوم السّيـــرة الـــذاتيـــة وأنـــواعـــهـــا

المطلب الأول: مفهوم السيرة الذاتية.

المطلب الثاني: مشابهات السيرة الذاتية.

المطلب الثالث: نقاط الالتقاء والتناقض.

المطلب الأول: مفهوم السّيرة الذاتية:

ظهرت عدّة تعريفات للسيرة الذاتية في الآداب الغربيّة خاصة، ومن ثمّ تبعها النّقاد العرب فدرسوا هذا الجنس الأدبي واعتبروه جنساً مستقلاً بذاته، وبدراسة مفهوم السيرة الذاتية عند النقاد نلاحظ أن هناك أوجه اتفاق بين بعض التعريفات، وهناك تباين يعتري البعض الآخر، لكنها تلتقي جميعاً حول تعريف واضح ومحدد، وهو:

اعتبارها جنساً مستقلاً بذاته يعبّر عن تجربة ذاتية أو تسجيل رواية ما عاشها شخص ما، أو قصّ تاريخ فرد ما، أو حكي استعدادي نثري؛ إذاً هي عبارة عن تسجيل كتابي لحياة شخصٍ ما من بدايتها إلى يوم كتابتها. فالمتفق عليه إذاً أنها سيرة لحياة شخصٍ ما، وقد اختلفت الآراء وتباينت في تحديد هوية هذا السرد، فمن النقّاد من عرّفها بقصّ لحياة شخص ما، ومنهم من عمّمها فقال: نوع أدبي يعبّر عن الأدب الشخصي، فلم يحدد ماهية هذا النوع الأدبي، وقد اتفق على أن هذا النوع الأدبي سواء كان قصّاً أو رواية أو سيرة هو نثر لا شعر، إذاً فالسيرة الذاتية هي نثرية، وقد تباينت آراء النقاد في مسألة زمن القصة أيضاً، فمنهم من اشترط مراعاة التّسلسل الزمني لرواية الأحداث أو تسجيلها ـ سرد لحياة شخص ما مع مراعاة التسلسل الزمني ـ ومنهم من لم يشترط التّسلسل الزّمني إنما اشترط مقدرة الكاتب على توصيل تجربته، أي لم يُعِر التسلسل الزمني الأهمية الكبرى، بل جعل الأهمية منحصرة في الصدق فيما يسجّله، وكذلك الإحساس الدّقيق والعاطفة، أي أن جلّ الاهتمام توجّه إلى سمات الكاتب للسيرة متناسياً ـ أي النّاقد ـ مسألة السرد الزمني لها، ومنهم من اشترط في كاتب السيرة الذاتية سمات النّضج الفنّي فلابد أن يكتبها.

لقد تعددت التعريفات و تباينت حول مصطلح السيرة الذاتية، فنجد الكاتب و المنظر لفن السيرة الذاتية (فليب لوجون)، يضع حدا للسيرة الذاتية حيث يقول إنها " حكي

استعادي نثري يقوم بيه شخص واقعي، عن وجوده الخاص و دلك عندما يركز على حياته الفردية ،و على تاريخ شخصيته بصفة خاصة "[1]

أما الكاتب (أندريه موروا)، فقد تحدث بصورة عامة عن الأمور الأساسية التي يجب أن تتوفر في السيرة ، لكنه لم يقدم تعريفا واضحا لها ،ففي حديثه حول السيرة يقول إنها "مقدرة الإنسان على كتابة حياته الخاصة بنزاهة، لكي يقدم حكاية كاملة

_ و قدم الكثير من التحفظات التي تجعل من حكاية السيرة الذاتية غير دقيقة،

وتفتقد عنصر الصراحة فذكر النسيان المتعمد لأسباب جمالية تخدم النص، و التأثير الطبيعي للرقيب، الذي تمارسه الروح على الأشياء التي لا ترتاح لها، و الحياء، والخوف لحماية أشخاص أو حماية أنفسنا "[2] و نجد الكاتب (جورج ماي) يضع لها تعريفا عاما فيقول " هي سيرة كتبها من كان موضوعا لها " [3] و في موضع أخر من كتابه يعرفها بقوله "هي سرد لما مضى من حياة شخص ما عند التدوين يكتبها صاحبها بضمير المتكلم المفرد، متوخيا الحقيقة فيما يرويه "[4]

ـ أما الكاتب تييتز رووكي قد وضع تعريف عام لمفهوم السيرة هو: "أن السيرة الذاتية تقصد التعبير عن الذّات أو الوعي بها ...وهي نوع أدبي يعبر عن الأدب

(1) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي فيليب لوجون ،ترجمة عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 1994 ،ص22.

(2) فن التراجم والسير الذاتية ، أندريه موروا ، ترجمة أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة 1999 ، ص97 .

(3) السيرة الذاتية جورج ماي ، تعريب محمد القاضي وعبدالله صوالة ، رؤية للنشر والتوزيع 2017 ، ص24.

(4) المصدر السابق ص321

الشخصي، له خصائص تركيبية وبنيوية محددة؛ مثل موضوع النّص، ومنظور السرد، والأسلوب الأدبي، وهويّة الشخصيات وأصوات الحكي"[1]

أما الكاتب شوقي ضيف، فقد تحدث بصورة عامة عن الأمور الأساسية التي يجب أن تتوفر في السيرة لكنه لم يقدم تعريفا واضحا لها، ففي حديثه عن السيرة عند الغرب حدد أربعة أمور يجب توافرها هي :

* أن يكتب المؤلف نفسه .

* أن يكتب جزءا من حياته أو حياته كلها .

* التركيز على الحياة الشخصية و عدم التطرق للأحداث العامة .

* الصراحة و الصدق.

كما أنه اعتبر السيرة فنا أدبيا، بقوله إنما حسبنا أن نعرف أن نشير إلى أن هذا الفن الأدبي له تراث كبير عند القوم "[2] أما الكاتب إحسان عباس في كتابه فن السيرة عرفها بقوله " تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، و أصبحت في نفس صاحبها من القلق الفني، فلابد أن يكتبها ."[3]

المطلب الثاني: مشابهات السّيرة الذاتية:

أولاً ـ المذكرات: الفرق بين السيرة والمذكرات فرق في الموضوع، فالسيرة الذّاتية موضوعها الفرد وتطوّره، أما المذكّرات فموضوعها المجتمع وممثّلوه، فالمذكرات إذاً تركز على التاريخ المجتمعي بدلاً من التاريخ الشخصي، والكاتب في المذكرات يؤدّي

(1) في طفولتي دراسة في السيرة الذاتية العربية ، تأليف تييتز رووكي ، ترجمة طلعت الشايب ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 2002 ،ص30 .

(2) الترجمة الشخصية ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط4 1956 ، ص6-11 .

(3) فن السيرة ، إحسان عباس ، منشورات دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ،ط11996،ص95 .

دور شاهد العيان على الأحداث التي تقع أمامه، أما الكاتب في السيرة الذاتية فهو متورّط فيها، وهو البطل الرئيس الذي يروي حياته التي عاشها وارتبط بها، فالفارق بين السيرة الذاتية والمذكرات ليس فارقاً مطلقاً؛ ولكنّه نسبيّ؛ لأنه لا توجد سيرة ذاتية خالية من الحالة الاجتماعية أو السّياسية، وكثير منها سجلّات، فالمذكرات تقدم أحياناً معلومات شخصية، لكن الاهتمام ليس على التجربة الشخصية[1]، "فالمذكرات هي حكي سردي سيري استرجاعي، يقوم به الرّاوي بوصف مشاهد سبق وأن سطّرها في ظروفٍ معينة"[2].

ثانياً: اليوميّات: إذا كانت السيرة الذاتية هي رواية استعاريّة مكتوبة نثراً، فإن اليوميّات ليست استعارية بالمعنى نفسه، حيث إن الأحداث تُسرد متزامنة مع زمن الكتابة والسيرة الذاتية تكون منتصف عمر كاتبها على الأقل، أي أنّ اليوميّات تكتب في الوقت نفسه الذي تم فيه الحدث، والسيرة كما هو معلوم تروي حياة شخص كاملة أو جزء كبير منها، وكتابة السيرة ليست متزامنة مع الأحداث، بل تُكتب السيرة بعد منتصف عمر صاحبها على الأقل، والزّمن في اليوميّات أقصر من الفترة الزّمنيّة في السيرة التي تروي حياة شخص كاملة، أي أن اليوميّات تقدّم مرحلة معيّنة من ذلك التاريخ ـ أي تاريخ الشخص ـ الذي تقدمة السيرة الذاتية كاملاً، إذا يمكننا تحديد مفهوم معيّن لها وهو أنها "سرد سيري يخضع كاملاً لسلطة الزمن اليومي ويتقيّد بالظّروف الزّمانيّة والمكانية والسياسية والاجتماعية لكيفية اليوم الذي تسجل فيه كل يومية"[3]، ومنهم من أضاف إلى سلطة الزمن حياة المرء بالذات فعرّفها بقوله: "سجل التجربة اليومية، والحفاظ على عملية حياة المرء بالذات؛ دون نظر إلى التّطور الذي

(1) ينظر: في طفولتي، دراسة في السيرة الذاتية، ص: 75.

(2) في الأدب الحديث ونقده، عماد على سليم الخطيب، دار المسيرة، ط 1، 2009، 1430هـ، ص: 147 ـ 148.

(3) في الأدب الحديث ونقده، عماد علي سليم الخطيب، ص: 147 ـ 148.

يحاكي نموذجاً معيناً، أو التّواصل القصصي أو الحركة الدّرامية نحو دورةٍ ما"[1]، ومع هذا تعدّ اليوميات أكثر قرباً من السيرة الذاتية إذ إنها سجل التجارب والخبرات اليومية وحفظ الأخبار والأحداث الحياتية للشخص، في حين تختلف اليوميات عن السيرة الذاتية في أن الأحداث ترد فيها على شكل متقطّع غير رتيب، كما أنها تتسم بالقدرة على رصد المواقف عند حدوثها، وهي تفتقر تبعاً لذلك إلى المنظور الإستعادي في القص[2]، ولكنها تبقى أعمالاً جامدة، لا تلتزم بتقنيات فنية ترقى بها إلى الابداع . فليس من الصعب كتابة الأحداث اليومية التي تجِدُّ في حياة الفرد، ولكن القدرة على فلسفة هذه الأحداث وتحليلها تبقى ميزة أساسية لصالح الترجمة الذاتية تفتقر إليها اليوميات التي تركز على رصد الأحداث فقط دون أن تسبر أغوارها وتضفي عليها مسحة جمالية.

ثالثا: فن السيرة الغيرية: تعني الجنس الأدبي الذي يؤلفه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس سواء كانوا من الشخصيات التي عاشت في الماضي أو الزمن الحاضر، وقد قيل إنها : "بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة"[3].

رابعا: الرّواية: تعد من أكثر الأشكال الفنية قرباً من السيرة الذاتية، فمن حيث البناء الفنّي يوجد تداخل كبير بينهما، وقد أشار لوجون إلى ذلك التداخل قائلاً: "إننا لا نستطيع أن نتوثّق من مسألة التطابق عندما لا يحتوي العمل الأدبي على عنوانٍ فرعي يبيّن نوعه هل هو سيرة ذاتية أو رواية ولا يتضمن أيّ إشارة تبين جنسه

---

(1) أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر، لونجمان السيرة الذاتية في الآداب الغربية، اهداءات 1998، ص: 44.

(2) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان، وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عبّاس نموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاكر، الأردن، ط 1، 2002، ص: 20.

(3) أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف، ص: 42.

الأدبي، وفي الوقت نفسه لا يذكر اسم الشخصية الرئيسة في العمل"[1]، ويقول تفادياً لذلك التداخل يجب على المؤلف أن يصرح بأسلوب مباشرٍ وغير مباشر بأن ما يكتبه هو سيرة ذاتية، والجدول التالي يبين الفروق التي تميّز كل جنسٍ أدبي عن الآخر، ومن هذه الفروق يمكن الفصل بين كل منها عن الآخر:

وجه الفرق	الرّواية	السّيرة
السّارد	مشابهة السّارد مع المؤلف لدرجة لا تصل إلى التطابق يسمى رواية السّيرة الذاتية لا سيرة ذاتية	يجب أن يتطابق السّارد مع المؤلف.
الخيال	الخيال في الرّواية مطلقاً ليس مقيّداً	الخيال في السّيرة مقيّد ممسوك بزمام لأن السيرة هي إعادة تقديم صورة لحياة إنسانية.
الزمان والمكان	الزّمان يمتد إلى قرون طويلة والانتقال بحرية داخل ذلك الزمان	أما الزّمان في السيرة فهو قيمة وثائقية لا يستطيع المبدع أو الكاتب أن يتجاوزها.
النهاية أو الخاتمة	تكون غالباً مجهولة لدى القارئ	السّيرة عكس ذلك لأنها تدلها على الوضع الذي يعيشه المؤلف وقت كتابتها.

أما إذا أردنا تعريفاً للرواية فهي كثيرة في كتب الأدب، من النقّاد من عرّفها بأنها "تسمية تطلق عادة على القصّة الطويلة، وهي حادثة تروى بأسلوب موضوعي تختفي منه الذاتية، أي يتوارى المؤلف بشخصيته وشعوره عن القارئ كي يترك المجال لشخصيات أدبية تفعل في زمان ومكان معيّنين"[2].

(1) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص: 19.

(2) الواقعية في القصة الفلسطينية القصيرة من عام 1969 ـ 1993، رفعت أحمد شناعة، دار الحداثة، ط 1، ص: 18 ـ 19. وينظر: غازي يموت الفن الأدبي لأجناسه وأنواعه، دار الحداثة، ط 1، 1990، ص: 192.

المطلب الثالث: نقاط الالتقاء والافتراق أو التناقض:

كيف يمكن التمييز بين جنسين تباينت الآراء حول وجود فروق بينهما، كما تباينت حول وجود أوجه اقتراب في مميّزات كل منهما (السيرة الذاتية ـ الرواية). وفيما يلي بيان لكيفية التمييز بينهما من الناحية العلمية، ولكي نتوصل لذلك لابد من إيجاد العلاقة بينهما في النتاج الأدبي، وتتحدد العلاقة وفق عدة نقاط على النحو التالي:

ـ نقطة الالتقاء: أي النّقطة التي التقت فيها آراء النقاد وحدث الالتباس وتفاوتت الآراء حول العمل الأدبي أرواية هو أم سيرة ذاتية؟ ويقصد بذلك أن الالتباس الحاصل بين الجنسين هو نقطة يلتقي فيها كل منهما فيحدث اللبس، والحقيقة أن الرّواية والسّيرة الذاتية تعتمدان أسلوباً واحداً هو (السّرد) وعادة ما تسردان القصص ذاتها.

ويتضح ذلك في حالة العمل(مسارب) الذي يعتبر نصّاً على درجة عالية من الالتباس، فيقف الكاتب (سليمان كشلاف) حائراً في تصنيفه، هل هو رواية تاريخية أم كتاب تاريخ، كيف وقد غابت عنه الكثير من الأحداث المهمة، وانعدمت الوثائق مثل انتقال (إدريس العيساوي) إلى النشاط اليهودي وغيرها من الأحداث، أم هو سيرة ذاتية وكل سيرة لا بد من تزويدها ببناء متكامل ... هذا البناء أمر لازم لنحكم عليها هل هي فن ؟، أمّ أنها رواية تحكي عن بطلٍ ما في زمن ما لتجد أنها تروي أحداثاً وأشخاصاً حقيقيين، أم هي مزيج بين الثلاثة، غير خاضع لشروطها، وغير ملتزم بضوابطها وشروط كتابة كلّ منها.

أما الأسلوب الذي حوته هذه الدراسات فهو أسلوب السّرد دون أدنى شك وهذا ما نجده في (محطات) إذ كانت بطريقة (القص النثري) وقد اعتمد المقهور هذه الطريقة

التي تعتمد الحوار بين الشخصيات، أما (القويري) فيختلف في طريقة سرده إذ يستخدم المفردات الشعبية[1]، وبهذا يمكننا القول إنّ أسلوب السرد في السّيرة الذاتية والأدب الروائي لا يمكن التمييز بينهما.

ـ **فضاء السيرة الذاتية:** هو المحاولة لتفسير الحدود غير الواضحة بين السيرة الذاتية والرواية، وكثيراً ما نجدهما مندمجين في فضاء واحد، ومجموع الأعمال الرئيسة في هذه الدراسة تقدم أمثلة كثيرة مباشرة وغير مباشرة، تبين مدى اقتراب السيرة الذاتية من الأعمال الروائية، ومفهوم فضاء السيرة يبيّن ذلك:

فكتاب (مسارب) يعتمد الشخصية الرئيسة ويهمّش ما عداها، والراوي بينه وبين الكاتب شبه كبير أو تطابق فهما الشخص ذاته، ونلاحظ ذلك عندما أشار إلى أنه في رفقة (الشّريف محي الدين أحمد الشريف السنوسي) قبل دقائق من اغتياله، وكذلك في كتاب (محطات) أعلن المؤلف أنه السّارد، وذلك في مقدمة النّص في قوله: "سوف أستعرض (المحطات) بحلوها ومرّها، وسوف يكون استعراضها على الورق كذلك، يتّخذ السارد اسم المؤلف الموجود على الغلاف اسماً للشخصية الرئيسة، أما كتاب (مسارب) ففيه تداخل كبير، فالناقد (سليمان كشلاف) يحار في تصنيفه، فهو يحكي عن بطل في زمن ما، لنجد أنها تروي أحداثاً وأشخاصاً حقيقيين، وُجدوا في المكان نفسه وفي زمن روائي واحد، وشخصياته تظهر وتختفي ولا يحكمها بناء"[2].

وباختصار يمكن القول: إن هناك صلة وثيقة بين السيرة الذاتية والرواية في النتاج الأدبي، فمفهوم فضاء السيرة الذاتية "يحدد العلاقة الوثيقة الموجودة على نحو

---

(1) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، كتاب شؤون ثقافية، (د . ط) 2010، ص 115 ـ 116.

(2) الفصول الأربعة، حول كتاب مسارب الزمن الذي مضى، سليمان كشلاف، ص: 82.

خاص بين السيرة الذاتية والرواية في المؤلفات العربية الحديثة، أي أن قراءة نوع أدبي على ضوء نوع أدبي آخر إنما يثري الفهم لكليهما ويوضح بعض التبادلات الموجودة بينهما"[1].

ومن حيث صدق الكتابة الذاتية فإن السيرة الذاتية باعتبارها سيرة حقيقية لحياة كاتبها وساردها، تعتمد الدقة، وبذلك تعتبر أكثر صدقاً من الرواية التي تعتمد الخيال، ولكن السيرة الذاتية العربية عندما تكون (الطفولة) هي الموضوع تجعل هذا الافتراض نسبياً نوعاً ما، وذلك في عملية تسجيل الأحداث فمن الأحداث ما يَعْمد كاتب السِّيَر لتجاهلها أو غض الطرف عنها، وبذلك تكون الكتابة في مثل هذا النوع من السيرة عن طريق التسجيل والاختيار، اختيار ماذا؟ اختيار ما سيكتب طبعاً، وما سيغضّ الطرف عنه متناسياً إياه، أو متجاهلاً له عن قصدٍ منه، والسبب في تجاهله إمّا لأسباب أدبية أو أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية... أي أن كتّاب السيرة الذاتية يمثلون الرّقيب على أنفسهم لضمان بقائهم أو بقاء كتاباتهم.

فكتاب (الوقدات) نلاحظ فيه أن الكاتب في الورقات الأولى من سيرته في مقدمة كتابه يكتب بخط يده قائلاً: "سيظل هناك في نفوسنا أشياء غائرة لا يمكن رؤيتها ونأخذ الشيء اليسير منها ونستدل به على الغير نقدمه إليك وعندنا شعور بأننا نمنحهم البركة"، أي يسدّ حاجة القارئ في الشيء اليسير الذي سيفصح عنه، وما تجاهله أو غاب عنه لا يعتبره تقصيراً؛ لأنه وصفه باليسير، وعندما نتتبع بداية سيرته نجد أنه أغفل حقبة زمنية لا بأس بها من حياته لم تُذكر في سيرته، والسبب في عدم ذكرها أمر يرجع له ـ أي للكاتب ـ فقد بدأ بسرد سيرته مبتدئاً إيّاها من سنّ الثالثة والرابعة من المرحلة الابتدائية، أي كان عمره لا يتجاوز الحادية عشرة، وبدأ

(1) في طفولتي، دراسة السيرة الذاتية العربية، تيتز روكي، ترجمة طلعت الشايب، (د. ط) (د.ت)، ص: 9 ـ 95.

يسترسل في سرد الأحداث متجاهلاً أو متناسياً فترة زمنية لا بأس بها من مرحلة طفولته ما بين الرابعة من عمره على الأقل وحتى الحادية عشرة، فلم يشر إلى تلك المرحلة ولو بإشارة مع أن لهذه المرحلة من العمر بصمات في حياة المرء، ونراه في كثير من الأحياء يقطع السرد مستشهداً بحدث ما، وسرعان ما نجده ولّى عن الحديث عن مرحلة طفولته ليبتدئ الحديث حول رحلته الجامعية في إحدى جامعات مصر، ومحاولة الانخراط ضمن التيارات السياسية رغم شعوره الدائم بالغربة والحنين والرجوع إلى موطنه، وهذا الشعور نلمسه في حديثه دائماً فسيرته تميزت بوجود بصمة الحنين للرجوع إلى الوطن إن صح القول.

وفي (هذا ما حدث) يقدم لنا (علي فهمي خشيم) سلسلة من أحداث حياته ، في هذا الكتاب موضحاً أن ما يقدمه سيرة ذاتية معترفاً بذلك، وكذلك يصرح بأنه قد كتب ما وعته الذاكرة مسجلاً الأحداث بعيداً كل البعد عن الذاتية محاولاً أن يكون موضوعياً في كتاباته، رغم أن السيرة الذاتية تخالف هذا الشرط في كون الكتابة موضوعية ونجد الكاتب يصرح بذلك في الوريقات الأولى من سيرته موجهاً كلمة للقراء قائلاً فيها: "... أن ما بين يديه سجله إنسان فرد نظر إلى الأمور من زاويته يقول متحدثاً عن كتابته واصفاً إياها بالموضوعية بعد ما ذكر قبل ذلك في قوله أنه نظر إلى الأمور من زاويته هو (ذاتية) يقول: "... وقد حاول أن يكون موضوعياً متجرداً... وحاول أن يكون أميناً في ما سرد وقد تخونه الذاكرة أحياناً أو يحيد به قلمه عمّا قصد"[1]، ثم انتهى من توجيه خطابه لقرائه ليبدأ بكتابة سيرته بعبارة توحي بالشك في صدق كتابته، ونلحظ ذلك في عنونته للكتاب بقوله: بهل تريد أن تعرف بعض ما حدث، ليضع في ذهن القارئ خطوطاً عريضة تحت بعض العبارات منها

(1) هذا ما حدث، علي فهمي خشيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004، مقدمة الكتاب.

(بعض ما حدث)، فتعبيره بالبعض يدلّ على قصوره في الإلمام بالكثير من الأحداث عند كتابته للسيرة الخاصة به.

إذا سلمنا بأن القصور في الإلمام في الكثير من الأحداث بعد شكا في صدق الكتابة الذاتية .

التشكيك في درجة صدق السيرة الذاتية يأتي من الاعتراف بوجود قصور في اللغة، ونجد ذلك عند أغلب الكتّاب ـ موضوع البحث ـ حيث نجدهم في كتاباتهم يلجؤون لاستعمال اللهجة العامية كثيراً.

ونلاحظ الكاتب (عبدالله القويري) في وقداته كذلك يلجأ لاستعمال الألفاظ العامية أحياناً، واستعمال اللهجة المصرية أحياناً أخرى بحكم أنه عاش هناك.

" أما الكاتب (أمين مازن) فقليلاً ما نلاحظ قصوراً في لغته، وإن وجد فهو نادر، وهذا النوع من القصور يعتبر نوعاً من التحدي الأدبي، وقد كرس (رويال باسكال) جهده لدراسة الصدق في السيرة الذاتية وانتهى فيه إلى ما معناه أن الصدق في السيرة الذاتية ليس الصدق الوثائقي الخالص وإنما الصدق الفني الذي لحظه القارئ دون الرجوع إلى الحياة الحقيقية للكاتب أو الراوي الذي تستدعيه السيرة الذاتية الخاصة بالطفولة؛ لأنها تعتمد على الخيال والتذكر والرواية، وغالباً ما يفتقد عنصر الصدق بمعناه اللغوي الاصطلاحي في مثل هذه السّير."(**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**)

إذا هو صدق خاص و ليس هو الصدق الذي ضد الكذب .

ـ **التناقض**: ظاهرة أخرى مقلقة في السيرة الذاتية مثل أن يصف الكاتب مكاناً ما بوصفٍ يدلّ على قبح صورة المكان ومدى ازدرائه له، ثم يجد القارئ تناقضاً واضحاً في الكتابة، يجده في إحدى المواقع من السيرة يصف ذلك المكان بأوصاف تسرّ الخاطر، وتوحي للقراء بجماله، فيبعث ذلك إلى شعور القارئ بالتناقض الذي وقع فيه

الكاتب، وعندما نضرب المثل لهذه الظاهرة نجد عبد الله القويري **في كتابه الوقدات** لم يقع في تناقض يذكر، فقد كان حريصاً كلّ الحرص على تحري الصدق في كتابة السيرة، وعرض ما تيسر له من تاريخ حياته في مصر التي عاش (طفولته) فيها، ومن ثم الشعور الملازم له بالغربة، وعدم الانتماء لهذا القطر الكائن به رغماً عنه.

المبحث الثاني

تاريخ السيرة الذاتية في الأدب

المطلب الأول: السيرة الذاتية في الأدب الغربي .

المطلب الثاني: السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم.

المطلب الثالث: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث.

السيرة الذاتية في الأدب الغربي

لقد تباينت الآراء حول تحديد الزمن الذي نشأ فيه الجنس الأدبي، وقد انقسموا في ذلك إلى قسمين، كل منهم له رأيه وما يدعمه، فمنهم من يرى أنها من أقدم الفنون الأدبية نشأة، والبعض يرى أنها من أحدث الأجناس الأدبيّة، واختلافهم هذا يرجع بالدرجة الأولى إلى الاختلاف حول المفهوم:

فالذين يعدّونها من أحدث الأجناس الأدبيّة، هم الذين يرون أنّ لها بناء خاصاً، وهذا البناء لم تبدأ ملامحه في الظّهور إلا في نهاية القرن الثامن عشر تقريباً، ومن هؤلاء الكتّاب (جورج ماي) يرى أنه من الصعب تعريف السيرة الذّاتية، وذلك لحداثة هذا الجنس الأدبي، فهو يعدّه من أحدث الأجناس الأدبية عموماً، ويؤرخ لنشأة السيرة الذّاتية بـ (اعترافات جان جاك روسو)، ومن ثمّ أصبح المؤلف (روسّوا) رمزاً لنشأة هذا الجنس الأدبي في الأدب الغربي، وقد كُتبت في القرن الثامن عشر[1].

أما الكتّاب الذين يرون أن هذا الجنس الأدبي قديم وله جذوره في الأدب القديم، قبل القرن الثامن عشر، أي قبل اعترافات (روسّو). فهم:

(فليب لوجون) الذي يرى أنّ لها بذوراً قديمة جداً في الحضارات الإنسانية، وكذلك الكاتب (ول وابريل ديورانت) ممن رأوا أنها وليدة الحضارات المصرية القديمة، ويرجع تاريخها إلى العام 2000 ق.م .

(1) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص27.

ومن هذا المنطلق لو سلّمنا بأنها أقدم سيرة ذاتيّة في الأدب، وهذا الرّأي الرّاجح، فإنه لا يمكننا الأخذ بما قاله (جورج ماي) الذّي يعتبر أن اعترافات (روسو) هي أوّل سيرة ذاتيّة لأن اعترافات القدّيس (أوغسطين) في القرن الخامس عشر قد سبقت اعترافات (روسو) بقرونٍ عدّة، وقد ورد ذلك في الموسوعة البريطانية "أنّ السّيرة الذّاتيّة بدأ ظهورها في عصر النّهضة وتحديداً في القرن الخامس عشر، وفي القرن الثامن عشر ظهر لأول مرة مصطلح السّيرة الذّاتية"[1].

ومن هنا يتّضح لنا أنّ هذا الفنّ وُجد كجنسا أدبي منذ القرن الخامس عشر، لكنّ بمسميات أخرى، فسمّي الاعترافات، رغم أن لهذا اللفظ دلالة على الأخطاء والذّنوب؛ بخلاف مصطلح السيرة الذي يهتم بحياة الإنسان من جميع جوانبها، أمّا مصطلح السّيرة الذّاتية بمفهومه المحدّد ووفق معاييره الخاصّة وتطور هذا الجنس وبروزه بمصطلحه ومضمونه فقد حظي به القرن التّاسع عشر والقرن العشرون، فشهد تطورات كبيرة في فنّ السّيرة الذّاتيّة، أمّا ظهور المصطلح فقد كان في نهاية القرن الثامن عشر، أي حوالي 1797م[2].

إضافة إلى ما يراه الدكتور (شكري المبخوت) من حداثة هذا الجنس الأدبي فإنه يرى كذلك أن هذا الجنس هو جنس غربي، وأنّ كل من يكتب فيه من الكتّاب العرب ما هو إلا تقليد للغرب، وليس ابتكاراً من ذاته، فهو يراه مقلداً متأثراً بالكتابة الغربية وهو رأيٌ عارٍ عن الصّحة، وبعيد كل البعد عن الموضوعية[3].

وفي الوقت نفسه يمكن القول أن الكتّاب العرب تأثّروا بالكتاب الغربيين في هذا الفن، ولو سلمنا بما جاء في الموسوعة البريطانية من أن أول نماذج السيرة الذّاتية

---

(1) المصدر نفسه، ص 30.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 31.

(3) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 208.

في الأدب الغربي ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي، فسنتوصل إلى أن نشأتها في الأدب العربي سابقة لها في الأدب الغربي، حيث إنها وُجدت في الأدب العربي منذ القرن الأول الهجري، السابع الميلادي[1].

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 32.

السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم

ـ السيرة الذّاتية في ما قبل الإسلام:

يرى الكاتب (لويس بوزويه) أنّ كتاب الاعتبار لـ (أسامة بن منقذ) في القرن السّادس الهجري، وكتاب التّعريف لـ (ابن خلدون) في أواخر القرن الثامن الهجري، أقرب أثرين في القرون الوسطى إلى السيرة الذاتية بمعناها الاصطلاحي، وكذلك الكاتب (محمد عبد الغني حسن) من الكتاب الذين يرون أنّ هذا الفن الأدبي لم ينتشر عن العرب إلا مؤخراً، وكذلك الكاتب (كارل بروكلمان) من الذين رأوا أن بذور السيرة الذاتية نشأت عند العرب في الجاهلية، ويظهر ذلك في ذكر أنسابهم[1].

ولعله يمكن القول أن السيرة الذاتية نشأت عند العرب قبل الغرب ـ في القرن الأول الهجري ـ لكنّ هذا الفن الأدبي تطور عند الغرب في العصر الحديث، والسبب وراء عدم وجود كتابات للعرب وسيرهم هو قلّة الكتابة في العصر الجاهلي، ولكن كثر حديثهم حول أنفسهم في أشعارهم، ومن الباحثين من يذكر وجود هذا الجنس الأدبي عند العرب قديماً كـ (جورج ماي)، وهو بذلك يوافق الكاتب (شكري المبخوت)، و (عبد الرحمن بدوي)[2].

ومنهم من يرى وجودها لكن يرفض نسبتها للعرب، بل ينسبها لغيرهم من فرسٍ وموالٍ، مثل (عبد الرحمن بدوي)، الذي يرى أن العرب غير قادرين على كتابة

(1) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 33.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 38، وينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، العدد الخامس، شهر الرابع، 2010، ص 45.

سيرهم، وهذا قول عارٍ عن الصّحة، فجنس الإنسان لا يمكن أن يقف حائلاً دون إبداعه[1].

ـ السيرة الذاتية في العصر العباسي:

لعل أقدم ما وصل من بذور السّيرة الذاتية في العصر الإسلامي، تلك التي نُقلت عن (سليمان الفارسي، ت: 36هـ ـ 656م) مترجما لنفسه وقد نقلها (الخطيب البغدادي) في كتابه: تاريخ بغداد، وقد تحدّث فيه عن نفسه ونصرانيّته، بهذا يمكن القول أنّ إرهاصات السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي بدأت منذ القرن الأول الهجري[2].

ثم تتابعت السير بعد ذلك وبمسميات مختلفة في كتب الأدب، منهم من كان يقرنها بالرّسائل، و نخصّ بالذكر منها (الطبيب اليوناني " جالينوس")، وهو أول من ترجمت كتبه عن اليونانية إلى العربية، وهو (الطّبيب حنين بن اسحاق) ، وقد نقل إلينا (عيون الأنباء في طبقت الأطباء)، يخبر فيه عما لقي من محنٍ وشدائد، وما تعرض له من حسدٍ من الخليفة[3].

ونضرب من الأمثلة "ما اشتمل عليه كتاب (الأغاني) من سيرٍ، منها (سيرة إبراهيم الموصلي 1088) والتي يرى أنها تقترب من السيرة الذّاتية، فقد صوّر فيها السّمات النفسية لإبراهيم الموصلي"[4].

ويمكن القول أنّ "القرن الخامس الهجري قد شهد ازدهاراً في كتابة السّير الذّاتية تشمل كتّاب السّيرة من علماء الدين، والسياسيين، والأدباء وغيرهم، ويُستهلّ القرن

(1) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص 46.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 48. والسيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 39.
(3) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص 49.
(4) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 40.

الخامس برسالة (بن الهيثم) العراقي، وقد تأثر في رسالته بـ (الطبيب اليوناني) فقد قدّم الرسالة بتاريخ حياته، ثم سرد تطوّره الرّوحي حتّى استقراره عند فلسفة (أرسطو طاليس)"[1].

وكذلك قد شهد هذا القرن شخصيات عدة لها من هذا الفنّ النصيب الأوفر، منهم:

(ابن سينا 428هـ)، (علي بن رضوان المصري 460هـ) وهما يختلفان في ترجمتهما، فابن سينا يتحدث عن البيئة التي نشأ فيها ... أمّا ابن رضوان فقد تحدث عن الحياة التي كان يعيشها ولم يكن يقصّ كتابة حياته مجرّدة، بل عُني أن تكون تذكرة للناس ونموذجاً يقتدى به[2].

ومن خلال ما عرض من الكتب السّابقة نلاحظ أن مؤلفيها وكذلك من ذكرها من النقاد، رغم أنهم يعدّونها سيراً لأصحابها؛ لأنها تخصّ جانباً من حياتهم أو بيئتهم أو غير ذلك مما يخصهم، إلا أنهم لم يختاروا لها لفظ (سيرة ذاتية) بهذا المسمّى الحديث، بل تعددت المسميات بين لفظ (ترجمة)، كترجمة ابن سينا، وابن رضوان، وبين(لفظ الرسائل والمذكرات).

كذلك يعرض لنا مصطلح آخر في هذا المجال وهو (القصّة)، منها: (طوق الحمامة في الآلفة والألاف) لـ (ابن حزم الأندلسي ت: 456هـ) وقد تحدّث فيه (ابن حزم) عن تجربته في العشق والهوى، إضافة إلى أخباره وما تعرّض له من محنٍ وصراعات، وقد التزم الصدق وتعرية النّفس[3].

---

(1) السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص 50 ـ 51.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 52، والسيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 41.

(3) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي نعيمة العجيلي، ص: 52 ـ 53، السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 47.

إذاً كانت سيراً تروي حياة أصحابها ولكن بمسميّات أخرى، و مصطلح السيرة الذاتية هو وحده المصطلح الذي لازال غير ثابت آنذاك، ويمكن أن تكون ملامح كلّ فترة زمنية تختلف عنها من عصرٍ لآخر، فملامحها تختلف عن ملامح السّيرة الذاّتية في الأدب الحديث.

أما السّيرة السياسية فأولها سيرة (المؤيد في الدين 470هـ) وهو فاطميّ، وقد تحدث عن أسرته، ونشأته العلمية، وهي سيرة سياسية من حيث المضمون، أمّا أسلوبها فيعتمد على سرد الأحداث[1]، وهناك غيرها الكثير مما يضيق المجال بحصرة.

أما سيرة المتصوّفة فأهمها سيرة (الإمام الغزالي) فهي "سيرة فكرية تصويريّة لرحلة نفسٍ باحثة عن اليقين... وقد عدّها البعض سيرة ذاتية نادرة المثال لما تميّزت به من الصّدق والأمانة والصراحة، في تصوير الصراع الدّاخلي والخارجي"[2].

وكذلك ظهرت العديد من السّير في القرن السادس الهجري، لعلّ من أهمها كتاب (النّكت العصريّة في أخبار الوزارة المصريّة) وكتاب (الاعتبار) لـ (أسامة بن المنقذ ت: 584هـ)، وتوالت كتابة السّيرة المميّزة لكلّ عصر، ونجد أهم سيرتين ميّزتا القرن السابع الهجري ما كتبه الطبيب (عبد اللطيف البغدادي ت: 629هـ) إضافة إلى سيرة (أبي شامة المقدسي ت: 665هـ) فقد أوردها ضمن طيّات كتاب (ديل الرّوضتين)[3].

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 54، وينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 49.

(2) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 58.

(3) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص 55.

والقرن الثامن الهجري شهد سيرة ذاتية بالغة الأهمية والتأثير، هي سيرة المؤرخ (ابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً) سجّل فيها قصّة حياته وما شهده من أحداث سياسيّة[1].

أما وجود سيرة ذاتية بعد التعريف لابن خلدون في القرن العاشر أو الحادي عشر، فيعدّ أمراً نادراً ويرجع (يحيى عبد الدائم) ذلك للرّكود والجمود الفكري الذي أصاب الحياة في العالم العربي، وقد شمل كل العلوم ، ومن ضمنها الحياة الأدبية والفكرية.

(1) ينظر:" المرجع السابق، ص: 58.

السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث

بدأت بذور هذا الفنّ تظهر في الأدب العربي الحديث في القرن التّاسع عشر، عند العديد من الكتّاب، وهي بذور افتقدت إلى العديد من شروط السّيرة، تفتقر لعناصرها وجوهرها، ولكنّها تعدّ السّيرة الأولى في العصر الحديث، على الرغم من تدني مستواها فقد حملت غاية التّحرير الفكري، وشابهت طريقة سردها سير العلماء العرب القدامى من حيث الاهتمام بالولادة والنشأة، وتميزت بالواقعية رغم جفافها وتدنّي أسلوبها الأدبي، ومن هذه الكتابات: (تلخيص الإبريز في تلخيص باريز ـ رفاعة الطهطاوي ت: 1873م)، (السّاق على السّاق في ما هو الفارياق ـ فارس الشّدياق 1801 ـ 1887)، إضافة إلى ما كتبه (علي مبارك)، (محمد عبده ت: 1905) الذي كانت سيرته قريبة للأسلوب الأدبي[1].

أما القرن العشرون فقد أنتج للأدب العربي الكثير من السير الذاتية، حيث تطور فن السيرة الذاتية في هذا القرن بفعل قراءة الآداب الغربية ، والاطلاع على تراجم كاملة لحياة الأدباء الغربيين، وذلك مما ساعد الأدباء على الشعور بالذات، ومن ثم التعبير عنها والشعور بالفردية أو الذاتية، التي ألهمت الأديب للتعبير عنها أو كتابة سيرته.

ولعل أوّل سيرة ذاتية فنية في القرن العشرين نلتقي بها: (الأيام ـ لطه حسين) التي كتب فيها عن فترة زمنية معينة تداخلت بين مرحلتي الطفولة والشباب، وقد صوّر فيها كلّ ما مرّ به من أحداث كفقده للبصر ومدى تأثره منذ نشأته الأولى،

(1) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص 60.

لذلك عدت سيرته قطعة فنيّة رائعة[1] وقد استعان في كتابته بالأسلوب القصصي الرّوائي الذي مكنه من رسم صورٍ تامة للشخصّيات.

وكتب (أحمد أمين ـ حياتي) فقد صوّر نشأته وبيئته تصويراً دقيقاً، وقد كان يؤمن بأن الشخصية من صنع الأحداث بخلاف (طه حسين)، الذي يرى أنه هو من صنع الأحداث، فقد اختلفت الأيام من حيث البناء الفنّي، فلكل منهما طريقته[2].

وكذلك (أنا ـ لعباس محمود العقّاد) الذي يقترب في كتابة سيرته من الأسلوب العلمي منه إلى العمل الأدبي، فقد عمد إلى توضيح العقّاد كما يراه هو وحده، وله سيرة أخرى هي (حياة قلم) الذي عرض فيها حياته الأدبية والسياسية والاجتماعية[3].

وكذلك كتب توفيق (زهرة العمر)، وإبراهيم عبد القادر المازني (قصة حياة)، وميخائيل نعيمة (سبعون)، وإلياس فرحات (قال الرّاوي).

وقد تميزت بانعكاس الشخصية والوعي بالذات، إضافة إلى قيمتها الفنية ... والتزام الموضوعية والصدق والصراحة، إلى جانب الترابط في السرد والتزام المنطق في التحليل[4].

---

(1) ينظر: في طفولتي، ص: 143، وينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص: 75، وينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، ص 61.

(2) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ص: 79.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص: 81.

(4) ينظر: السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص: 61.

المبحث الثالث

السيـــرة الـــذاتية فـي الأدب اللـيبـي

- المطلب الأول: السّيرة الذّاتية في الأدب الليبي.

- المطلب الثاني: السرد السير ذاتي الطفولي .

بدايات السّيرة الذّاتية في الأدب الليبي

يعد الأدب الليبي ـ مجال الدراسة ـ مفتقراً إلى الكتابة الذّاتية، أو الكتابة حول الذات، وإن عُد فهو نادر، ويُعدّ على الأصابع إن صح التعبير.

يرجع النقاد ذلك إلى (ابن خلدون) القائل بأن المغاربة عموماً مقلّون في قضيّة الكتابة ولا يميلون كثيراً إليها، بعكس المشارقة الذين يلحّون على التحدث عن سيرهم الذّاتية"[1].

ويوافق الكاتب الليبي (منصور بو شناف) ابن خلدون في رأيه مضيفاً إليه تعديلات، فهو يرى أن عدم وجود كتابة سيرة ذاتية هو لليبي فقط ولا يشمل كلّ المغاربة، معللاً لذلك بوجود سير ذاتية لكتّاب مغاربة.

ويضيف أن السّير الذّاتية في الأدب الليبي تختص بالأمكنة والمجتمع والثقافة، ويرجع ذلك للتّكوين الاجتماعي الذي يجعل من الفرد حلقة بالمجتمع من حوله، فلا يحق له أن يكون ذاتيّاً[2].

والكاتب (خليفة التليسي) يرجع عدم وجود كتابة ذاتيّة إلى حكم الدّين الإسلامي، فقد أمرنا بالستر بوصفنا مسلمين، مما يفقد الكتابة عماد لوازمها، وهو الكشف عمّا يعتري النّفس، والبوح بما يخالج الفؤاد.

أما الناقد (حسين المزداوي) فيعلل غياب الكتابة الذّاتية لغياب الجرأة على الكتابة.

---

(1) السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص: 65، نقلاً عن مجلّة عراجين، العدد 3، 2005، ص: 97.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 66.

إذاً يمكن القول إنّ السّيرة في ليبيا لم تكن على درجة من النضج والحداثة، مثلما كانت في غيرها من الأقطار ويرجع النّقّاد ذلك إلى عوامل متأصلة في المجتمع كالبيئة الدّينية والاجتماعية المنغلقة، وعدم السّماح لشخص بالتعبير عن ذاته خوفاً من المجتمع المترابط، إضافة للتربية الدّينية المتمثلة في السّتر، إضافة إلى عدول الكتّاب الليبيين أصلاً لشيءٍ يخالج افئدتهم، متمثلاً في الافتقار للجرأة وهذا ما استقر في أذهانهم، يرون ذلك من المحظورات، وهذا يرجع - في رأيي - إلى انغلاق الشخصية الليبية وعدم انفتاحها على العالم الخارجي، الذي بدوره سيحررها من هذه التناقضات وهذه الالتزامات، مما يتيح للكاتب التعبير بحرية، وعند انفتاح الكتّاب الليبيين على غيرهم نراهم كتبوا سيرهم، وحطّموا قيود المجتمع، وصنعوا قيود الالتزام لا الإلزام الخارجي.

البدايات في أي فنّ لأي كاتب يعتريها النّقص وتفتقر إلى الكمال، وهكذا كانت الكتابة الذاتية في ليبيا، متمثلة في التسلسل الزّمني للأحداث وكانت متمثلة في:

(يوميات الكاتب الطرابلسي) لـ (حسن الفقيه حسن)[1]، ثم يليه (ريّ الغليل في إخبار بني عبد الجليل) لصاحبه (محمد عبد الجليل سيف النّصر).

وقد تميّزت كتاباتهم باستخدام اللهجة العاميّة، رغم معرفتهم بأصول اللغة وانفتاح قرائحهم بحفظ القرآن، ولكن سبب ذلك يظل مجهولاً[2].

_ تطور السّيرة الذّاتية في الأدب الليبي الحديث

في نهاية القرن العشرين شهدت الكتابة الذّاتية في ليبيا تطوراً ملحوظاً، تمثّل في الانفتاح على الغير، وتبادل الأفكار والقراءات المختلفة التي وسّعت مداركهم، ولقّحت

(1) السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، ص: 68.

(2) المرجع السابق، ص: 69.

كتاباتهم، وهذّبتها بشكلٍ ملحوظ، ونجد ذلك عند (عبد الله القويري) ـ أحد الكتاب ـ من خلال سرده لسيرته وعلاقته بالوطن الذي يحنّ له مما شكل الشعور بالانتماء لديه، وعشقه للكتابة، ونجد ذلك في (الوقدات)، وكذلك (أمين مازن) الذي سجّل تاريخ ليبيا في (مسارب) و (علي فهمي خشيم) فسمي مؤلفه (هذا ما حدث) ويمكن إضافة (كامل المقهور) إليهم في (محطات).

و نجد أنّ هؤلاء الكتّاب قدّموا لنا سيرهم، وصنّفت تحت هذا الجنس الأدبي وعدّت من أولى الكتابات الذاتية الناضجة في الأدب الليبي الحديث، أو هي ركائز الكتابة الذاتية في ليبيا، حملت في محتواها مراحل متعددة من حياة كتّابها، عبّر كل منهم عنها وفق منظوره الخاص، وبطريقته رغم اقتراب الأساليب من بعضها، وتشابه الأمكنة والأحداث،، وتفاصيل الشخوص، لكنّ لكلّ من هؤلاء صورة ميّزت كلاً منهم عن الآخر، حتى وإن تشابهت مكوّنات كل السير، وأقصد بالمكونات الزّمن الذي عاشوا فيه، وكذلك اقتراب الأحداث التي مرّ بها كل منهم، وذلك يرجع إلى أنّ كتاباتهم كانت حول بقعة واحدة، والسّارد من هذه البقعة أو المكان، مرّ بنفس الظروف، مع اختلاف يصلح لأن ندرس من خلاله فترة معيّنة لكل كاتب، وهي طفولته وكيف صوّرها.

السرد السير ذاتي الطفولي

_ مدخل نظري حول الطفولة :

الكتابة حول مرحلة الطفولة ، ليست من اليسر و السهولة ، كما نقد هذه المرحلة من العمر كذلك و ربما كانت من أصعب أنواع الكتابة و النقد حول مرحلة عمرية معينة لما تتطلبه من وعي بالمنافذ التي يمكن ولوجها إلى هذه المرحلة .

و العودة إلى هذه المرحلة من حياة الإنسان بغية نقدها و تصويرها ، يعد عودة إلى الحياة البسيطة ، عودة إلى اكتشاف ما كان و ما يزال يحيط بالفرد من أفكار، وأحلام، و رموز، و حكايات انعكست على شخصيته وجسدها في كتاباته ولا جدال حول أهمية أن تكون تصورات حول هذه المرحلة المهمة من عمر الإنسان المسمى ب(الطفولة)، من خلال بيان امتداده العمري من مفهوم عام (هي المرحلة الأولى من عمر الإنسان) وهي (المرحلة التي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمر الإنسان)، أو (المرحلة الممتدة من الولادة إلى ما قبل سن المراهقة) كما بينها علماء النفس .

والاهتمام بهذه المرحلة هوا علامة من علامات التغير الأدبي ، فهذه المرحلة لم يكن لها دور في الكتابة في الأدب العربي القديم ، بينما نجد هذا الدور حاضرا في النصوص الأدبية الحديثة ، فالطفولة في السير الذاتية الحديثة حاضرة ولا نكاد نجد كاتب سجل سيرته إلى و قد استفتحها بحادثة مولده أو بداية وجوده في الوسط الاجتماعي الكائن به "فالحديث عن الطفولة الشخصية يستغرق من السير الذاتية حيزا كبيرا و إن كانت طائفة كبيرة من السير الذاتية تقف عند بلوغ صاحبها سن الرشد فإن الميل الفطري لمؤلف السيرة الذاتية يلائم وق القارئ ، فالأول بحاجة إلى

إحياء ماض عزيز عفا ، والثاني يجد لذة في أن يرى نفسه في غيره ويطمئن إلى أنه إنسان سوي "[1] فالكاتب و المنظر الذاتي جورج ماي في كتابه يصرح بأن كتاب السير قد أفردوا حيزا كبيرا من سيرهم لتصوير هذه المرحلة ، ويرجع ذلك إلى الميل الفطري للإنسان الذي ينجذب غالبا لمعرفة أحداث الطفولة ؛ لإحياء ذكريات عزيزة على النفس أو مواقف شديدة الندرة ينتج عنها انطباع سيء يؤثر سلبا على شخصية الكاتب و أما القارئ بدوره يبحر بخياله بين تفاصيلها ليرجع إلى ذاته الطفولية من خلال السرد ، و يدعّم الشعور بأنه على الطريق السوي .

و الكتابة حول هذه المرحلة العمرية من حياة الكاتب لا تخلو من النسيان ، وفي ذلك يقول جورج ماي " عندما نبدأ في كتابة تاريخ حياتنا يكتشف معظمنا أنه قد نسي جانبا كبيرا منه ، فالبعض ينسى مرحلة الطفولة بأكملها ولا تظهر للرجل إلى على أنها سلسة مواقف و انطباعات "[2]

واستقرار الإنسان داخل إطار اجتماعي ينتمي له وفضاء مكاني عاش مراحل طفولته فيه هوا ما يربط ذكرياته ،و مواقفه ، و انطباعاته ، بألوان الواقع الذي يعيش فيه، فيسهم بذلك في تذكر لوحات من طفولته ليقدمها في صورة سرد .

والحديث حول هذه المرحلة من العمر في مرحلة عمرية متقدمة هي حاسة جديدة تلامس الواقع ، فترى مالا تراه ذاكرتنا البالية " أن تكون طفلا يعني أن ترى الأشياء للوهلة الأولى فتشعر ليس فقط بما يشعر به غيرك ؛بل و بما تشعر به أنت قبل. ذلك تماما هوا عمل الابداع الفني "[3] إذا فالكتابة حول الطفولة هو صدق مع الذات، في أقصى تحرر من أوجه الاكراه والرقابة .

---

(1) السيرة الذاتية جورج ماي ص165 .
(2) السيرة الذاتية جورج ماي ص98 .
(3) ينظر كتاب صورة الطفل في الأدب محمد جنادي 2017.

ـ وفي الحديث حول الطفولة ومعناها الفني والأدبي يقول(كارل يونج)" هي نوع من الشخصيات ،أو نمط من السلوك، أو شكل من أشكال القص، أو صورة ،أو رمز، يعكس نمطا بدائيا وعالميا، ويجد استجابة لدى القارئ ،على اعتبار أن الطفل هو أبرز نماذج التحول التي تشتغل عليها الأعمال الأدبية"[1].

وهناك العديد من الكتب التي اهتمت بفترة الطفولة فقط ، مثل ما كتبه بنيامين في (طفولة في برلين)، وكتاب (رباعية أيام الطفولة) للكاتب إبراهيم عبد الحليم،(كنت (صبيا في السبعينات) للكاتب محمود عبد الشكور، وكتاب (طفل في القرية) لسيد قطب ،وكتاب(طفولتي) للكاتب مكسيم جوركي، وكتاب (النوافذ المفتوحة) لشريف حثالة.

و المتصفح للسير الذاتية سيجد تخصيصا لهذه المرحلة مثل ما ذكره أحمد أمين في كتابه (حياتي)، وطه حسين في كتابه (الأيام)، وتوفيق الحكيم في كتابه (سجن العمر) .

أما في ما يخص نقذ هذه المرحلة و دراستها " نجد الكاتب تييتز رووكي قد خصص كتابه (في طفولتي) لدراسة مرحلة الطفولة في السيرة الذاتية العربية ، وقد عنون الفصل السادس من الكتاب بعنوان (الطفولة العربية) تحدث فيه عن الطفولة باعتبارها علامة من علامات التغيير الأدبي فتكلم حول دراسة هذه المرحلة في الأدب الغربي والأدب العربي، وقد جعل لدراسة هذه المرحلة ثنائية طبقها على الأدب العربي تمثلت في :

- تطور السيرة الذاتية في مرحلة الطفولة .

(1) ينظر كتابة صورة الطفل في الأدب محمد عمر جنادي 2017 .

- تطور السيرة الذاتية في مرحلة الطفولة والنضج .[1]

ويذكر أن " أعمال السيرة الذاتية العربية ذات طبيعة مختلطة فلا هي مكرسة لفترة الشباب ولا هي ملتزمة على نحو خاص بالمحاولة والخطأ في مرحلة النضج بل تعطي مساحة من المرحلتين"[2]

والسيرة الذاتية الخاصة بالطفولة هي الأكثر صلة بالرواية من السيرة الذاتية الكاملة "سيرة الطفولة تستخدم الكثير من القواعد الأدبية للكتابة الروائية بينما لا نجد تلك الدرجة من الاندماج في السيرة الذاتية المعيارية والرواية"[3]

ومرد ذلك لفقدها للدقة في نقل الأحداث والتسلسل الزمني الذي يشترطه الكتاب في كتابة السير الذاتية، فالكاتب حول مرحلة الطفولة يستخدم خياله ليدعم به ما تستحسنه النفس أو ما تهابه أو تقبحه فيضفي عليه معالم جمالية أو خلافها، وفق منظور الكاتب ورؤيته وغالبا ما تخالف الواقع في تلك المرحلة أو عدم تجسيده تجسيدا دقيقا و لذلك تعد الكتابة حول الطفولة كتابة فنية تشبه الرواية في أحيان كثيرة .

و قد كتب الكتاب اللبيين سيرهم الذاتية و جسدوا مراحل طفولتهم ، كل حسب معطياتها وتختلف طولا وقصرا حسب ورودها في النص، و قد تضمن هذا البحث دراسة هذه المرحلة العمرية وفق المعطيات المتاحة في السرد وقد خصص الفصل الأول لدراسة المكان الطفولي ، وقد استفتحت الدراسة به ، على اعتبار أنه الهيكل الذي يحمل باقي عناصر السرد و من خلاله يقدم باقي عناصر العمل كالزمن والأحداث والشخوص ، و لأن الطفل شديد التعلق بالمكان أو الفضاء الذي يعيش

---

(1) في طفولة تيتز رووكي ص187- 188 .

(2) المصدر السابق ص193 .

(3) المصدر السابق ص 231 .

فيه ومتعلقات المكان من المعطيات أو الصور التي ترسخ في ذاكرة الطفل و من المستحيل نسيانها ، فمن الممكن أن ينسى الطفل شخصيات كثيرة في مرحلة طفولته، و كذلك يصعب عليه استرجاع العديد من الأحداث و الزمن الذي يخص هذه المرحلة من حياته ، لكن لا يمكن للشخص أن ينسى المكان الطفولي الذي عاش فيه و كون فيه ملامح حياته بداية من بيته فالشارع فالمدرسة فالكتاب كل تلك الأمكنة لها صورة واضحة المعالم في خيال الكاتب عند تصوير مرحلة طفولته ، ولهذا كان الاشتغال على المكان أو الفضاء الطفولي في مقدمة نقذ هذه المرحلة من حياة الكتاب موضوع الدراسة .

الفصل الثـــاني:

صورة المكان الســردي فــي مـرحلة الطفولة

المبحـــث الأول:

- مــدخل نظـــري لـــدراسة المكان
- مفهـــوم المكـــان فـــي الســـرد
- مفهوم المكان في السيـرة الذاتية

مدخل نظـــري لـدراســة المكـان

يمثل المكان واحدا من أهم عناصر السرد وهو شرط من شروط العمل الأدبي ، فلا يمكن تصور أي عمل أدبي يخلو منه ، فهو الخلفية التي تحتضن الشخصيات ، والوعاء الذي تحدث فيه الأحداث فلا يمكن تصور وجود إنساني بغيره و لهذا فلا يخلو عمل أدبي من عنصر المكان شرط لإقامة السرد .

و يمكن الخلوص إلى أن للمكان أهمية في إقامة العمل الأدبي و قد تكلم النقاد حول أهمية المكان في العمل الأدبي فمنهم من جعله روحا له .

" يكتسب المكان أهمية بالغة في الدراسات النقدية، ويعد واحداً من أهم عناصر السرد، التي لا يكتمل عمل سردي بدونه، فيصعب تصور أي عمل سردي خاليا منه، لصعوبة تصور وجود أحداث تدور في (اللامكان) أو شخصيات تعيش خارج حدود المكان؛ ومن الملاحظ تزايد الاهتمام بالناحية المكانية و "أصبح عنصر المكان...موضوعاً مهما للدرس النقدي الحديث والمعاصر"[1].

كما يستمد المكان أهميته من الواقع الإنساني؛ تلك الأهمية الناتجة عن الارتباط القوي بين الإنسان والمكان منذ بدء الخليقة، و يمكن القول "إن للأشياء تاريخا مرتبطاً بتاريخ الأشخاص... إن الإنسان الحقيقي يتألف من الجسم ومن الأشياء التي تخص الجنس البشري كما يخص العُشُّ هذا النوع من الطيور.

(1) المكان في روايات عبد الرحمن منيف: مريم خلفان حمد، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة القاهرة 1992، المقدمة (د).

و منهم من جعله أهم و أعم و أشمل و عبر بأنه ارتباط متبادل بين الإنسان و المكان منذ بداية الخليقة و جعله الحيز الذي تدور فيه كل المخلوقات من إنسان و طيور و أي كائن حي .

"وظهور الشخصيات و نمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له و الأمكنة تتشكل من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال "[1].

إذاً فالمكان يظل الحاضن الأساسي للوجود الإنساني؛ مهما كانت طبيعة الوجود، فالمكان ذلك الحيز الذي يحوي سعادة الإنسان وتعاسته.

(1) بنية الشكل الروائي(الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ،ط1 1990 ، ص29.

مفهوم المكان في السرد

إن للمكان أهميته في الدراسات الأدبية جعلت (غالب هلسا) يقول: "إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وأصالته، والمكان بوصفه تجربة تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها له وتثير خيال المتلقي فيستحضر بوصفه مكانا خاصاً متميزاً[1].

ويقصد بمصطلح المكان أو الفضاء عند (جاستون باشلار) "هو المكان الأليف"[2]، عن طريق إطلاقه مصطلح المكان على (البيت) فقد جعل منه جسداً وروحاً إنسانية، ولكن إضفاء صفات الإنسانية على البيت يحدث على الفور حين يكون البيت مكاناً للفرح والألفة، فهو (المكان الأليف) من وجهة نظره، عندما يكتسب هذه الصفات.

إذاً فالمكان هو وسيلة اتصال بين المبدع والقارئ بواسطة الصورة الفنية التي يرسمها المبدع، وقد عد باشلار (بيت الطفولة) هو جدار المكان، وفي معرض التفصيل بين مصطلحي (الفضاء) و (المكان) فقد ورد أن الفضاء شمولي، إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء[3].

أما الناقد (حسن بحراوي) فنجده في بحثه (بنية الشكل الروائي) يدرس المكان بوصفه عنصراً حكائياً، والفضاء مكونا أساسياً، ويميز بينهما في حدود التفريعات

---

(1) المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، دار ابن هاني 1989، ص: 8، 9.

(2) جماليات المكان جاستون باشلار ترجمة غالب هلسا، ط3 المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان1407-1987 ص 45،96

(3) الزمان والمكان في روايات نجيب الكلاني، وجدان يعكوب محمود، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، ص147.

دون التطبيقات ويرى"أن المكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد"[1].

ويعتبر (جرار جنيت) "أن الفضاء ليس شيئاً آخر سوى ما ندعوه عادة(صورة Figure ...) ويقول إن الصورة هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء وهو الشيء الذي تهب اللغة نفسها له"[2].

ويختلف تجسيد المكان على الزمان بالرغم من تداخلهما "حيث إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث"[3].

أما (سعيد يقطين) فنراه قد فصّل في تعالق الزمان والمكان في الأعمال السردية وقد أورد بذلك تفصيلاً للمكان قائلاً: "السرد فعل زماني، فهو يتحقق في الزمان لأنه يتحرك في مجراه وبواسطته، لأنه يتقدم متصلاً به، الوصف فعل مكاني إنه توقيف لزمان السرد لمعانقة ثبات المكان...فكل زمان يتحدد في مكان كما أن أي مكان لا يمكن إلا أن يؤطر في اللحظة الزمنية المعنية"[4].

فهناك من جعل (الفضاء) و (المكان) متعادلين ويحملان المعنى نفسه، وهناك من فصل القول في ذلك على أن الفضاء معادل للمكان قائلا: "إنه الحيز المكاني

---

(1) بنية الشكل الروائي ، ص 26.

(2) خطاب الحكاية، جرار جنيت ، ترجمة محمد معتصم و آخرون ،ط2 المجلس الأعلى للثقافة .

(3) بناء الرواية، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر ـ بيروت 1984، ص 76.

(4) السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، ط1 رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص 195.

في الرواية أو الحكي عامة، ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي"[1]، فالفضاء هنا معادل لمفهوم المكان.

وهناك من جعل (الفضاء) في (الرواية) أوسع وأشمل من المكان، "إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي... ثم إن الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية؛ بخلاف المكان المحدد، فإدراكه ليس مشروطاً بالسيرورة الزمنية للقصة"[2].

ويمكن الخلوص إلى أن للمكان كياناً اجتماعياً يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه لذا فإن شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءًا من أخلاق وأفكار ووعي ساكنيه، ومن خلال الأماكن يستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه ،وطريقة حياتهم، وكيفية تعاملهم مع الطبيعة.

([1]) بنية النص السردي من منظور النقد الأدب، د. حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص 53 ـ 54.

([2]) المصدر نفسه، ص 64.

مفهوم المكان في السيرة الذاتية

سبق وأسلفنا أن أهمية المكان في الوجود الإنساني ضرورة حتمية، اقتضاها التكوين الإلهي للخلق ، فلا يوجد وجود يفتقر للحيز و الفضاء الملائم الذي يعيش فيه الانسان ، فكل مخلوق يحتضنه مكان يأوي إليه ، فيكوّن فيه معالم حياته ، علاقاته، وانفعالاته التي خلق مزود بها ، ليكون بذلك ملجأه الذي يأوي إليه خوفا و رهبة من شر يتربصه أو طلبا للراحة والاستقرار ، و نظرا لهذه الأهمية فمن المسلم به أن تنشأ علاقة بين الإنسان والوسط الذي يعيش فيه ، علاقة تأثرية ولهذا فإن هذه العلاقة القائمة بين الإنسان وعالمه المحيط تشكل معالم شخصيته ، وهو بدوره يطبع هذا المكان بطابع البشرية؛ بخلاف الأمكنة غير الآهلة للعيش الإنساني كالغابات و غيرها .

"تبدو علاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثيرية تسير باتجاهين؛ إذ يسهم المكان في تشكيل وعي الإنسان بوجوده وتطبع فكره وهويته، كما يسهم الإنسان في إضفاء خصائص إنسانية على المكان؛ بتبديل صفاته وبنيته وأنسنة فضائه، وهذه العلاقة التأثرية تتحول إلى علاقة حميمية"[1].

وقد عد الكاتب السيرة الذاتية فنا زمكانياً مخرجا إياه من حدود القسمة التقليدية "ويتكئ الاشتغال بالمكان على كون السيرة الذاتية فناً زمكانياً خارج القسمة التقليدية للفنون، وهو بذلك يعكس تفرد النوع بقدر ما يعلن تفويضاً للتقسيم ذاته"[2].

والأماكن في السيرة الذاتية ليست أماكن حقيقية تماماً؛ وإنما بقدر ما يريد الكاتب إضفاء الصدق عليها، "فالمكان في السرد الذاتي يختلف عنه في أنواع السرد الأخرى

---

(1) المكان في السيرة الذاتية، دراسة، عمر منيب إدلبي.

(2) طبيعة السرد في أعمال السيرة الذاتية عند يوسف شاهين، بقلم محمد عبد الرحيم، 2013/8/15. Details. www.eyeonema,net

ذلك لأنه يخضع لزمنه الذاتي تماماً، فهذا المكان يريد تأكيد حضور الزمن المنفلت رغما عن صاحبه، فالأماكن هي الإطار الزمني للتخيلات والأحلام في أماكن زائفة رغم كل المحاولات لجعلها حقيقية؛ لأن السارد الذاتي يريد رؤيتها، فالأماكن من خلاله هو وليست كما هي في الحقيقة".

إذاً "فالمكان يظل الحاضن الأساسي للوجود الإنساني مهما كانت طبيعته إذ يسهم في إنتاج الكثير من المشاهد والأحداث، وتتعدد الأمكنة التي يتحرك فيها الكاتب السيرذاتي، وهذا التعدد مرتبط بالتطور الشخصي للإنسان منذ طفولته حتى كهولته، وهذا التنقل التصاعدي بين الأمكنة يكشف عن الجوانب الحيوية للشخصية التي تحركت للوصول إلى هدفها المراد"[1].

ولا تقل مكانة المكان في السرد السيرذاتي أهمية عن مكانته في الرواية؛ ولاسيما أنه يحظى بالواقعية والحقيقية التي يفتقدها المكان الروائي، إذا "فأهمية المكان تتضاعف في السيرة الذاتية؛ لأن هذا المكان (اللغوي) في العمل الأدبي له مقابل في الواقع وليس فضاء متخيلاً ابتدعه الكاتب، غير أن ارتباط مكان السيرة الذاتية بالمرجع ـ المكان الواقعي ـ لا يُفقده بعده الإيحائي والسحري لأن كاتب السيرة الذاتية بصفته بطلاً لسيرته تنعكس حالته النفسية على محيطه في العمل، فتتلبس الأمكنة بألوان النفس وهمومها"[2].

---

(1) الشرق والغرب في السيرة الذاتية، خالد الخشرمي، العربي ـ بيروت 2013. http// www.almastaqbal.com /storiesvu

(2) فورة الأجناس ورسوخ السيرة الذانية في وجوه، لمحمد شكري، 1 ـ 2، 2005.

المبحـــث الثاني

صـــورة المكـــان في البنيـــة السرديـــة

صور المكان في البنية السردية.

1 ـ كامل حسن المقهور، وتعدد المكان في البنية السردية

للمكان خصوصية فنية في العمل الأدبي؛ يجعل منه عملاً فنياً عن طريق الصور الفنية التي تجعل من المكان مسرحاً لها، فهو ذلك البيت الذي ولد فيه الكاتب، بيت الطفولة، وهو المكان الذي مارس فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خياله، "فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة"[1].

والبيئة المكانية للكاتب في محطاته متنوعة، وهذا التنوع الذي لابد منه في كتابة السيرة الذاتية من خلال وقوف الكاتب على محطات في حياته له الأثر النفسي البالغ، وهذا بدوره يشكل مرجعية لتكوين صورة حول طفولة الكاتب، فالسبيل لمعرفة تأثر الكاتب بالمكان هو دراسة هذه الأمكنة وفق تحليل نقدي نفسي[2]:

1 ـ **الزاوية والكتَّاب:** تعد الزاوية من متعلقات البيئة المكانية لدى الكاتب في مرحلة طفولته وقد أثر المكان سلباً أو إيجاباً على نفسية الكاتب وفق معطيات لها دلالات نفسية، عندما تكلم الكاتب على الزاوية التي درس بها قال:

(1) جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، غاستون باشلار، ص: 6.

(2) ينظر: الرؤيا والتشكيل في ابداع كوليت الخوري الروائي ـ رسالة دكتوراه، إعداد سهى محمد هايل موسى البزاعيط، جامعة مؤتة، 2009.

"**الفلقة التي لا تغيب على باحة المسجد، الفقيه المتربع في فناء المكان، النور الذي يطل من أعلى باحة المسجد، اللوح أتصوره مقدسا، أشرب من الطين الغاسل لما كتب عليه حتى أعب من كلام الله**"[1].

فلهذا المكان دلالات متناقضة، له دلالة رهبة وخوف، كما له دلالة حب واحترام وتقديس، ولهذا نرى الكاتب وظّف للمكان دلالات متناقضة، فـ **النور الذي يطل من أعلى باحة المسجد** يولّد شعوراً بالانشراح النفسي والراحة الجسدية والانفتاح الذهني لما ينعكس عليه، أما الفقيه الذي يعد من الذوات المتعلقة بالمكان، (والعصا) بيده شكلت دلالة خوف ورهبة، فقد عكس المكان الواحد دلالات متناقضة نظراً للتناقض الحاصل في دلالات هذا المكان على نفسية الكاتب، والزاوية تعد من الأماكن المغلقة، لكن الكاتب حول المكان المغلق إلى مفتوح وقد كان ذلك بطرائق عدة منها النوافذ والشبابيك وشرفات المكان واتساع أبهائه، وكثرة الناس الداخلين والخارجين منه، علوه في السماء على شكل معمار يجعل منه أكثر إشراقاً و أكثر انفتاحاً، وهذا الوصف الذي عوّل عليه الكاتب على الرغم من حقيقته وتغييره على الواقع باعتباره سيرة حقيقية، إلا أن الكاتب أضفى عليه صبغة الرضا النفسي فانعكس ذلك على أسلوبه في الكتابة والتعبير.

وبالرغم من أن للمكان دلالة رهبة وخوف فإن الدلالات التي امتزجت بها استطاعت أن تختزلها مع مرور الوقت، فدلالة الخوف تخللتها دلالة حب وتقديس وأُنْس ورَغْبة، والكاتب اكتسب دلالة الرهبة من هذا المكان لما للفقيه من أهمية، ولكن مع الأنس الحاصل بينهما وبين الكاتب وكتاب الله تغيرت الدلالات لتكتسب معاني جديدة.

(1) محطات، كامل حسن المقهور، دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، د.ت، ص: .....

دلالة تقديس اللوح المقدس "القرآن الكريم"، دلالة إيجابية غرست وارتبطت بالمكان وتمثلت في الرغبة في التحفيز للحفظ عن طريق توزيع "الحلوى" على الطلاب في ساحة المسجد، والذي له من الأثر النفسي ما لا يخفى، فوصف الكاتب لتلك "الحلوى" وحبه لها حتى أيام شبابه يدل على أن للمكان متعلقات غرست بنفس الكاتب واستلذ بذكرها، والمسجد والكتاب يعد من الأماكن المغلقة ؛لكن الكاتب ومن خلال توظيفه له بالدلالات الإيجابية التي استطاعت بدورها أن تطغى على ما هو سلبي أن يكسبه دلالات المكان المفتوح، بما أحدثه من ارتياح نفسي انعكس إيجابياً على نفسية الكاتب "فكون المكان مليئاً بالاحتمالات والحركة والحرية هو مجدد للطاقة، وإذا كان زاخراً بالمنبهات الحسية والبصرية والسمعية والشمية واللمسية والتذوقية"[1]، فالمؤثر السمعي في الكتاب يتمثل في تلاوة القرآن والاستماع إليه والتأثر بما يسمع بينما الشمية المتمثل في رائحة الطين الذي في الممحاه الذي يذكر أنه لا يقرف منه بل يشربه ليشرف بكلمات القرآن، واللمسية المتمثلة في ملامسته للدواة والطين والقلم وتحسسه ما هو عليه، والتذوقية تذوقه للطين عن طريق شربه، وتذوق حلوة (الشوكار) الذي لازال حتى وقت كتابة سيرته يتلذذ بطعمها.

إذاً فالمكان وفرّ هذه الدلالات واكتسب بدوره طبيعة الأمكنة المجددة للطاقة الذهنية والعقلية والجسدية. وبهذا يكون الكاتب قد قدّم رؤيته للمكان وعلاقته المرجعية به، وحركة الذات قد انسجمت مع المكان في هذا الفضاء المتمثل في الكتّاب، وفق ما تبينه انعكاسات المكان النفسية على الذات الطفولية لدى الكاتب الراوي.

2 ـ ثنائية المحلة والمدينة:

(1) الحلم والرمز والأسطورة، د:شاكر عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 299.

يحرص الكاتب في هذا الفضاء المكاني على إبراز معالم المكان العام متجسداً في ثنائية المحلة والمدينة، فمحلة الظهرة في مقابل فشلوم ومظاهر التمدن على الواجهة وواقع متردي من ورائها، للوقوف على دلالات المكان لكل من محلة الظهرة وفشلوم وعلاقة كل منهما بطفولة الكاتب، لابد هنا من عرض ملامح محلة الظهرة في مقابل ملامح فشلوم، ومن ثم الخلوص إلى عقد مقارنة بينهما والتوصل من خلال الدلالات الحسية للمكان وفق تحليل نفسي مستند على معطيات من كتابته أو إشارات خفية تدلنا عليها أبعاد نفسية:

الظهرة	فشلوم
((تقع على ارتفاعة تمتد من شاطئ البحر حتى ينتهي العمران الجديد في المنشية. يحدها إلى الغرب المستشفى المركزي وبداية سكة الحديد. ويقع على جوارها الغربي الأوسط قصر الوالي. في جزء من ارتفاعها بني خزان مياه بناء مدور الشكل ضخم الجتّة يقبع على قلبها يخشى الناس أن تميد به الأرض. على جانبها الأيسر في اتجاه البحر	تقع على الامتداد الشرقي للظهرة ، بها مستشفى الأمراض العقلية. عند قلبها: (الجبّانة) يتوسطها ضريح أبيض على رأسه علم أخضر تحيطه القبور من كل جانب. شق الإيطاليون في قلبها طريقاً يربط مداخل المدينة بطريق الشط، ينحدر مع انحدار محلة فشلوم على البحر يملكه

كنيسة بيضاء بخطوط برتقالية وبيت لراهبات. تقابل الكنيسة عمارات متوسطة الأحجام يسكنها الإيطاليون تستعمل أدوارها الأرضية محلات للبقالة والخمارات ودكاكين للحرفيين.	ألماني ـ يديره إيطالي يعمل به العرب . الشارع الذي يقطع الشارع الرئيسي الموازي لاتجاه الشاطئ يصل إلى فشلوم. توزع سكانها في مربعات خصصت لهم منذ الأزل. في اتجاهها من الشوارع الأربعة تتعدم الرؤية ليلاً.
على يمين الكنيسة بضعة أمتار يقطع الشارع الرئيسي شارع آخر موازٍ لاتجاه الشاطئ يضيق عند التقائه بالتقاطع، تتعدم معالمه عند الشرق. تقارب المالطيون مع الإيطاليين وأحاطوا بالكنيسة وخزان المياه. احترفوا تربية الماعز ومهن لا يتقنها العرب. تربع الإيطاليون على طول الشارع الرئيسي. يقومون بالأعمال الميكانيكية وأغلبهم موظفون بإدارة المدينة. زرع الإيطاليون دوراً واسعة جميلة تحيطها أسواراً منخفضة. دكاكين الإيطاليين على الشارع الرئيسي وحوانيت العرب خلفها. الظهرة (المحلة) جزء من مدينة	يفترش الباعة البراح المقابل (للجبانة) ويجلس بين (الجبانة) الكبيرة والصغيرة المتسولون. لم يكن أحد يذهب لفشلوم إلا لحاجة كبرى إلى أن سكنه السودانيون، دينهم الإسلام عندها عمر فشلوم وتردد عليه الباعة))[1].

(1) كامل حسن المقهور، ص41 ـ 133.

حديثة على الواجهة. روادها الإيطاليـون ساكنو العمارات التي تواجه الكنيسة. حانة مواجهة لبـاب الكنيسة... تفتح بعد الغروب.	

- الظهرة وفشلوم: مساكن العرب الليبيين في تلك الفترة.

على جوانب المحلة ـ فشلوم بقع فقيرة

أزقتها مترية.

إضاءتها الجاز.

في كل بيت أسرة كبيرة أو مجموعة من الأسر ـ دلالة الضيق ـ

إلى جوار الضريح (الجبانة) المقابر سكن الناس ـ أهل البلد ـ مكان يطلق عليه "مقطع الحجر" جزء ضيق موحش مترب يتصاعد إلى أن يصبح أعلى منطقة في المحلة ـ فشلوم.

إلى جوار خزان المياه تنخفض "الخنادق" إلى أن تصبح في مستوى أقل من باقي أرضية المدينة، في هوة من ارتفاعة المحلة.

لا يختلط سكان كل منهما بغيرها.

خـلف مربعـات المبـاني التي بناها الإيطاليون بيوت العرب.

حوانيت الأعراب خلف دكاكين الإيطاليين على حافة الشوارع الرئيسية.

تقدم الصورة فضاء وسيطاً بين المدينة وبين فضاء إطاري خارجي، يضم جموع المعدومين، وهنا تكرس المحلّة طبيعة الطبقة الوسطى العاملة التي تعاني التهميش أكثر من كونها معدومة بشكل نهائي[1].

ومن هنا يمكن الخلوص لما يلي: إن مظـاهر التمدن المتمثلة في المنتجع ـ الظهرة ـ قصر الوالي ـ غرب الظهرة ـ خزان المياه الذي بني على ارتفاعها ـ الكنيسة وبيت الراهبات ـ العمارات التي يسكنها الإيطاليون ـ الخمارات ـ احترافهم للمهن المهمة وغير المهمة ـ زراعة الحدائق الجملية، أي شارع يعد جزءاً من المدينة على الواجهة، مظاهر هذا التمدن كانت مقتصرة على الإيطاليين والألمان، وغيرهم مهمشون على جوانب الشوارع الرئيسية.

الظهرة لجانب فشلوم:

الظهرة وفشلوم	بيوت العرب
الضوء المتمثل في الإنارة القوية فالليل والنهار سواء.	إضاءتها الكاز ويغيم عليها الظلام.
ـ يسكنها الإيطاليون الأغنياء.	يسكنها بقع فقيرة مقتصرة على العرب.
الأبنية عبارة عن عمارات يسكنها الإيطاليون يوجد بها خزان للمياه.	مقتصرة على بيوت تسكنها عائلات كثيرة في مستوى أقل من باقي أرضية المدينة.
البيوت على واجهة الشوارع الرئيسية وعلى شواطئ البحر.	المياه ليست متوفرة إلا من خلال صنبور المدينة الذي يرتاده كل السكان.
دكاكين الإيطاليين على حافة الشوارع الرئيسية .	خلف مساكن الإيطاليون توجد مساكن العرب البسيطة.

(1) جدلية الذات والمرجعية في سيرة الأدباء الليبيين الذاتية، ص290.

الحرف متعددة.	حوانيت العرب خلف دكاكين الإيطاليين.

إن التمدن الحاصل في المدينة الذي بطبيعته يحمل معاني ودلالات إيجابية تنعكس إيجاباً على نفسية الكاتب الذي يمسه هذا التمدن ويؤثر إيجاباً على نفسيته وحياته وأحلامه، لكن الكاتب هنا كان مجرد واقف غريب ، واصفاً هذا التمدن الذي انعكس سلبا على نفسيته لما جاء به هذا التمدن من معاني سلبية كان تأثيرها سلبياً، ووصف الكاتب لها كان تعبيراً عن رفضه لمعالمه التي لا تتناسب وطبيعة المجتمع الليبي البسيط، فالتمدن الحاصل لم يطل العرب ـ ويعد الكاتب منهم بل اقتصر على الإيطاليين وتطبع بطابعهم، تمدن مستهجن تمثل في الحانات والغانيات والكنائس، تمدن مقتصر تمثل في اقتصار المظاهر الإيجابية على الايطاليين كالخزان والمباني والحدائق، تمدن مرتدي لباساً لا يستر ما خلف هذا التمدن من مرارة عيش، وسوء حال وظلام دائم، وحياة مهددة بالنزوح أو الزوال.

إذاً فالظهرة وفشلوم تمثل تقاطبا مع العرب وبيوتهم، ثنائيات متضادة بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا "ولعل التناقضات الثنائية أسهمت في بناء الفضاء الروائي عن طريق التعارض"[1].

بيوت العرب لها دلالة **المكان المغلق:** وحملت ما لهذا المكان من دلالات الظلام، (البيوت المزدحمة) (البيت الواحد الذي يحصى العائلات الكثيرة)، (عدم توفر الماء وندرته) انعكس سلباً على نفسية الكاتب فالظلام له دلالات كالخوف من المجهول الذي ينتظر هذه الطبقة، والموت المتوقع في كل حين جراء مرض أو جوع أو برد' **والمكان المفتوح:** تمثل في الشوارع الرئيسية التي بنيت عليها المدينة التي

(1) بناء العالم الروائي، ناصر نمر محيى الدين، بوابة الأفق للمعلومات، مكتبة فهد الوطنية، ط 1 1433هـ ـ 2012م ، ص: 212.

يسكنها الايطاليون، ورغْمَ أن المكان مفتوح فقد حمل دلالات سلبية جعلت منه منغلقاً؛ لانعكاسه السلبي وعدم تأثر الكاتب به، أو أن التمدن الحاصل لم يمسسه ولم يتناسب وطبيعته، أو طبيعة المكان الذي عاش فيه طفولته حمل دلالات استذكار وعدم رضا به، وهذا الاستنكار فرضته العزلة المكانية التي أُجبر السكان عليها، فهم لا يختلطون بغيرهم من سكان الشوارع الرئيسية "هذه العزلة في حياتهم فرضت أنماطاً من السلوك نابعة من هذه العزلة، مهما حاول كسر نطاق العزلة بوسائل الاتصال التي تطورت على مر العصور"[1]. وبالنظر إلى هذه المحطة يمكن معرفة المكان الذي عاش فيه الكاتب طفولته وسط هذه المناطق والشوارع.

على جوانب المحلّة "السواني" تمتد من الهنشير "و" المنشية، يقطنها أناس لا هم من "المحلة" ولا علاقة لهم بسكان المدن، بعضها مزروع وبعضها قاع صفصف، وعندما تعودت قدماي المشي وحيداً كان علي أن أقطع بعضا منها عائداً إلى البيت، أو ألعب في ربوعها الكرة"[2]، ومن الملامح التي تدلنا على المكان " **لم يكن لي أن أحاول الوصول إلى أي من السفينتين، إلا أنني اقتربت مرات عدة من منتصف الطريق ... وعند العودة كانت والدتي ترمقني، تلاحظ احمرار عيني أثراً من آثار ملوحة المياه، تشك أني قد "عميت" تلامس بلسانها ما ظهر من جسدي، تتحسس أثراً كنت قد محوته في مياه صنبور البلدية المتدفق على قارعة الطريق!**"[3].

مما سبق نلاحظ أن الكاتب كان يسكن خلف بيوت العرب التي هي خلف بيوت الإيطاليين؛ لأن السواني التي يقطعها عائداً للبيت تقع خلف البيوت فمنزله خلف هذه المباني، إذاً فهو يسكن المنطقة التي خلفها، وما يصفه يعكس الواقع؛ لأن الوضع

(1) بناء الرواية، سيزا القاسم، ص170.

(2) محطات، كامل حسن المقهور، دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع ـ طرابلس، د ت، ص46.

(3) المصدر نفسه، ص41.

كان كذلك في تلك الفترة، كان الناس يقطعون المسافات الطويلة مشياً على الأقدام ذاهبين للسوق أو إلى الكتاب أو إلى المدرسة، ولم يكن هذا النمط من العيش شاقاً عليهم؛ بل اعتادوا عليه، وبالنظر إلى مكان سكنه يمكن الخلوص إلى تدني الوضع المعيشي الذي كان يعيشه مقارنةً مع سكان المدن المحيطة به، فقد كان يروح للكتاب الذي في "الظهرة" التي تبعد عن منزله مسافة لا باس بها، فهو يقطن منطقة تعد من ضواحي "الظهرة"، إذا أخذنا بالحسبان ما مرت عليه قدماه عائداً للمنزل منتهزاً الفرص للذهاب للبحر الذي لا يبعد عن "الظهرة" بل هو جزء منها، أو السوق المزدحم بالعمال والحرفيين أو حواري "الظهرة وفشلوم"، فهو يقطع كل هذه الأماكن عائداً لمنزله.

وعلى الرغم من ذلك فقد غابت ملامح البيت بوصفه المكان الحميمي الأول الذي عاش فيه طفولته البكرة وكل ملامحها وانعكاساتها، ولعل الكاتب غيب ملامح البيت "لتصبح حركته في فضاء المحلّة التي تشغل المساحة الأوسع في الحضور المكاني الذي يحولها إلى المكان الذي تتفاعل فيه الشخصيات بالأحداث في المكان فقد أصبحت جزءاً من المكان"[1].

ويمكن ارجاع تغييب الكاتب للبيت إلى انفتاحه الفكري، وتحرره من قيود الانغلاق الذي يعكسه البيت؛ باعتباره من الأماكن المغلقة وفق التصنيف النوعي، "فالانفتاح الفكري يؤدي إلى التركيز على الأماكن المفتوحة أكثر من المغلقة"[2].

3. **صورة المدينة:** الرحلة إلى المدينة، وارتباطها بالحاجة.

- "**تلك القرية البعيدة.**

(1) ينظر : جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، حسن أحمد الأشلم، ط1، 2015 ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي ـ ليبيا، ص290.

(2) الرؤيا والتشكيل في إبداع كوليت خوري، جامعة مؤتة، ص243.

ـ بنيانها الشاهق الذي يصل إلى أربعة طوابق.

ـ طرقاتها المرصوفة.

ـ الماء المتدفق في منازلها جميعاً.

ـ الضوء يغمر البيوت.

ـ (دكاكينها) لا تستهلك ... المكرونة طويلة كظفائر النساء، حبوب بيضاء لمّاعة تشبه الشعير.

ـ علب من الزيت الصافي تخترقه الأعين.

ـ أقراص كبيرة وصغيرة لبعض منها رائحة نفاذة.

ـ خبز ناعم أبيض طويل.

ـ ملابس كثيرة، ثياب ليس بينها سورية (بيضاء) أو (سروال)عربي"[1].

تمثل المدينة بالنسبة له التحرر من عالمه المقتصر على المحلة، ولهذا نرى الكاتب قد استفتح هذه المحطة بوصف معالم المكان، فـ (المدينة بالنسبة له) هي ذلك المكان المفتوح أو المنفتح بغية التحرر الفكري من قيود الحاجة التي توسمتها المحلة التي كان يسكنها مكان الانفتاح الفكري الذي عدّ خروجه من المحلة طالبا له أو سعياً لنيله، فقد كان من أولى الأماكن تردده على الكتاب، فهناك يمكن للمرء أن يسمع ترتيلاً للقرآن أوقع في النفس من قراءة الفقيه في (الكتاب).

"**ولا يحضر بذهني أني غادرت المحلة إلا لأسباب.**

(1) كامل حسن المقهور، ص103.

ـ **اختلفت إلى كتاب الشيخ حورية، قبل الأربع عرصات**"، وهو مكان لا يبعد عن المحلة مسافة كبيرة.

"**أرافق الحاج لأعود على الحافلة حاملاً مئونة الأسبوع وفي أحيان متطلبات العشاء**".

إذاً مثلت بالنسبة له المكان الذي يتوفر فيه المأكل الذي يسدّ به رمق عيشه، فهي إلى جانب الاكتفاء الذهني المتمثل في الاختلاف للكتاب، كذلك اكتفاء جسدي متمثل بمكانة هذا المكان الذي تتوافر فيه صنوف الطعام المنعدمة نسبياً في المحلة، ففيها لا يستطيع أن يأكل أشياء مخالفة.

ـ "**طرقت المدينة لحضور بعض الأمسيات** "**بالنادي الأدبي**"، وهنا ارتبطت بالحاجة إلى الفكر أو الحاجة إلى الاكتفاء الذهني.

ـ **تجاوزت المدينة بضع مرات إلى حيث يتقاسم اللصوص** "**عوينهم**" **هناك حيث الميدان البلدي... لا يختلف موقعها إلا قليلاً عن موقع** "**الكتاب**"[1].

الكاتب الذي يعيش في مكان آخر (المحلة) يحلم بعالم واسع متناهٍ في الكبر (المدينة) الذي يمثل حركة الإنسان الساكن، فالكاتب سيطر عليه اتساع داخلي وجداني هو الذي يمنحه هذه المعاني الحقيقية لبعض التغيرات المتعلقة بالعالم المرئي، فالكاتب لا يعيش في المدينة ولا حاجة لأن يقضي وقتاً طويلاً فيها ليعيش ذلك الانطباع القلق إلى حدٍ ما[2]، هذا الاتساع الداخلي يولد نتيجة تردده على هذا المكان الذي ولد لديه دلالات ارتبطت جلها بالحاجة سواء كانت حاجة فكرية أم جسدية أم عقلية، فكون الكاتب ليس جزءاً من هذا المكان ولّد لديه شعوراً بحاجة

(1) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 113.

(2) ينظر : جماليات المكان ص: 170 ـ 171.

بداخله إلى أن يكون جزءاً منه، والمدينة من الأماكن المفتوحة " ذات الفضاء الواسع؛ فتنعكس على نفسية أصحابها الذين يقطنون بها، فالناس الذين يقطنون الضواحي الشعبية يتسمون بصفات مختلفة عن الناس الذين يقطنون في الأماكن الراقية، فهذا الاختلاف يتمثل في الطباع وأمزجتهم، فلكل منهم خصائص نفسية وذهنية وذوقية ما يجعله يختلف عن الآخر"[1]، والكاتب يقطن الأماكن الضيقة (المغلقة) وهذه الأماكن تنعكس على نفسية أصحابها سلباً، تولد لديهم شعوراً بالضيق والسأم، فهذه الأماكن ذات أبعاد محدودة لا تستطيع الشخصية التحرك فيها كما هي خارجها (المدينة)، فالشخصية في الأماكن الضيقة معدومة الحرية بسبب ضيق المكان، فالمحلة من الأمكنة التي تحاصر الشخصية حصاراً ماديا[2]، والمدينة ذلك المكان المفتوح هو بالنسبة له التحرر من القيود التي ارتبطت بالحاجة لها.

4 ـ **انعكاس صورة المدرسة على طفولة الكاتب:**

ـ معلم مضيء من معالم المحلة.

ـ فتحت أبوابها لأول مرة أمام جحافل العرب.

ـ لا يعرف الأطفال نسق المدارس ... هم جميعا رواد "الكتاتيب".

ـ كانت المدارس في أذهانهم عنواناً للبنطال القصير و"القرمبيول" الأسود والأبيض

ـ اختلف إليها جميع الصغار ـ كل من عرف النطق انضم لها.

ـ وقفوا في الطابور لا يعرف شكل الوقوف المطلوب.

---

(1) المكان الروائي ودلالاته، شرحبيل المحاسنة ،2012، رابطة أدباء الشام،www.odaba sham.net/shdnphp

(2) ينظر : المرجع نفسه.

ـ نصيب ذلك الصغير الذي تجاوز العاشرة بقليل، الصف الثالث وأكثر من كراس.

ما ميز تلك الفترة أن المدرسة كانت اجتهاداً ساحة فتحت على غير موعد، أطفال العرب يدخلون المجهول الذي كانوا يشاهدون أولاد الايطاليين واليهود يختلفون إليه.

مبنى المدرسة ذو الطابقين يتطور شيئا فشيئا، واحة وسط بيداء تلفها من جميع النواحي، لا تسمع بها منبوذ القول أو سيء الممارسة.

فتحت المدرسة أبوابها للتلاميذ والأساتذة، تسرب من نوافذها الواسعة تاريخ واسع يربط الصبيان بنوع من القصص.

تعد المدرسة من الأماكن المغلقة التي من شأنها أن تكسب القارئ هذه الدلالات فهي المكان المحاط بسور ذو الطابقين، ولكن للمكان المغلق هنا دلالة تضاد فهو يحمل دلالات المكان المفتوح من خلال وصف الكاتب لتفاصيله "معلم مضيء"، فالضوء دلالة انفتاح فكري ومعرفي، وكون الكاتب عبر عنه بكونه "معلم" هذا يبين عظم المكان لدى الكاتب، فالمَعْلم هو المكان الذي يميز المكان ويشتهر به على باقي الأمكنة، وجَعْلُ الكاتب المدرسة معلماً دلالة تقديس وتعظيم، وجعله مضيئاً دلالة حب واطمئنان وسكون، فالضوء يخالف الظلام الذي يبعث المعاني السلبية التي تؤثر في نفسية الكاتب سلباً، وتحمل دلالة الازدحام والضوضاء المستحبة ليست المستهجنة لما لها من نفع على أفرادها، فالضوضاء والهرج والازدحام من دلالات المكان المفتوح الذي ينعكس سلباً على مرتاديه، ولكن الازدحام والهرج جاء دلالة على المكان المغلق وحمل دلالات المكان المفتوح لكنه وظفها لمعنى أَجّلّ ،وهو التعليم والانفتاح الفكري والمعرفي، فـ "الأماكن المزدحمة الصاخبة تضج بالحياة إلى

جوار الأماكن الخالية الموحشة المقبضة كالمقابر والأماكن المهجورة"[1]، وإشارة من الكاتب إلى دلالات العلو والانحطاط فقد جعل المدرسة "**ذو طابقين**" دلالة علو "فالمكان العالي يحمل دلالة القيم في مقابل المكان المنخفض أو الواطيء الذي يحمل دلالة الرخص"[2]، فعلو المكان دلالة على علو قيمته.

5- الرحلة إلى القاهرة تجاوزاً للضيق واكتساباً للوعي.

مصر التي قسمها إلى الإسكندرية التي نزل بها والقاهرة التي ذهب إليها والأزهر، الذي يدرس به، والحسين الذي أحب ارتياده.

وتنقسم الأماكن إلى أماكن دينية تتمثل في: **(الأزهر والحسين)**.

وأماكن مدنية تتمثل في: **(الإسكندرية والقاهرة)**.

(فالإسكندرية) استهل الكلام حولها بالازدحام، فهي تعد من الأماكن المفتوحة المزدحمة بالسكان " أناس كالنمل أو أكثر قليلا كأنك فتحت حفرة في (طابية) يهجم عليك الدود! "[3] .

لم أتبين من " الاسكندرية شيئا سوى أنها دخلت بأكملها فجأة على عينيّ فأغشتهما"[4] الاغتشاء الذي أحدثه المكان "الإسكندرية" له دلالة خوف وظلمة ورعب من المكان الذي يقدم عليه، ودلالة رهبة من الشيء المستحدث الذي لا عهد له به.

---

(1) قراءات نقدية في الرواية العربية، أ/د إبراهيم الفيومي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ـ الأردن، ط1 2001، ص 358.

(2) المصدر نفسه، ص: 358.

(3) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 162 ـ 164.

(4) المصدر نفسه، ص: 164.

"**ذلك القطار الطويل يدخله الناس ولا يخرجون يَبْتَلِعهم جوفه ويصدر حشرجة تشبه الخوار**"[1].

القطار الطويل من متعلقات المكان، والطول هنا يدل على الضياع والخوف، ولابتلاع الشخصيات من قبل المكان دلالة.

"**طفقت أقلب هذا العالم الجديد الذي دخلته ... عالم لا هو بالسهل ولا باللّين**"[2].

فالتقليب هنا دلالة ضياع وتشتت يفرضها المكان الذي ذهب إليه، تفرضها "الغربة".

"**انتابني شعور بالغربة فأجهشت في بكاء صامت، لم يفطن إليه، حتى أوقف الوحش الميكانيكي سيره "القطار**"[3].

البكاء الصامت الذي أَحدثته الغربة التي أَحْدَثها المكان بفعل الفعل (أجهش) دل دلالة البكاء الحار الذي يحدثه الإنسان وهو صامت وما له من حرقة تفوق البكاء المتكلم الذي ينفس بقدر ما على نفسية الكاتب ويحمل ارتياحاً نفسياً، لكن الكاتب هنا بيّن أن للمكان دلالة أو قيما سلبية، مثل الضياع والخوف والوحدة والتشتت بخلاف ما تحمله له المحلّة الوطن من قيم ايجابية ، مثل الدفء والأمن والحماية والتحقق إلى حدٍ ما، فهنا نجد تقاطباً بين مكانيين بين وطنين المكان الوطن، والمكان المغترب فيهن ولكلا المكانيين من الدلالات ما انعكس على نفسية الكاتب وخلّف أو ولّد إيماءات تبرز مدخلاته النفسية والعاطفية تجاه المكان.

---

(1) المصدر نفسه، ص: 164.

(2) المصدر نفسه، ص: 163.

(3) المصدر السابق، ص: 165

فجميع الدلالات التي أبرزها الكاتب من خلال وصفه للمكان هي دلالات سلبية انعكست سلباً على نفسيته التي أحست الغربة في سنٍ مبكرة في مرحلة طفولته، التي تعد من الأمور العظيمة التي تنعكس سلباً على أي منا طفلاً كان أو يافعاً أو كهلاً.

(القاهرة): تعتبر من الأماكن المدنية أيضاً؛ التي تعد محطة من المحطات التي استوقفت الكاتب عند كتابته لسيرة طفولته " والمدن من الأماكن المفتوحة من كل الاتجاهات وعلى شتى أنواع الهواء الذي يهب عليها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ومفتوحة على كل الآراء والأفكار والمفاهيم والقيم والممارسات"[1]

" أخفاني عن القاهرة، ولم يستطع أن يخفي "القاهرة" عني؟

"تلألأت بعنفوانها مذ تركنا محطة القطارات".

"انهالت عليّ الأضواء حتى خلت أن النور يحرقني".

"بدت لي الطرقات واسعة يكبس على اتساعها الناس والعربات حتى تبدو بلا منافذ".

"أصوات تنداح من كل جانب ... تختلط تتسابق إلى الآذان".

"أصوات الناس، الباعة، الرجال، النساء، ومئات الأشياء".

"خوفي يزداد ... يزداد الدمع انحباساً في أعماقي وتخنقني الغربة وأتمنى أن أَفِرَّ.

القاهرة تغير الناس ولا يغيّرونها".

"القاهرة امرأة عمرها يقارب الألف سنة ولازالت في شبابها ولا يمكن أن ترتوي منها كماء ذاك النهر يجري في عروقها كلما شربت منه ازددت ضمأ!".

---

(1) الرؤيا والتشكيل في إبداع ، كوليت خوري ، رسالة دكتوراه، ص: 224.

"**القاهرة تجردك من ثيابك لا بل من جلدك**".

"**تتسع أحياناً حتى تظن أنك ملكت أكثر مما كنت تريد، وتضيق بك إلى أن تقبض بيدها على قلبك، تفرغك من ماضيك، تتحكم في حاضرك، تضمك داخل صدرها الحنون مرة، تعصرك أغلب المرات إلاّ أن مرارتك ضيعت عليّ طفولتي وكبرت**"[1].

من خلال الاطلاع على الدلالات اللغوية والحسية التي استعملها الكاتب يمكننا الخلوص إلى الانعكاسات النفسية التي كان لها الأثر في رسم صورة لهذا المكان ومعالمه وكان لهذه الصور بصمة في طفولته.

فافعل **(انهال)** يدل على المفاجأة والاستغراب، ويدل على السرعة والتعجل، وعادةً ينسب هذا الفعل للشيء الذي ينزل بقوة من مكان عالٍ كالماء والتراب، شيء محسوس ينزل من الأعلى فيحس، ولكن استعماله للضوء كناية على شدته وقوته، وعدم استعماله في محله في هذا الكتاب له انعكاس سلبي على النفس، ولذلك عبر بـ **(النور كاد أن يحرقني)** فالنور لا يحرق ولكن الدلالة جعلت منه حارقا لنفسيته ومشاعره ووجدانه، أحرقت طفولته!.

وعندما تكلم على **(الطرقات الواسعة)** عبر عنها بالفعل **(بدت)** الذي جعل منها كائناً يكبس على هذه الطرقات، فالاتساع يعتبر دلالة إيجابية في حين جعل منها الفعل **(يكبس)** والفعل **(بدأ)** و **(الازدحام)** يحمل دلالة المكان المغلق فاكتسب مفارقة لا تخفى على القارئ، وكأن الطفل استدعى هذا المكان الواسع المنافذ، ليدل بذلك على رغبته في العودة لمكان الطفولة الذي يتصف بهذه الصفة؛ وليدل على ارتياح نفسي لتلك الأماكن في حين أحس بخيبة أمل انعكست على مصطلحاته، وأثرت

(1) محطات، ص 165 ـ 215.

على نفسيته، ودلت على دلالات سلبية اكتسبها هذا المكان المجهول بالنسبة لطفل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، **(كانتحاب الدمع)** في أعماقه و **(تخنقني الغربة)** والخوف الذي أحس به تجاه هذا المجهول، ولكن سرعان ما تحس بدلالات إيجابية مُندسة بين ثنايا كلامه حين يقول: **(تتسع أحياناً حتى تظن أنك ملكت أكثر مما تريد)** في مقابل **(تضيق بك إلى أن تقبض بيديها على قلبك)**، **(امرأة عمرها يقارب الألف سنة)** في مقابل **(ولازالت في شبابها، تجردك من ثيابك)** في مقابل **(ذلك النهر الجاثم فيها كلما شربت منه ازددت ضمأ)** تبادل الدلالات بين الإيجابي والسلبي كان له انعكاسات مضادة على نفسية الكاتب؛ كان السبب فيها غربة نفسية إلى جانب الغربة الجسدية، فاغترابه النفسي بائن واضح سببه غربة جسدية في مرحلة من العمر هو بحاجة ماسة فيها بالانتماء إلى وطن وإلى عائلة تحيطه باستمرار.

ومن خلال وصفه هو فقد افتقد هذا الانتماء، واكتسب دلالة توحي بالحرية التي فرضت على هذا الفضاء أضفى الكاتب على وصفه الدقيق وصعوبة العيش في هذا الفضاء المكاني (واعتماداً على مبدأ التقاطب وما يطرحه من ثنائيات ضدية في تقسيم الدلالات لهذا الفضاء بين إيجابية وسلبية[1]، يضعنا أمام هيمنة المفردات التي تشكل تدهوراً يصيب الكاتب، فينعكس على دلالاته التي خلقتها حالة الاغتراب والاختناق جراء وجوده طفلا في مكان غير المكان، ومما لا شك فيه أن هذا الانعكاس ولد علاقة الذات بالمكان، سواء كان المكان المرجعي أو المكان الحالي، فالكاتب والمكان يخضعان لنفس القيد " الذي يصل بالسارد إلى حد الإحساس بالغربة المكانية... لكن السارد تجاوزها بعد وصفه المعالم الحضارية للمكان، هذه المقارنة

(1) ينظر: المجلة الجامعية، العدد الخامس عشر، مج3، 2013م، ص: 7.

المكانية هي بمنزلة إعادة بلورة للمفاهيم والحقائق وتطوير للوعي؛ تجسد في اكتشاف امتلاء الخارج المصري وخواء الداخل الليبي"[1].

ومما لا شك فيه أن الوطن يشكل رحم الطفولة بالنسبة للشخصيات ورحم أحلامها، حتى وإن كانت مستحيلة التحقق وصعبة المنال، فكانت الغربة انتشالاً لطفل من رحم أمه، بيت الطفولة، ولم يكمل تسعة أشهر، فكان ذلك ينذر بولادة طفل غير مكتمل نفسياً وجسدياً، ولكن سرعان ما نجد الكاتب قد استوطن المكان الجديد نفسه واكتسب وعياً داخلياً انعكس على شخصيته، وقاده لمرحلة جديدة هي مرحلة الوعى إن صح التعبير.

6 ـ الأزهر والحسين:

الأزهر وشوق اللقاء...

" **علقت عيني إلى السقف وجدته عالياً إلى السماء الدنيا**".

" **الباحة، واسعة، عريضة، لا يحجبها عن السماء حجاب**".

" **لما اجتاحت قدماي مدخله وجدته ممراً طويلاً تصطف على حائطه المواجه خزانات الطلاب وبعض الفرش من جلد الأغنام**".

" **دخلته منكسراً فرد عَلَيَّ الطمأنينة**".

" **وجدته واسعاً مفروشا كله بالبسط يتكئ على حائطه إلى جوار المحراب المنبر، منقوشاً يبهر العين، مغموراً كله بالنور كيوم العيد**".

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص: 293.

" **في منتصف الحرم مربع مكسو عليه ناقل للصوت، معد لمقرئ القرآن، انْسَلَلْتُ حتى جَلست على يمينه، لصقت به**".

" **قلبت وجهي ذات اليمين وذات الشمال أتفكر ما يمكن أن يصنعه التعبد بالجامع ... هربت الصور من ذاكرتي، وكأن ماحٍ محاها**".

" **نبهني أحدهم لأترك مكاناً "ليدخل الشيخ" ... دخل المقرئ حتى تدفق معه النور ينساب من حنجرته دافقاً يبدد الصور ويخمد الأصوات ويغمر القلب بفيض لا يفيض! ... يشق في نفوس الناس ألم وأمل**"[1].

من خلال النصوص التي تضمنت دلالات المكان "الأزهر"، ومواصفاته الحسية تبين ما لهذا المكان من دلالات كان لها الأثر الملموس على نفسية الكاتب، فالمكان الديني "الأزهر" اكتسب دلالة المكان المفتوح تمثل في " **نظرت للسقف وجدته عالياً إلى السماء**" فعلو ارتفاع المكان له دلالة لعلو القيمة، دلالة تقديس وتعظيم.

والفعل "عَلَّق" فتعليق البصر بالنظر للشيء دلالة على شيئين إما لعظمة، وإما التعجب منه إما حباً له، وإما تعجباً منه، وكلا الدلالتين تجسدت في نفسية الكاتب، فلو لم يكن لهذا المكان هذا الحضور لما كان افتتاح الحديث حوله بالفعل (علق)، الذي يدل على شدة تعلق الشخص بالمعلق عليه، واتساع المكان كان له انعكاس إيجابي على نفسية الكاتب وكان له دلالة اطمئنان وحب، دلالة أمان واستقرار، وعدم وجود الحجاب الذي يحجبها عن السماء رغم أن انفتاحها وعدم حجبها هو سمة "للساحات"؛ لكن وقوف الكاتب مصوراً له بالاتساع والانفتاح وعدم الحجب وذكر السماء وتعليق البصر كان له دلالات إيجابية استدعتها البيئة المكانية، التي استوقفت الكاتب واصفاً لها، معبراً عن علاقة نفسية تربطه بها، علاقة إيجابية صرح

(1) محطات، ص: 189 ـ 192.

بها الكاتب بقوله: "**دخلته منكسراً فرد علي الطمأنينة**" ووصف المنبر " **المنبر منقوشاً يبهر العين**" فالعين لا تنبهر إلا بما هو محبب لها، وما هو انعكاس لوقوعه على القلب، فوقعه كان حسناً حتى انبهرت به عين الكاتب، "**مغموراً كله نور كيوم العيد** " يغمر النور المكان "**المنبر**" ليعكس دلاله إيجابية، بخلاف كونه مظلماً، فالمكان المضيء بالكامل له وقع حسن إيجابي في عين الشخص، وخاصة الأطفال، فالنور يمثل الاطمئنان والسكينة بالنسبة لهم، وكذلك يوم العيد شبه به وقع النور الذي أحدثه المنبر، يمثل الفرحة بالنسبة للأطفال، يمثل لهم السرور المشتمل على المرح واللعب وحب ذلك اليوم جعل الكاتب يعقد مشابهة بينه وبين النور الواقع من المنبر، فالوصف كان مشبعاً بالإحساس بجمال المكان.

7 ـ الحسين وتخبط الأحاسيس.

"**وصلت باحة الحسين**" **يقصد الساحة المحيطة بالمسجد ووصفها بالباحة دلالة على اتساعها**".

"**ملبوساً بصوت القارئ**" **يتلبس الصوت الكاتب، صوت القارئ يتلبس الكاتب، والتباسه دلالة على حسنه ووقعه الحسن على البصر**".

"**وجدته جامعاً مثل غيره من المساجد**"[1].

هنا يمكننا طرح سؤال كيف كان يتخيل ذلك اليوم؟ وما هي مواصفاته التي رسمها الكاتب في ذهنه لتدل على هذا المعلم الديني؟، ولماذا عبر الكاتب بقوله: "**وجدته جامعاً مثل غيره من المساجد**"؟ وهنا دلالة على خلاف بين الصورة التي رسمها الكاتب للمكان والصورة المتجسدة في المكان، مما جعل الكاتب يستصغر تلك الصورة مقارنة بما وجد عليه الأزهر، واضح أن الكاتب كان يرسم في ذهنه صورة

(1) محطات، ص: 192 ـ 193.

للمكان ووجد خلافها، ولربما وجدها بشكل مختلف، فصورة الحسين تمثلت في صورة "**الضريح والنسوة التي تتصارع حوله أو حول شباكه، والعسكري ضخم الجثة الذي يستوقف تلك النسوة مستخدماً خيزرانة على أن يمسسن الضريح "الإمام" الذي يستقر وراء سور يحرمونه من مريديه ويبعدونه ميتاً كما أبعده حياً**"[1].

أما انعكاس صورة المكان لدى الكاتب فنجدها في قوله " **شققت قلبي إلى نصفين أَهْديتُه شقه ثم دعوت له**" إذاً فكان للمكان انعكاس سلبي دلنا عليه "**النسوة وازدحامهن، والجندي ضخم الجثة**" وإيجابي تمثل في الإمام الراقد في قبره مما جعل الكاتب يشق قلبه ليهديه نصفه. رغم كون هذا الإمام مغيباً في حياته كما كان الكاتب مغيبا عن وطنه فأحس بغربة الإمام المغيب حياً وميتاً كما ذكر، وكأن جامعاً جمع بينهما فأهداه نصف قلبه.

يمكن الخلوص بأن الأماكن الدينية كان لها وقع إيجابي لدى الكاتب حتى وإن اعترتها شوائب وموروست بها طقوس تتعارض وتفكير الكاتب ومسلماته، فالمكان جعل ما هو سلبي يتلاشى، وكان سبب ذلك الوقع الذي أحدثه المكان في نفسية الكاتب عند ارتياده له؛ انعكس إيجابيا على تعبيره ووصفه وألفاظه التي استخدمها، ويمكن إرجاع ما يحمله من معانٍ سلبية في مفرداته إلى عدم الطمأنينة حيث يسوده اللاتواصل مع أسرته وعدم التعود على المكان والاغتراب والوحدة، فكل هذه الأحاسيس جعلت منه إنسانا غير مستقر عاطفياً في استخدام دلالاته وما توحي بها، فانعكس شعوره على شعور القراء والنقاد ليدلنا على حالة نفسية غير مستقرة مردها إلى الاغتراب والوحدة لطفل لم يتجاوز الحادية عشر من عمره، تحديا لجهل يسود بلاده، وعدم وجود فرص للتعليم، وإن وجدت فقد قيدتها العائلة والمجتمع.

(1) المصدر نفسه، ص: 192 ـ 193.

2 ـ أحمد نصر وسيطرة الوصف المكاني: (مكان الطفولة) .

في حين يأخذ المكان طرفاً للذات المتحركة في زمن متصاعد يأخذ شكل دوائر تتسع خطوة بعد خطوة من دائرة (الطفولة داخل الحوش) إلى دائرة (القرية) إلى دائرة (المدينة) إلى الأوسع فالأوسع[1].

هكذا استفتح أحمد نصر مراحل طفولته مركزاً على الحضور المكاني ليكون دعامة سردية تؤكد أدبية سيرته ... يتحرك منظور السارد في مقدمة منفصلة عن الفصل الأول لتأطير السيرة مكانياً؛ فيعتلي قمة قوز التيك باستخدام تقنية الوصف السردي؛ وهو وصف الصورة مقرونة بحركة حية؛ محاولاً نقله إلى عين القارئ بشكل فوتوغرافي أمين، فهو يصف أشياء ساكنة كـ " القوز" ، محاولا رسم المساحة والخلفية لهذا المكان والأحداث الواقعة فيه، ويجسد الأشياء التي تشغل حيزه مقدماً لها بأبرز صورة، " **يمتد بطول يدنو من كيلو متر، مازال في مخيلتي، كأسد مهول راقد يرفع رأسه عند مرتفع (بن شتوان)، وينحدر ظهره غرباً حتى ينتهي ديله تحت عجزه ويستريح، على ظهره الشامخ أقام الطليان مبنى المراقبة ...**"، "**ولعلني في طفولتي المبكرة تسلقته يوماً وجلست حيث طاب لي القعود فوق حدبة صنعت الرياح من رمالها اللينة خطوطاً متعرجة كخطوط الوحش**"[2].

"وبما أن الوصف يساعد في بيان الأبعاد النفسية والجمالية والفكرية فذكر **(القوز)** بهذه التشبيهات ليثير في نفس المتلقي صورة ما"[3]، هذه الصورة تعد معياراً لنقل الواقع بصورة صادقة وأمينة، ولم ينظر لها نظرة تخيلية فحسب؛ بل وظف الخيال لتلوين انعكاسات نفسية لصورة القوز فرضتها ظروف الواقع المعاش، فقوله: "مازال

---

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الادباء الليبيين الذاتية، ص: 308.

(2) المراحل، أحمد نصر ج1، ص: 4.

(3) تقنية الوصف، مجلة أقلام الثقافية، www.akaam,hewaqlam. عبلة عباد.

في مخيلتي" اشارة إلى استقرار صورة لواقع معاش في فترة زمنية أبعد ما يمكن وصفه لها يتذكر معالم المكان، فلولا عظم المكان وبعده النفسي لما استقرت صورته في المخيلة، فالاستقرار دلالة للبقاء والاطمئنان للشيء المتعلق به، لشدة قربه، وتشبيهه له " **بأسد مهول راقد يرفع رأسه**" إشارة لضخامته وكبر حجمه في مخيلة طفل تسلقه وجلس فوقه وتمعن عِظَمه، فرآه بعين الطفولة، ووصف عظمه بالنسبة لطفل على ما يبدو من الوصف.

ولا يمكن الجزم هل هذه قراءة لصورة (القوز) أم تأويل لها، ولكن ربما كان تأويلاً استناداً على المعنى، "فتأويل الصورة يتعلق بالمعنى؛ إذ إنه تجاوز اللفظ وانشغل بالمعول عليه جزاء إطلاقه"[1].

يمكن الخلوص إلى أن ـ أحمد نصر ـ قد تكلم بوعي الطفل عند استخدامه تقنية الوصف، ولم يتكلم بوعي ـ الآن ـ زمن الكتابة؛ لأنه لو كان كذلك لما أحس عظم القوز؛ ولما صوره بهذه الصور العظيمة التي لا يعظمها إلا طفل في مخيلته الصغيرة؛ التي لا يمكنها استيعاب ضخامة حجم المكان.

وكذلك في وصفه للضريح **(سيدي بعيو)** بقبته البيضاء من خلال جنينات الزيتون المترامية وسوامق النخيل المترامية، نراه قد قلل من حدة الوصف، فهو قد اعتاد رؤية القبة البيضاء والنخيل بحكم أنه من عائلة تمتهن الزراعة، فكان وقع وصف النخيل والزيتون أقل حدة من وصف **(القوز)** الذي يلعب دوراً كبيراً في إبراز الحالة النفسية للكاتب وعلاقته الحسية بهذا المكان، "**رغم ذلك ماكان أحد منا نحن الأطفال يستوحش منه، تسلقته وجلست حيث طاب لي القعود**"، إذ كان له وقع حسن على

(1) ينظر :الصورة السردية في الخيال العربي، المغربي شرف الدين ماجدولين، classic.aawsat.com/details

نفسية الطفل فكان يطيب له الجلوس عليه ومراقبة القرية من فوقه ولا يستوحش من ذلك.

بيت الطفولة: البيت القديم وتداعي صورة الماضي:

يشكل البيت الذي يسكنه الكاتب مع أفراد أسرته جانباً مهماً من جوانب الصورة التي تحيط بالكاتب إذ يعبر عن العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه.

فالكاتب استخدم تقنية الوصف "لبيان ملامح المكان وأبعاده الخارجية والداخلية والمظاهر التي يريد الكاتب بيانها بوضوح، أي أنه يمنح المكان أبعاده الجمالية والنفسية والفكرية؛ لأن المكان كيان موجود لا يقبل الانهيار"[1].

فوصف الكاتب للبيت بـ "**أنهما بيتان متلاصقان، باباهما مشرعان من قبل شروق الشمس، أمامهما مساحة واسعة للعب الأطفال وللشعير، الحجرات الخمس الممر الذي ينتهي إلى مربط البهائم والبئر وحبله الجرار، والحفرة المطوية واستقبالها لما يطويه العرجون، (المربوعة) ذات الشباكين، المنزل البحري (الحوش الجديد)، سقيفته غير مسقوفة**"[2].

اكتسب وصف البيت دلالات اجتماعية وأبعاداً أيديولوجية تعبر عن الحالة الاقتصادية التي كانت تعيشها الأسرة والطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها، مما ينعكس ذلك على شخصية الكاتب وتصرفاته في طفولته، فممّا لا شك فيه أن الحالة

(1) الوصف الروائي، سالم الحسيني، منتدى شظايا أدبية، www.shathaaya.com

(2) مراحل حياتي أرويها، ج1/، 5 ـ 7 .

الاجتماعية تؤثر سلبا أو إيجاباً على نفسية الكاتب من خلال الانطباعات النفسية التي تعكسها.

إذا وزنا الحالة الاقتصادية للكاتب وفق الزمن الذي كتب فيه وهو زمن الآن فهي متدنية وحالة فقر وحرمان ومستوى معيشي متدنٍ ينعكس سلباً على نفسية الطفل، أما إذا قيست بميزان المكان الطفولي في زمن الطفولة وكأن الكاتب يكتب بوعي الطفل ليس بوعي الراوي ـ وهذا هو الحاصل ـ فهو ينتمي لأسرة تنتمي لطبقة اجتماعية ميسورة الحال آنذاك، مما انعكس إيجاباً على نفسية الكاتب في زمن الطفولة، حيث تجد البيت المكان الأليف الذي يعكس الخلفية الثقافية والنفسية والحياتية للكاتب التي تشعره بالسعادة؛ لأن بيته يحقق ما يريد، "وتأكيداً لحميمية المكان الطفولي يدخل منظور السارد ليستعرض تفاصيل البيت من الداخل بشكل مفصل"[1]، وإذا أشرنا إلى صورة الغلاف الدالة على مكان الطفولة (البيت) نجد أن الكاتب وضع لكتابة (المربوعة) التي هي المكان الذكوري، في حين خصّ فناء البيت الذي يعد المكان النسوي بالانفتاح من السقف لأنهن لا يخرجن منه، فالكاتب لم ير ذلك البيت الذي عاش فيه، هو قدم مخططاً له بحسب ما روي له وما تذكر في مراحل طفولته.

التحول في المكان واستشعار الواقع.

التحول في المكان جعل الكاتب يظهر وعياً بالمقارنة الحضارية في وعيه الطفولي يوم أن استشعر واقعه الفقير المتخلف مقارنة بما سمعه عن المكان المصري المتحضر، وكذلك في خروجه من دائرة القرية إلى دائرة المدينة، فهذه التحولات في المكان أكسبت الكاتب الوعي والاستكشاف، "**هذا اليوم يوم مشهود اليوم الذي خرجت فيه من دائرة القرية إلى دائرة المدينة واكتشفت ما يكتشفه**

(1) ينظر: جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص: 308.

الكتكوت بعد خروجه من البيضة ... أشعرت أترابي أني غيرهم وأنني أكبر منهم ... لكنك لم تقرأ بزاوية البي"[1].

ولهذا التحول الحاصل الذي مر به الكاتب من دائرة القرية وواقعها المتخلف من الرهبة والدهشة والخوف من المجهول والتطلع للخوض فيه والغوص في غماره مالا يخفى "**كنت كمن يخرج من البيضة إلى فضاء كوني مجهول رهيب ... ذهلت وأنا أشرئب بعنقي أتطلع إليها ... وخطواتي تتحرك حتى إنها شغلتني فلم أنتبه للرجل الكفيف حافة الرصيف فأصطدم به ... الدهشة تملؤني وأنا استكشف الأشياء حولي ... هذه هي المدينة!** "[2].

ولكن سرعان ما تهدأ نفسه وتستقر روحه للمكان الذي طالما حلُم به وبالدراسة فيه " **أحسست برهبة الموقف قلبي يدق والخجل يعتريني ... تناول مني اللوح وابتسم في وجهي فاعتراني ارتياح وتحررت من بعض خجلي**"[3].

ومن خلال الوصف الذي ضمه الكاتب للزاويتين زاوية القرية وزاوية المدينة (زاوية البي) يتراءى انعكاسات كلاهما في نفس الأنا والمرجعية التي يستند عليها وعيه الطفولي بهذا المكان.

زاوية البي "**وسطها مكشوف للسماء وتفتح داخلها عدة خلاوي صغيرة وعند مدخلها الرئيس على يمين الداخل مدخل للميضاة والبئر معقود كالقبو ودرجات تدور حول نفسها حتى السطح، وهناك وراق تفتح به بعض الخلاوي**"[4].

زاوية القرية "**التي لا تعدو أن تكون حجرة كبيرة تغطي ترابها بودتان**"

---

(1) مراحل، أحمد نصر ص: 68.

(2) المصدر نفسه، ص: 64 ـ 66

(3) المصدر السابق، ص: 67.

(4) المصدر نفسه، ص: 67.

فكان لهذا التحول في المكان أثره في نفس الكاتب ونفس الأنا، الطفل الذي خرج من دائرة القرية المغلقة إلى دائرة المدينة المفتوحة مما انعكس هذا الانفتاح إيجاباً على نفسيته وتطلعاً للتحرر والانفتاح الفكري الذي يسعى لبلوغه، انفتاح نحو فضاء مكاني أوسع، يجد فيه نفسه المتطلعة والمتشوقة للخروج من بوتقة القرية، واستشعار واقع أعظم وأشمل من واقعه المعاش، وكل ذلك سعياً للتغيير في نمط العيش وبلوغ المقصد وهو التحضر.

وقد ربط الواقع الريفي بمصر والريف المصري بقريته التي كان يعيش فيها طفولته فقد ربطها بالتخلف وجعل الإسكندرية عالما مختلفاً وجعلها في مقابل المدينة المغايرة للقرية حيث جسد ثنائية التحضر والتخلف في الريف والمدينة، والريف المصري والإسكندرية في حين جعل من الإسكندرية ذاتها ثنائية تمثلت في مركزها وأطرافها؛ غير أن الأمر في الأحياء الشعبية مختلف، "**شواطئ مفتوحة والشوارع مفتوحة والبيوت مفتوحة ... أزقة وزحام واحتكاك وتداخل وجلبة، وصراخ، والناس يحلمون بالشمس والقمر...**"[1] .

وهكذا يمكن الخلوص إلى أن أحمد نصر "أهتم بإظهار المكان في صورته النفسية الاسترجاعية الرومانسية التي جمعت بين الحميمية (الطفولية) والتوثيق المكاني من الذاكرة ليقترب بالمكان من المتخيل"[2].

(1) مراحل، أحمد نصر، ج135/2.

(2) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص: 313.

3 ـ الاغتراب وعلاقته بطفولة عبد الله القويري:

يشكل المكان الذي عاش فيه الكاتب الحاضن الأساسي لانعكاس مشاعره، وفوران أحاسيسه المتكسرة كرد فعل على الغربة، وفي هذا المكان اجتمع الكاتب مع العديد من الناس الذين كان لهم الدور المباشر في انعكاس الحيرة وانعدام القدرة على مجابهة الأسى الذي نسجته الغربة في نفسه، وقد امتزجت مشاعر الغربة في النزوح إلى رغبته الشديدة للرجوع إلى الوطن، فقد تكلم الكاتب عن وطنين تمثلا في الوطن الطفولي الذي أبعدته العائلة عنه، والوطن الأصل الذي لم يره، والنخيل والسماء الصافية والناس الطيبون واللباس الليبي والأكل وكل متعلقات الحياة الليبية، فقد تمثل المكان لديه في طبيعتين كانتا مصدرا لانعكاسات نفسية شديدة تعرض لها الكاتب منذ طفولته المبكرة؛ كان لها الدور المباشر في عدم استقراره النفسي، "**أنا عانيت طبيعتين مختلفتين أقترب من إحداهما متعاطفا وأنفر من الأخرى متعاطفاً أيضاً**"[1].

يشير الكاتب إلى علاقة تناقضية جمعت بين المكانين، المكان الطفولي الذي يمثله الفضاء المصري، والفضاء الليبي الذي يمثل الوطن الحلم والرؤيا، فقد كان الصورة المتعلقة بذهنه منذ طفولته ساعياً لتحقيق الحلم وبلوغ أرض الوطن يوما ما.

إن نفسية الكاتب وروحه ثابتة الحضور في الفضاء الليبي على الرغم من وجود شخصيته المادية في الفضاء المصري موطن الطفولة، محاولا التماس الحنان عند بلوغه إياه، وتحقيق الحلم الذي راوده طيلة السرد الخاضع لهذه المرحلة البريئة من حياته مرحلة الطفولة، فالطفولة رمز للبراءة والجمال والانطلاق والأمل، فموطنه لا يحمل أي معنى سلبي إنما يعني القوة والقيمة والحضارة، وقد تمثل الحضور المكاني في بعدين حسيين:

---

(1) الوقدات، عبد الله القويري، دار العربية للكتاب ليبيا تونس (د ط) 1984 ص 9.

1 ـ **فضاء التكوين** ـ الفضاء المصري

الفضاء المصري يعتبر فضاء التكوين؛ لما له من الأثر المباشر في تكوين شخصية الكاتب، فهو المكون الأساسي للوقوف على انعكاسات مرحلة الطفولة لدى الكاتب، وقد تمثل في ثنائية: القرية والمدينة.

فالقرية هي قرية الكيلو في محافظة المنيا في صعيد مصر، المعزولة عن العالم تعد فضاء العزلة، والبيت الذي عاش فيه يعد فضاء لعزلة أعمق داخله، "**تعيش فيما يشبه القلعة الصغيرة محاطين بالعيون، عيون الأهل**"، "**كانوا معزولين عن أبناء الوادي**"[(1)].

فقد فرض على نفسه عزلة هي أعمق من العزلة التي فرضتها عليه ظروف الحياة، تمثلت في العزلة عن المحيطين به، عزلة داخلية، لا مبرر لوجودها لدى طفل ولد في موطن الهجرة، "**وأين هي البهجة في ذلك المحيط ... التخلف يسود كل شيء، الانسان لا قيمة له ... أطباق من الكآبة وأكداس من الحزن وقطرات من الأمل تلك هي ملامح نفسي**"[(2)].

"**هذا وطنهم .. ماذا أصنع به .. شاءت الظروف والأقدار أن أكون بينهم .. ولكني لست منهم، فهذا وطنهم .. مصر وطنهم وليس وطني حتى وإن كنت قد ولدت فيه**"[(3)]، أيمكن أن يطلق عليها غربة مفتعلة؟ وإن كانت كذلك فمن الذي افتعلها؟ افتعلتها الظروف التي نشأ بها وسط مجتمع يعده غريباً، ويتعامل معه وفق هذا الأساس، ما الذي جعله يغيّب الكثير من ملامح المكان الذي نشأ به؟ وولد فيه؟ هل عدم الإحساس بالانتماء هو سبب ذلك؟ فقد غابت ملامح البيت بكل تفاصيله

---

(1) المصدر السابق، ص 7 ـ 8.

(2) المصدر السابق، ص 75.

(3) القويري، ص119.

بغرفه وشرفاته بحركاته وسكناته، فقد غابت ملامح البيت مكان الطفولة، في تفاصيل سيرته فكيف لطفل في سن الثالثة أو الرابعة من العمر أن يشعر بالغربة التي وصفها الكاتب بكل تفاصيلها وانعكاساتها من كبت وضجر وانعزال.

هي تساؤلات تطرح نفسها، فالغربة عند القويري أقرب ما يكون إلى أنها مفتعلة، فالكاتب يجعلنا نسلط النظر إلى وعيه، فهو أقرب ما يكون أنه يكتب بوعي الآن لا وعي الطفولة، فلو كتب بوعي الطفولة، لما وجدنا كل هذا الأسى والضياع وعدم الانتماء الذي يسيطر على تفاصيل فضاء التكوين لديه، فالطفل في هذه المرحلة العمرية يتمكن من استرجاع ولو بعض ما يسر خاطره ويبعث في نفسه السرور لأحداث وقعت بالبيت أو الشارع أو المدرسة، فالقويري غيب الحضور الحسي للمكان فضاء التكوين لانعكاسات سلبية خلفها مكون هذا الفضاء في نفسيته ساعياً لتكوين فضاء مغاير يحقق له الصورة التي يرسمها للوطن المفقود نفسياً لدى الكاتب، ويمكن أن يطلق على هذا المكون فضاء التصوير الذي يمثل الفضاء الليبي بكل مكوناته الحسية والنفسية.

2 ـ **فضاء التصور:**

هو فعلاً التصور الذي شكلته معالم تلك الفترة الزمنية من عمره، فترة الطفولة فالرجوع إلى الوطن كان الهاجس والصورة التي ارتسمت مكوناته في مخيلة ذلك الطفل منذ الأزل، "**ما أعانقه في داخلي وإن لم يره أحد، وما أود أن أضمه إلى صدري منذ الأزل**"[1]، وهذا الهاجس بالنسبة للكاتب في مرحلة طفولته غير مرئي، إذا يحن إلى وطن لم يره لم يحس تفاصيله، "**كنت أعانق شيئا غير مرئي، أفتح**

(1) الوقدات، عبد القويري، ص: 119.

يدي إلى مداها ثم أضمها إلى صدري، كدت أفعل ذلك ولكن شيئا في نفسي منعني وجعلني أعود إلى موقعي، هل أعانق الهواء؟ ..."[1]

"كلمات ليست غريبة، الوجوه تجاعيد والأيادي عروق ... أيشعر عائد إلى وطنه بالغربة؟ كيف إذاً لا يعود من حيث أتى؟ .. كانت كلمة. وتبعدني عمن حولي وعن الواقع الذي كنت أحاول غرس أقدامي فيه"[2]

نجد الكاتب يجعل من فضاء التصور، عالماً خيالياً يمتلكه لا يريد ولا يسمح لأحد بالمساس به هو مقدس بالنسبة له، لم يسمح حتى للواقع بتشويهه والعبث به، لأنه المكون الطفولي، والعالم الذي رسمته مخيلته البسيطة لذلك الواقع غير المحسوس نفسية جعله أحد مكونات طفولته كدمية يلعب بها الطفل، لا يحب المساس بها، قدسه وجعل له قدسيته "**لا يستطيع أحد أن يزيح من نفسي شيئا كونته الأجيال المتعاقبة، فهي ترسبت قليلا قليلاً على مهل في النفوس وما تتركه هو ذرات صغيرة**"[3].

فقد عاش الكاتب بيئتين مغايرتين استطاعتا أن تؤثرا في نفسية الكاتب سلباً، فانعكاساتها سلبية بكل ما تحمله اللفظة، فقد عاش غربة نفسية، وحرم الإحساس بالانتماء لفضائين، فضاء التكوين في المجتمع المصري فلم يكن فيه سوى الخوف والعزلة، وعدم تحقيق ملاعب الصبا لمثل من هم في سنّه، والكبت الذي تمارسه العائلة عليه ممّا جعله يعيش شيخوخة مبكرة، فقد كان يعيش عزلة التعامل مع الشخصيات والمكان.

---

(1)الوقدات، عبدالله القويري، ص 118.

(2) المصدر نفسه، ص 118 ، 125.

(3) المصدر نفسه، ص 132

وفضاء التصور الذي جعله مصب كل أحلامه فوجد فيه منفى أيضاً، تحطم كل التصور الذي رسم صورته منذ الأزل فأصبح موزعا بينهما "**وإنك لتدور من منفى إلى منفى ليس لك من مهرب، تغادر إحداهما لتعود إلى الثانية ولا تدري أيهما تغادر ولا إلى أيهما تعود وهكذا ... لا بد أن أغادر ولا بد أن أعود**"[1].

يمكن إرجاع هذا التشتت في عدم الانتماء لكلا المكانين هو عدم وجود صورة حسية لمكونات المكان المتصور المتخيل، بل هي صور أوجدتها مخيلة الكاتب واتسعت فلم تستطع مخيلته تحديدها ممّا جعل منه طفلاً يمتلك بعداً خيالياً واسعاً يجعله ينفتح على أمور أعظم وأشمل من تحديده بمكان، فكان الواقع يمثل الصدمة من مغايرة الواقع للتصور الذي رسمه لملامح المكان، "**خفت أن تتغاير تصورات كثيرة في نفسي وأكثر ما أخافني أن تتغير ملامح الوطن وما رسمته في وجداني لجوانبه الكثيرة فهل يتغير الوطن**"[2].

فصورة الوطن التي كان قد رسمها منذ صغره كانت الصدمة في تغيرها مقارنة بالواقع فالوطن عنده ذي "**المساحات الشاسعة بصحرائه، بأبناء هذه الصحراء، بأبناء المدن بالسماء الممتدة إلى مالا نهاية، بالندرة في الخضرة، بالقلة في الماء، كنت أعرفه وأنا في مصر، كنت أكتفي به يملأ وجداني مبتعداً عن ذكره في أغلب الأحيان**"[3]، ففضاء التصور يمثل عنده الحلم والرغبة والصدمة كانت عندما وجده مغايراً لما رسمه.

ومشابهاً للفضاء التكويني رغم توافر مائه وخضرته الدائمة وكتافته البشرية، فقد عاش غربة نفسية بين فضاءين، انعكست آثارهما سلبياً على نفسيته، وهي أقرب ما

---

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص 287.

(2) المصدر نفسه، ص 132.

(3) المصدر نفسه 132.

تكون لكونها مفتعلة، افتعلتها الأسرة بما غرسته في نفسيته وغرسها فضاء التكوين بما جعله من غريب فيه فهو (مغربي ليس منهم).

4 ـ أمين مازن وتشكل فضاء النشأة والعزلة:

ـ فضاء النشأة:

على الرغم من أن الكاتب لم يعط الحضور المكاني أهمية، فإنه لم يغيّب حضوره، فقد شكل حضور المدينة (هون) ركناً أساسياً في سيرته وذلك بوصفها فضاء زخما لاستيعاب كافة التحولات والتغيرات الاجتماعية التي عاشها الكاتب، وبهذا تعد سيرته استنطاقاً لروح الأماكن والجهات التي عاش فيها أو شكلت لديه بؤرة خلفية لاستحضار الكثير من الأشجان والذكريات، فقد استطاع أن يسترجع ولو الجزء اليسير من الأمكنة التي رافقت صباه وفتحت عينيه على الكثير من التغييرات النفسية التي انعكست بدورها على نفسية الكاتب وتكوين شخصيته.

وقد استخدم تقنية الوصف الخارجي للمدينة التي نشأ فيها (هون الواحة الصحراوية) وغيّب الكثير من الأمكنة التي تخص هذه المرحلة من العمر ـ مرحلة طفولته ـ ومن ضمن ما غيّب حضور المكان الحميمي الخاص بتحديد معالم البيت، وربما يرجع ذلك إلى الموضوعية، موضوعية الذات حتى في خصوصيتها.

ـ فضاء العزلة:

الذي يعد فضاء التكوين حيث إنه المكون الأساسي لشخصية الكاتب وفضاء النشأة، ولكنّ الكاتب من خلال الوقوف على عرضه لتفاصيله جعله فضاء عزلة على العالم المحيط به "وتعبيراً عن جانب من الإحساس بالنقص الحضاري عن بقية

المناطق؛ الأمر الذي ينعكس على معالم المكان المتميز ببطء حركته نحو التقدم ... والتعبير النفسي عن الإحساس بالتهميش المُتعَمَّد للمنطقة"[1].

وربما كان ذلك سبباً ليكسر قيود المكان وينطلق إلى غيره باحثاً عن مكان آخر تستوطنه نفسه، فقد اخترق هذا الفضاء الجامد الذي يضطره إلى العيش فيه تحت ضغط الإكراهات الاستثنائية الاختيارية، مشخصاً الحالات الشعورية والنكسات السيكولوجية التي تنتاب الفرد، وهو يرفض نفسيا الالتزام بالأعراف والقوانين الصارمة التي تنظم علاقته بهذا الفضاء الثابت.

فقد كان الفضاء (هون) بمثابة برج زجاجي منغلق على نفسه، يقع في الصحراء الليبية؛ مما يجعله أشبه ما يكون بالسجن فيما يتعلق انعكاساته السلبية على نفسية الكاتب "**فهدوء الصحراء وسكونها يسير في هذه المهمّة ... وكثيراً ما يفضي الإحساس بالانقطاع عن العالم واستشعار العزلة إلى اللجوء إلى أحد ضاربي الودع**"[2].

"**كانت المنطقة شبه معزولة، ولا صلة لها بالشمال إلا بواسطة السيارة الوحيدة التي تجيئ دوريا محملة بالسكر والدخان ...**".[3]

فقد اعتمد على الوصف لرسم أبعاد المكان وطبيعته من الداخل، وكذلك طبيعة العلاقات التي يفرضها على الشخصيات المتحركة داخله، وما يعطيه الوصف من دلالات توحي بالعزلة التي فرضتها الصحراء على هذا الفضاء، "**كثبان الرمال**

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص 296 ـ 297.
(2) مسارب، أمين مازن، ص 175.
(3) المصدر نفسه، ص 174.

المترامية .. وسلاسل الجبال القاهرة وسط يقين لا يتزعزع بأن القباب التي شيدت لبعض أوليائها الصالحين"[1].

فقد اقتصر الفضاء العام في السيرة على مدينة (هون) وغيبه حضور الأمكنة الأخرى، وهو المكان الواقعي؛ أي أن أبعاده وصفاته الخاصة يمكن رؤيتها ولمسها على أرض الواقع، فالبيت الذي يسكنه (أمين) يقع في (هون)، وكل حركة الشخصيات في (هون)، وجميع الأحداث وقعت في (هون)، فالمسجد المتميز بموقعه فيها، والسوق الذي دأب التجار على ارتياده فيها، والمزارع القريبة التي تعد مزرعة الشيخ منها الملاصقة للحي الإيطالي في المدينة نفسها.

على الرغم من ولادة (أمين مازن) في هذا المكان والاستقرار فيه وقضاء مرحلة طفولته وشبابه فيها فإنه كما يبدو من خلال (مسارب) لم يرتبط به ارتباطاً نفسياً، نراه يتطلع دائما إلى للخروج والتحرر من هذا المكان المنعزل عن البشر؛ كما لم يرتبط به جغرافياً، فنراه غيّب مواصفات المكان الجغرافية من بيوت ومساجد ومدارس ومستشفيات لا شك في أن لها أبعاداً نفسية في طفولته، وهذا يؤكد أن انتماء الكاتب للمكان هو انتماء جغرافي شكلي لا غير؛ لأنها لم تكن سوى الفضاء الذي ولدت فيه تلك الشخصيات ونشأت، وهذا ما بدا واضحاً على ظاهر الكاتب وسلوكه وتفاعله وعدمه مع المكان، وتعد هذه العلاقة بين الكاتب السيرذاتي والمكان "علاقة تنافر، تتسم بانسلاخ الشخصية على المكان فكرياً ونفسياً وجسدياً، وقد ينتج عن هذا الانسلاخ مشاعر عداء وكراهية للمكان، أو يؤدي في بعض الأحيان إلى شعور

(1) المصدر السابق، ص: 17.

الشخصية بالاغتراب النفسي والجسدي؛ سواء رغمت على اختيار المكان أو لم ترغم"[1].

كما شكل الريف والمزارع في السيرة فضاءً مثالياً؛ تجسد في علاقة الألفة بين الكاتب والشخصية والمكان، فعلى الرغم من بساطة هذين المكانين في أصل تكوينهما، فإن الكاتب السيرذاتي جسد علاقة الألفة معهما بقوله:

"**حيث الريف الجميل، إلى جانب النخيل ... وجموع الفلاحين الطيبين الذين يعيشون في المزارع مكونين حياً شبه منفصل له تقاليده وأعرافه وأسلوبه في الحياة، توجد مزارع متعددة يعيش داخلها الفلاحون .. الليالي مقمرة والنجوم زاهية متلألئة عبر فصول ثلاثة تحلو فيها الحياة** ..."[2]، وهذه العلاقة بين الشخصية والمكان تسمى علاقة انتماء، وتعني "بالتداخل والازدواج بين الشخصية والمكان، فينتج عن ذلك علاقة ودّ وألفة تربط بين الاثنين"[3]، وكذلك نشأت هذه العلاقة بين الأمين وتلك المكتبة، فكونت علاقة انتماء وازدواج بينهما "**لقد وجد ضالته في الخلود إلى المكتبة الموجودة في تلك المقصورة من زاوية البيت؛ ليقرأ كل شيء ؛الأوراق المحفوظة، المجلات القديمة .. في مربوعة الخالة التي تزوجت لتوها وجد ضالته**"[4].

---

(1) الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، أطروحة تقدمت بها نجوى محمد جمعة البياتي، جامعة البصرة، 1432هـ - 2011م، ص 134.

(2) مسارب ج1، ص 104 - 107.

(3) الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، ص 145.

(4) مسارب ج1، ص 165 - 166.

الفصل الثالث :

صـــورة الـــزمـــن الســـردي فـــي مـــرحلـــة الطفـــولـــة

المبحث الأول: مـــدخـــل نظـــري لدراســـة الـــــزمن

المبحث الثـــاني: معـــالجـــة تطبيقية لفكـــــرة الـــزمـــن مـــن خـــلال تنـــاولها لدى الكتاب

المبحث الثالث: سيكـــولـــوجيـــة الـــــزمـــن

صورة الزمن السردي في مرحلة الطفولة

أولاً : مدخل نظري لدراسة الزمن:

1 ـ الزمن في السرد: لا يختلف اثنان على أن أي عمل سردي لا تقوم له قائمة في ظل تغييب عنصري الزمن والمكان، فبتضافرهما تلتئم بقية عناصر البنية السردية؛ لأن المنجز السردي بشتّى أجناسه عبارة عن نقل لأحداث وتصوير لشخصيات، ولا يتأتى هذا إلا بوجود هذين العنصرين المتفاعلين، وهما متلازمان، لا يمكن الفصل بينهما؛ لأن كلاّ منهما يستدعي الآخر ويستلزم حضوره، كما أن الفرد لا تتكون خبرته أو معرفته إلا من خلال تتابع اللحظات الزمنية والتغييرات التي تشكل سيرته الذاتية.

ويكتسي الزمن أهمية بالغة في السرد؛ فلا يمكن أن تتصوّر حدثاً، سواء كان واقعياً أم تَخْيِيلياً خارج إطار زمني معين، كما لا يمكن تصوّر ملفوظ أو كتابة ما دون نظام زمني، فهو يعمّق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي، لذلك يُعَدّ وجوده في السرد أمراً حتمياً إذ لا سرد بدون زمن[1].

فالإنسان أسير الزمن بنوعيه الطبيعي والنفسي، يشعر به في تعاقب الليل والنهار؛ وفق منظومة كونية محكمة ويحس بديمومته من خلال ما تكون عليه حالته النفسية المضطربة بين حال المنتصر وحال المنكسر، وما يترتب على هذين

(1) ينظر: بنية الشكل الروائي، حسن البحراوي، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1990، ص 213.

الشعورين من تشاؤم وتفاؤل، ومن فرح وترح، وأخيراً الإحساس بامتداده المتوقف على عمره، وما يمر به من ظروف وملابسات تتحرك آثارها في النفس[1].

فالزمن هو الفضاء الذي تحيا فيه الشخصيات، وترصد تحولاته، وكلما تقدم به الزمن أحس بوجوده المرتبط أساساً "بالحالة الشعورية"، وبالتالي فإن عمر الإنسان الحقيقي لا يقاس بالسنوات، وإنما بالحالة الشعورية التي يمتلكها ويسيطر عليها، فالزمن الحقيقي هو الزمن النفسي؛ وليس زمن الساعة"[2]، ومن هنا يمكن تقسيم الزمن إلى زمنين:

أ ـ الزمن الموضوعي والزمن السيكولوجي:

ـ الزمن الطبيعي (الموضوعي)، (الخارجي):

وهو زمن يتجلى في تعاقب الليل والنهار، وتوالي فصول السنة، والمرحلة التي يقضيها الإنسان من لحظة خروجه من جوف أمه إلى مماته، ويقصد به أيضاً الحدود الزمنية المتعارف عليها (الماضي، والحاضر، والمستقبل) وهو فيزيائي يقاس بالدقائق والساعات والأيام.

"وقيل إن الزمن أو الزمان هو الدهر، وقيل هو نمط مظهر من مظاهر الكون بمعناه الفلسفي، وهو ركن مهم من أركان الحياة الإنسانية؛ ولاسيما لو تجاوز الوهم والخيال يصير واقعا ملموسا ويرتبط بالذات الأدبية ويمثل بعداً فنياً مهماً في هذه الذات حين تكون جسداً"[3].

---

(1) ينظر: الزمن الدلالي، كريم زكي حسام الدين، دار غريب ـ القاهرة ـ مصر، ط2، 2002، ص 25.

(2) الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ، 2004، ص: 17 ـ 18.

(3) أصداء دراسات أدبية فكرية، د/عناد عزوان، جامعة بغداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000، ص 59.

وقيل أن "الزمن هو الحركة، وهذه الحركة التي تتجلى بوضوح في التعبير الذي يطرأ على كل ما هو حي"[1].

والزمن أو الزمان هو في التصور الفلسفي ولدى أفلاطون تحديداً "كل مرحلة تمضي لحدث سابق على حدث لاحق، فالزمن وفق هذا التصور مرتبط بحركة الأشياء وتغيرها المستمر، سواء عند قياس العمر ومراحل الحياة التي يمر بها الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة، أو الزمن بوصفه أحداث تشترك فيها الإنسانية"[2].

ـ الزمن السيكولوجي (النفسي):

فهذا الزمن يتجاوز الحدود الزمنية المتعارف عليها، فهو يرتبط ارتباطاً شديداً بالحالة الشعورية للذات، وتبين واقعها الحياتي المعاش، فقد تأثر الأدباء بالزمن النفسي، واستخدموه في نصوصهم استخداماً عفوياً أو قصدياً، ويعد من أهم أنماط الزمن التي ارتبطت بالحالات الشعورية، وذلك يرجع إلى طبيعة الواقع الحياتي[3].

ومن هنا اهتدى البنيويون في الحكي للتمييز بين مستويين للزمن زمن القصة وزمن الخطاب، وهذان الزمنان حاضران في أي عمل سردي، سواء كان سيرة ذاتية أو قصة أو رواية.

---

(1) بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، إعداد سهام سديرة، جامعة منتوري، قسطنية، الجزائر 2006، ص 24.

(2) بنية الخطاب السردي في رواية شعلة المائدة لمحمد مفلاح، إعداد بن هشام، جامعة تلمسان، الجزائر 2014، ص 79.

(3) ينظر: الزمن في الرواية المعاصرة، د/ مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 15.

ب ـ زمن القصة وزمن الخطاب:

ـ زمن القصة:

هو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة، فلكل قصة بداية ونهاية، يخضع للتتابع الزمني المنطقي التاريخي، يخضع للتسلسل المنطقي للأحداث[1].

فزمن القصة يكون على النحو التالي: حدث 1 ـــــــ حدث 2 ـــــــ حدث 3

ـ زمن الخطاب (السرد):

زمن لا يخضع إلى التسلسل المنطقي للأحداث، يقدم من خلاله السارد الأحداث، ولا يكون بالضرورة مطابقاً لزمن القصة، فهو تجاوز للحدود الزمنية، في لحظة يمكن استحضار الماضي عبر الذاكرة في لحظة الحضور وتمثله، أو يتجلى عبر أمنية منشودة، أو توقع في لحظة الحاضر"[2].

في زمن الخطاب حدث 1 ـــــــ حدث 3 ـــــــ حدث 2.

ج ـ الزمن في السيرة الذاتية:

الزمن في السيرة الذاتية له خصوصية فهو ذو خصائص نفسية صرفة لعلاقته الحميمة بالذات؛ لأنه متعلق بالتجربة الحياتية مثلما عاشها وعايشها مدوّنها في مجتمعه؛ ليغدو حاضناً لأحداث الذات في سياقها الواقعي؛ خلافاً للزمن الخارجي المستقل عن الذات، إذاً فـ "الزمن في السيرة الذاتية ثلاثي الأبعاد: ماض مستعاد هو

(1) ينظر: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد الحمداني، ص 71.
(2) المصدر نفسه، ص 71.

زمن الأحداث، وحاضر وهو زمن الكتابة، وزمن غير متعين يدركه القارئ وحده عبر وعيه أثناء عملية القراءة"[1].

إن الماضي هنا ليس مجرد مساحة زمنية لحركة الأحداث والوقائع، بل هو ملجأ سرّي نصعد منه عبر مستويات الزمن كلها إلى أحلامنا وتشوقاتنا؛ دون أن نبتعد عن طفولتنا، هكذا تصبح مقارنة الماضي فعلاً نوستالجياً[2] أكثر قسوة وإشراقا من مجرد التذكر البارد"[3]، إذا فهو زمن نفسي (فني) في المقام الأول، يعيد صياغة زمن الأحداث وفق منظور الذات، وعلى ذلك فحركة الزمن هنا تختلف على أنواع السرد الأخرى، فالزمن العام للعمل: عبارة عن عدة أزمنة متداخلة وليست متجاورة، فالعودة للماضي أو الاستشراف تتبع من حركة الزمن السردي نفسه، ولا تخضع

-كما في أنواع السرد الأخرى- إلى طبيعة الحدث، وفي العمل الذاتي الجيد فنياً يتم دمج الزمن الوصفي في الزمن السردي وهو ما يطلق عليه (جرار جينيت) التردد والتفرد، فالتفرد يختص بالوصف، والتفرد بالسرد[4].

وإذا كانت الدراسة لجنس السيرة تختص بدراسة الماضي لمرحلة عمرية معينة، وهي مرحلة الطفولة فبطبيعة الحال سوف يتم استخدام تقنية الاسترجاع للوقوف على هذه الفترة الزمنية من حياة الكاتب، وهي طفولته والأحداث التي أسهمت بشكل مباشر في التأثير على الكاتب السيرذاتي، الأحداث التي كان لها الأثر المباشر في تكوين شخصيته وانعكاسها على الكاتب ونفسيته، فمن خلال الاسترجاع يمكن

---

(1) الكاتب العربي ما بين السيرة الذاتية والسرد السيرذاتي، هويدا صالح، ديسمبر 2008، 3 ـ 31.

(2) هو مفهوم سياسي واجتماعي يعنى به التدوق غير السوي للماضي أو استعادة وضع يتعذر استرداده، وهذا الوضع ناتج عن عدم القدرة على التكيف مع الواقع الجديد الذي فرضته المتغيرات المتسارعة والتحولات الكبرى في البناء الاجتماعي. نقلاً عن الشبكة اللبرالية الحرة. Index.php.acchive,bttps//liberal.org

(3) الكاتب العربي ما بين السيرة الذاتية والسرد السيرذاتي، هويدا صالح.

(4) ينظر: خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ص: 27 ـ 28.

الوقوف على رؤية الكاتب، وبذلك يمكننا الوصول إلى ما يخدم الهدف النهائي الذي يسعى الكاتب إليه من خلال دراسة (الطفولة).

فالاسترجاع:

واحد من أهم الآليات السردية التي ظهرت في الأنواع السردية كافة ،سواء على مستوى استرجاع القصة كلها أو على مستوى إعادة ترتيب الأحداث، والزمن الماضي هو الذي ينزع إلى أيام الطفولة الأولى للكتاب موضوع الدراسة؛ ليشمل حياتهم الخاصة بما تحويه من أحداث، ثم استرجاعها، والاسترجاعات هي: الارتداد إلى أحداث ماضية.

وبما أن السيرة هي أحداث ماضية كلها فهو يسرد حياته، فإن مرحلة الطفولة هي ارتداد إلى مرحلة عمرية ماضية، واستحضار أحداثها، إما تذكراً أو رواية، وفي الغالب فإن هذه الأحداث لصيقة الذاكرة، في الغالب هي مهمة ،وإلا لهمشتها الذاكرة وصعب استرجاعها، ويبقى لهذه الاسترجاعات دور كبير في تزويد القارئ بمعلومات ماضية؛ تشكل مسببات هذا الحاضر وأحد نتائجه.

يتنوع الاسترجاع إلى:

استرجاع خارجي: "وهو الذي تظل سِعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى؛ لأن وظيفته الوحيدة إكمالها عن طريق تنوير القارئ بخصوص بعض الأحداث السابقة"[1]، ودوره المهم في استكمال صورة الشخصية والحدث، وفهم مسارها أيضاً.

استرجاع داخلي: ويمتد إلى ماض لاحق لمنطلق الرواية أو بدايتها، وهو الذي يتناول مضمونا قصصياً، كإدخال شخصية يريد السارد إضاءة سوابقها،

(1) البنية الزمنية في رواية (قبل البدء حتى) للروائي محمد بو رحلة، صادق خشاب، مقالات الملتقى الدولي عبد الحميد بن هنوقة للرواية لـ 15.

أو شخصية غابت على الأنظار بعض الوقت يجب استعادة ماضيها قريب العهد"[1].

فالزمن يمثل مفصلاً جوهرياً من مفاصل حركة التاريخ الذي يتكاثر بدوره من خلال حركة الشخوص التي تنتج الحدث الحكائي ... ويمكن القول إن الزمن في النص الأدبي جزء من فلسفة الذات الحياتية؛ لأن الزمن المعاش لا يمكن الاستغناء عنه في فض مغاليق الشخصية، وكلما أمعن الكاتب في واقعه تكشفت له جوانب فلسفة الزمن، وهنا يصبح ذا مغزى إيجابي أو دلالي في حياة الشخصية.

فلا بد لكل حدث داخل السيرة من نقطة زمنية وأخرى مكانية، ولابد لكل حدث حصل في مرحلة الطفولة من أبعاد نفسية، فالطفولة وسيلة تأسيسية لغاية؛ هي تكوين شخصيته التي هو عليها، وما أفضت إليها من قيم فكرية وسلوكية تعد الطفولة أحد الروافد المغدية لها.

فهناك تداخل بين أسلوب الحكي الذاتي الذي يستخدمه الكاتب وتقنية الاسترجاع (Flashback) التي بدورها تشير إلى حقبة الطفولة، وهذا التداخل سيُبينه هذا التصنيف العملي لصاحب كل عمل سيرذاتي لأهم الأحداث المروية لهذه الحقبة الزمنية من حياة كل كاتب ،ومدى تأثيرها في بناء شخصيته وطابع سيرته.

ثانياً: المعالجة التطبيقية لفكرة الزمن من خلال تناولها لدى الكتّاب (كتّاب السّير):

ـ تصنيف دليل لزمن:

1 ـ عبد الله القويري: "مساحة الأحداث تتأطر في الفترة من منتصف الخمسينيات ومطلع السبعينيات من القرن المنقضي، ومن هذا الزمن المركزي الحدثي يتسع

(1) بنية الزمن في روايات شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج، الأستاذة نصيرة زوز، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، ص 17 ، 18.

المدى الزمني إلى طفولة الكاتب في جزئه الأول، أما الوقدات فزمن الأحداث بدأ من زمن الوعي الطفولي وتحديداً في العام 1936 التي يصرح بها سرداً في سيرته"[1].

زمن الاسترجاعات	الزمن النفسي السيكولوجي	الصفحة
فقدت البصر لفترة زمنية ليست بالقصيرة لم أكن في ذلك الوقت قد تجاوزت السادسة من عمري ورغم ذلك فإنني أذكرها كأنما حدثت بالأمس.	الإحساس بالعجز والعمى والبعد على المحيط به	10 ـ 11
عندما كنت في الصغر كانت أمي تمسح رأسي بزيت الزيتون وتطلق دعواتها مستنجدة بسيدي (عبد السلام الأسمر)... وتتركني أصارع الحمى .. حادثة أخرى مازالت في أعماقي ... تلك السيدة التي تفلت في فمي.	الإحساس بالخوف والقرف ورفض الواقع في كونها السبيل إلى الشفاء	14 ـ 15
لم يغادر ذهني ذلك الكابوس، ضربتني الحمى يوما فجثم على صدري حتى كاد يقتلني ... صور لي أن صدري أصبح قفصاً مملوءا بالأرانب تجري فيه وتبحث عن طعام ... وكانت أمي تمسح رأسي بزيت الزيتون.	الخوف والرعب من المرض والكوابيس، الشعور بالخوف من المستقبل	32
أخرجوا جثتين من الإبراهيمية ... وأخنقني ألا يكون هناك مكان لجسدي لجسدي غريقين غير حافة الترعة.	الخوف الذي دعاه لاستجماع شجاعته الشعورية الحنق والغيظ والعقوبة وضربتني الحمى.	34 ـ 35

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص 318.

زمــن الحــدث الطفــولي	الزمن النفسي السيكولوجي	الصفحة
الكآبة وحش مخيف، كثيراً تمثله ربضا في ركن غرفتي لم تغادرني طيلة أيامي الدراسية هذه الصورة الرمزية لهذا الإحساس القابض ... ولكن الأحداث حولي تجعلني أبحث عن قوقعة أدخل نفسي فيها.	الخوف، الإحساس بالقبض والتقوقع داخل النفس، القلق النفسي.	58 ـ 59
أكوام هائلة من الغربة لم يستطع أحد أن ... لا أعرف اسم بلدها الذي أتت منه ولكنه على ما يبدو هي مثلنا غريبة. كنت دائما أسير وسط الشارع أمام بيتها فطعنتني بصوت زاجر حارق ... لم يكن صوتها مرتفعاً لكنه كان غليظاً عريضا لا أذكر من ملامحها شيئا خفت أن تلتهمني بنظراتها قتل ابنها عندما كان صغيراً، قتله جزار مثله	الغربــة والثـأر يتـلازمان ليصنعا الخوف من القادم، الغربـة ارتبطـت بـالموت فهـي غريبـة ولذلك قتل ابنها صغيراً ولم تأخذ بثأره ارتبطت الغربــة بالموت لتنعكس سلباً على شخصية الطفل.	70 ـ 71 ـ 72
أخذني على الإسكندرية اعتقادا منه أنه قد فتح لي آفاقا كبيرة وأطلعني على ما سأحكيه طيلة عمري. لم يعلم أنه أطلعني على غربتي إذ ازددت شعوراً بالغربة، الطين يجذبني أكثر مما جذبتني الإسكندرية.	حتى الخروج من المدينة كحدث لم يخرج الغربة التي افتعلتها العائلة بل الخروج من المدينة زاد في ترسيخ هذا الشعور لدى الكاتب.	86 ـ 87
وقفت على حافة الترعة الإبراهيمية أتفرج كبقية الأولاد على الجنود الإنجليز ... لم تطل وقفتي إذ أخذت وجهتي إلى البيت ساحبا قدمي يكتحان التراب.	يترسخ الإحساس بالرعب والتفكير في الحياة تفكيراً طفولياً مثل تفكير الكبار من حوله يرفض الواقع	104ـ105

اقتربت من الباب القبلي حتى ضربته بيدي بعنف. لم أستشعر الخوف، ولم أحس الاطمئنان. الوقت عصراً ... وانطلقت صارخة ـ لم يكن صفيرها معتاداً ... كان صوتها متقطعا ... صفارة الإندار ... ولكن أي شيء تنذر. دخلت أذني كلمة (غارة) كشيء مرعب يهزني.	ويطمح للتغيير.	

1 ـ القويري/ زمن الغربة المتأصلة في الذات:

فالغربة هي المحرك الأساسي للفعل السردي في سيرة عبد الله القويري مع ملاحظة ما يتبعها من حنين وقلق، وعدم تكيف مع البيئة التي تعيش فيها، وهذا يؤكد أن الإنسان لا ينفصل عن وطنه وتاريخه، وتحديداً تاريخ الطفولة؛ مهما حاول ذلك، ولكن طفولة الكاتب كانت في صعيد مصر، فعلى أي اغتراب يتكلم؟ غربة افتعلها هو، غربة نفسية جراء انفصاله عن الآخرين، هي غربة ذاتية التي "**تعد من أكثر المعاني صعوبة في التحديد، ذلك أن الفرد فيها لم يعد يملك زمام ذاته، وهذا يعني اغتراب الإنسان عن وجوده الكلي والشخصي، واغترابه عن الآخرين وعن نفسه**"[(1)].

نلاحظ من خلال الجدول التوضيحي السابق أن الاسترجاعات تدور حول الزمن الاغترابي في طفولة الكاتب، ومدى ارتباطها بالذات، مع أن الكاتب لم يعط الأحداث أهمية تذكر، فقد وثق بعض الأحداث وأهمل الكثير منها، فجاءت سيرته تفتقر للكثير

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص: 207.

من الأحداث التي تعد بارزة في طفولة الكاتب السيرذاتي، أو طفولة أي إنسان على وجه العموم، فقد غيّب الكثير منها منشغلاً بالحوار الداخلي، ولعل ذلك يرجع إلى الغربة النفسية التي يعيشها، فقد كان يحس بأن النفس هي المتنفس، هي الوطن، فقد كان متصالحاً مع نفسه، في الوقت الذي استبعد فيه جُل الأحداث لإنكاره العالم الذي يعيش فيه؛ لأنه ينكر المكان، فقد تنكر منه في سيرته؛ فجاءت سيرته تفتقر إلى أغلب الأحداث الواقعة فيه، فقد هاجر الأحداث وكان ارتباطه بها ارتباط مهاجر.

"**هذا ماكنت أريد، فليس سهلاً أن أغْرِفَ من ذكريات الطفولة هناك في صعيد مصر في بيت ليبي مغروس في الطين، يحيط به جو وعلاقات مصرية، وليس بسيطاً أن آخذ ما أراه الآن في الشارع أو أسمعه في مقهى، أو أسأل عنه شخصاً لأصنع منه قصة سردية**"[1]

فقد ذكر الأحداث التي أوردها في طفولته والانعكاسات السلبية التي غرستها الغربة في نفسه ، فعلى قلة الأحداث التي ذكرت فإنها أيضاً اقتصرت على انعكاسات سلبية أحدثتها الغربة النفسية والجسدية التي كان يحياها، فقد ارتبطت الأحداث بالعمى الذي أصابه، وثارة أخرى يعود ليقدم أحداثاً ليست على قدر كبير من الأهمية إذا قيست بطفولة الشخص؛ كحادثة الموت، والجثث التي أخرجوها أمام عينيه، وسفره للإسكندرية، فكان أول حدث يقوم عليه السرد في الوقدات فقد البصر "**فقدت البصر لفترة زمنية ليست بالقصيرة لم أكن في ذلك الوقت قد تجاوزت السادسة من عمري**"[2]

فقد كانت صور معاناة الكاتب من ناحيتين جسدي ونفسي تمثل في:

---

(1) المصدر السابق، ص:

(2) المصدر نفسه، ص: 11.

ـ المرض الجسدي إلى جانب الروحي في مرحلة طفولته، فأما المرض الروحي تمثل في استمرار غربته وتحرقه شوقاً للعودة إلى الوطن، وأما الجسدي فقد تمثل في فقدانه البصر في مرحلة مبكرة من طفولته.

ـ معاناة القويري الطويلة من الاغتراب، ذلك أن مأساته والعنصر البطولي في سيرته يكمنان في الغربة، فهو قد أمضى ثلثي حياته وكل مراحل طفولته وشبابه في أرض الغربة، وقد حاول إيجاد معنى لحياته من خلال رسم معالم الوطن في مخيلته.

ثم انتقل بعد ذلك لحدث زمني ليس أفضل من سابقه وهو مرضه الدائم وإصابته بالحمى الشديدة، فقد ارتبطت الطفولة عند القويري بالمرض، مما انعكس سلبا على شخصيته كذلك، "**عندما كنت في الصغر كانت أمي تمسح فوق رأسي بزيت الزيتون وتطلق دعواتها مستنجدة بسيدي عبد السلام الأسمر ... وتتركني أصارع الحمى ... حادثة أخرى مازالت في أعماقي**"[1] تولد جراء ذلك الإحساس بالخوف والعجز.

وأيضاً ارتبطت أحداث طفولته بالموت، فقد روى حادثة أخرى وقعت أمام ناظريه عندما كان طفلاً، العثور على جثتين متعفنتين على جانب الترعة، ورؤية الأطباء يقومون بتشريح الجثة على مرأى ومسمع الجميع، وبخاصة ذلك الطفل الذي ترسخت عنده فكرة الموت والثأر ورائحة الموتى حتى قال إنه يشعر بالقرف والغيظ والعفن وتصيبه الحمى مجدداً لرؤيته ذلك، "**أخرجوا جثتين من الإبراهيمية ... وأخنقني ألا يكون هناك مكان لجسدي غريقين غير حافة الترعة**"[2].

(1) الوقدات، عبد اله القويري، ص: 14 ـ 15.

(2) المصدر نفسه، ص: 34 ـ 35.

إذاً فالطفولة ارتبطت عند القويري بالغربة فهذه المرحلة من حياته كانت تجسيداً لزمن الغربة عنده، والغربة انعكست سلبا على نفسيته، والدليل على ذلك تحجيمه لكم الأحداث واقتصاره على السلبي منها، وما ذكره من أحداث بعد رجوعه للوطن تعد أكثَر، رغم أنه قضى جُلّ حياته في الغربة نراه قلّص الزمن وتجاهله إلى حد كبير مقارنة بالأحداث التي أوردها بعد دخوله لليبيا، وهذا جدول توضيحي يبين الأحداث التي وقعت والاسترجاعات التي أوردها القويري منذ دخوله إلى أرض الوطن وانعكاساتها عليه:

زمــن الاسترجاع فـي النص السيرذاتــي	سيكــولوجية الــزمن	الصفحـة
كنت أريد التعبير عنه، وترابا وجبلا وشجرا وجفافا وجراداً، وخضرة وشعيراً وجوعا وعطشاً، كنت أريده مجسما، متحركا، مبدعا، من يقول لي إن عمر المختار يمكن أن يجسم ذلك ... كنت أبحث عن عناء البطولة في تجسيد الوطن سأعود ... ليس هناك ما يدعو للانتظار.	اللهفــة إلى العـودة إلى الوطن يقابلها انسجام في وصفه وشوق لاحتضانه.	119-118
كدت أعانق شيئا غير مرئي، أفتح يدي إلى مداها ثم أضمها إلى صدري، ما أود أن أضمه إلى صدري، ضمه منذ الأزل، لم يقصرني أحد على ذلك.	الحنين الأزلي للوطن يكسبه معنى إيجابي.	119
وقفت على الحدود أنتظر مع غيري، كنت عائداً من المهجر أحمل وثيقة عودة نهائية، كان تاريخاً لا ينسى، وعلى الحدود وقفت أنظر ... أنا أنتمي إلى هذا الوطن، أتعرفون؟	حديث النفس حول الوطن الذي ينتظره منذ الأزل، حديث اشتياق وترقب.	120-119
لا تسألني إلى أي جزء أنتمي، بل اسألني عن مدة ابتعادي، وعمن فعلها ودفعنا إليها؟ ثم اسألني عن العناء، وعن ... تحول إلى العناء.	انعكاسات ايجابية أحدثها الـوطن المجهـول لــدى القويري.	120
فإذا ما وقفت يوما على حدوده كالغريب تنتظر الإذن لك بالدخول، فأنت كالواقف أمام محراب ينتظر الدخول بلا تمرد ... لا تتبرم بالوجوه فقد علاها الصدأ، فاللسنين فعلها ... لا تقلق من الانتظار فللرتابة والسعادة جبروتهما.	تناقضــات حــادة بيــن الإحســاس بـالغربة والإحساس بالانتماء؛ يكشف عـن ضاغط نفسي يرزخ الكاتب تحت أثقاله.	121-120
لم أكن خائفاً كنت مطمئنا؛ كانت جوانحي مقبلة على أمر طال انتظاره... وها أنذا آخذ الطريق إلى وطني فهو طريق أرى في منتهاه ضوءاً يغشى الأبصار لا يراه غيري..	الاستقرار النفسي وتفتح السبل المؤدية إليه.	123

لا يراه غيري ... كدت أناديهم أن قفوا معي وانظروا ... هناك الضوء.		123
الأصوات حولي لم آلف إيقاع مخارج الحروف فيها، هي غير غريبة عني إذ كنت أسمعها من أفراد في الأمسية عند أعمامي بالنهار.	تخبط الأحاسيس، لم آلف ايقاع مخارجها، هي غير غريبة عني.	124
أيشعر عائد إلى وطنه بالغربة؟ كيف إذن لا يعود من حيث أتى.	صراع الانتماء إلى الوطن، صراع الرغبة في تملكه، فالوطن هو مركز الحركة ، سهم يتحرك في اتجاهين من منطلق واحد هو الوطن	
الأشواك منذ تلك الأيام أراها، لم ينسني وطني ما أحسست به من مرارة في نفسي، رغم أن مذاق التراب في فمي كان حلواً... تماسكت مع الأيام وبقيت رائحة البحر في الاسكندرية عالقة ببصري...	ما من جميل يبعث الإحساس بالسعادة وحاضر يبعث الخوف من المجهول الذي ينتظره دلالات زمنية متناقضة.	126
لا يستطيع أحد أن يزيح من نفسي شيئا كونته الأجيال المتعاقبة	صراع الانتماء إلى الوطن	132
كانت سمات الصباح رطبة... وقطع من السحب تملأ السماء ... كنت أدور بعينين متلهفتين كمن فقد عزيزا نادرا يبحث عنه في كل مكان.	الزمن النفسي يهيمن على رؤيته، ويلونها بمشاعره وأحاسيسه التي لا تعرف الثبات.	135
جئت هنا، وطوال الطريق أتحسس معالم وطني في النفوس، فكأني غادرته منذ سنوات لأرجع إليه أشد اشتياقاً		141

من خلال تتبع الأحداث التي قام باسترجاعها منذ التفكير في العودة إلى الوطن وكسر حاجز الغربة نلحظ تغيراً ملموسا في الأحداث.

ـ بدأت تميل نحو الإيجابية وتخلص القويري من السلبية المفرطة التي سيطرت على مراحل طفولته.

ـ تزايد الاسترجاعات التي أوردها فقد خصص لهذه الفترة الزمنية التي قرر فيها الرجوع إلى الوطن عدداً لا يحصى من الاسترجاعات، فالاسترجاع في الوطن أكثر عدداً منه في الغربة في صعيد مصر.

ـ الدقة في العودة للماضي، فقد أعطى لعنصر الزمان الأهمية، وبدأ ينحو بالسرد نحو المنطقية في السرد السيرذاتي؛ من خلال استخدام المصطلحات الدالة على الزمن، (أمسية ـ صباحاً ـ يوما ـ ضمه منذ الزمن ـ مدة ابتعادي ـ السنوات) إلى جانب الدقة في استخدام الأحداث الدالة على الاسترجاعات.

وربما يرد ذلك إلى أنه من هذه النقطة الجوهرية بدأ يحس بالزمن ويعتبر فترة طفولته الحاضنة للغربة، مرحلة وقف لوصف معالم نفسه، ولذلك غيب الكثير من الأحداث الجوهرية؛ كدخول المدرسة وأحداثها وغيرها الكثير مما لا يغيب على كاتب سيرذاتي الإلمام به عند كتابة سيرته.

نلاحظ أن هناك زمنين نفسيين يتنازعان (القويري): الأول منهما زمن الطفولة الذي يعد زمن الغربة والتهجير، وحديث النفس والأماني العريضة، والثاني: زمن الشباب وهو زمن الوطن والرجوع إليه، والبحث عن التعويض الجسمي والنفسي الذي أفتقده، وما بين هذين الزمنين جدل الصراع الذي يستقطب فكر (القويري) القلق وعواطفه المتأرجحة، ويبقى من آثار هذا الصراع ضياع (القويري) وارتماؤه في

حضن الوحدة القاتلة[1]، "**أدركت أنني لم أفعل شيئا، وأن كل ما عانيته لم يكن غير وهم**"[2].

نلاحظ كذلك أن العوامل الأساسية ذات الأثر المباشر في تعميق الشعور بالاغتراب عند القويري ليس البعد عن الوطن الأصل بقدر ما ارتبط بحادثة (العمى) الذي أصابه منذ طفولته، فهو لم يولد ضريراً لكن أصابه المرض في طفولته مما أفقده بصره لفترة من الزمن، وهذه الحادثة وجهت نظرته إلى الحياة في اعتماده على العقل في موقفه من الحياة، فغربة القويري اغتراب لا ينتهي، ليس شوقا لوطن لا يعرفه إلا سماعا؛ ولكنها غربة من كل مكان يحل به، وفي كل مكان يتواجد فيه، وتعبيره عن الاغتراب ليس سوى هروبا من واقع لا يعرفه لتتوق إلى عالم عرفه.

(1) ينظر: بناء العالم الروائي، ناصر نمر محيي الدين، دار الحوار، ط1، 2012، ص 75 ـ 76

(2) القويري، ص 241 ـ 243.

2 ـ كامل حسن المقهور:

مساحة الأحداث تتحدد في الزمن الطفولي من خلال الحدث المتجسد في مشهد الحرب العالمية الثانية التي انتهت أحداثها على الأراضي الليبية في عام (1943م)، ما يجعل الأرجح أن تكون الأحداث قد بدأت في مطلع الأربعينيات أي بين (1940 ـ 1943م) "تلك ليلة لم يعرف سكان المدينة ليلة أطول منها إلا لياليهم من دون عشاء ..."[1].

ضمن الكاتب سيرته (محطات) جُملة من المواقف التي استُرجعت فيها بعض الأحداث من حياته ومن هذه الاسترجاعات:

زمن الاسترجاعات في النص السيرذاتي	سيكولوجية الزمن	الصفحة
أول صفحة قيدتها على صفحتي (الكتّاب) آلت علي نفسي أن لا أرفع رجلي لأتلقى من الفقيه أحمد أو غيره فلقه ... ما حمدت لشيء مثل ما حمدت وأنا أدور دون ... في صحن المسجد (الدخول إلى الكتاب).	ارتبط الكتاب بالانفتاح الفكري لدى الكاتب، مما شكل العالم النفسي الذي يرفض من خلاله الجهل ويتطلع نحو الانفتاح الفكري الذي يعد الكتاب نقطة العبور له.	29-30-31
قصة واحدة كانت تروح وتغدو في البيت تشكل مأساة عميقة الأذى في داخلي ولا أذكر حتى اللحظة من من أخواتي حكتها لي في شكل أغنية ... وأنا أجهش بالبكاء حتى النواح أنا الطوير الأخضر *وريشي ريش العسكر ومرة بوي ذبحني*وبوي كلي من لحمي	الموت يعد المأساة الوحيدة في عالمه النفسي وهاجس نقد والدته يشكل الأذى الداخلي والشعور بالضياع؛ لأنه يرى الدنيا من خلالها.	54 ـ 55
(الرحلة إلى المدينة) ولا يخطر ببالي أنتي غادرت المحلة إلا لأسباب اختلفت على كتاب الشيخ (حورية) مكان لا يختلف عن المحلة إلا	ارتبطت المدينة بالحاجة والحاجة فيها أكثر اتساعا من الحاجة في المحلة، الحاجة	109-110-111

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص 319.

في قليل.	هنـا الحـاجـة للتعلم المتحرر، ارتبطـت بالاتسـاع والتحـرر.	112-113
(المدرسة) دخول المدرسة بهذا الشكل، حدث كبير اجتمعت له المحلة جميعها...انتظرت في الساحة. - لا يعرف الأطفال المدارس هم جميعا رواد الكتاتيب. - جميعهم لا يعرف الجلوس على المقاعد. - كانت المدارس في أذهانهم عنواناً للبنطال القصير و (القرمبيول)الأسود. - اختلف إلى المدرسة جميع الصغار. - ونصيب ذلك الصغير الذي تجاوز العاشرة بقليل الصف الثالث، وأكثر من كراس.	الولوج إلى المجهول، وفي عمق هذه الذكرى من خلال الأحداث المستعادة من خلال الذاكرة تتدرج ضمن إطار نفسي مشحون بالخوف والرجاء، هذه الأحاسيس التي تتابع تكشف عمق التناقضات التي تجتمع في نفس الكاتب، فهو خوف من المستقبل المجهول ورجاء في تحقيق إنسانيته من خلال التعليم.	125-127
(الغربة الخانقة) أخذت الرحلة إلى الاسكندرية أكثر من أربعة أشهر. - كان موقعي في (البركة) منزل شريك والدي أعيش فيه كما يعيش أبناؤه. - كان لابد أن يطعم من أراد الدخول إلى مصر. أوقفتنا السيارة أمام مستوصف وأدخلوا في جلود ذراعينا إبرة حادة ظلت تنتفخ حتى خلت أنها سوف تنمو أكبر من رأسي ويومها خفت أن أموت.	ولعل وظيفة الاسترجاع هنا تعكس الحالة النفسية التي بين قطبين البقاء في الوطن لجوار والدته التي ينام على حجرها فذلك يبعث فيه الإحساس بالسعادة، وغربة خانقة تخنقه وتجثم على أنفاسه وتبعث فيه الخوف من المجهول الذي ينتظره.	155-161-162.
لم يمض على إقامتي كثير أيام حتى أعلنت أني ذاهب إلى الأزهر للصلاة... واخترت يوم الجمعة. وكأول (عومة في البحر) خلفت الحارة ورائي وانطلقت إلى المدرسة عبرتها دون مشقة كأني	وضعية الاسترجاع هنا يعكس الحالة النفسية التي تسيطر على الكاتب عند ذهابه إلى الأزهر، وهي الشعور بالألفة والانسجام بين الكاتب	120-189

أعرفها من ذي قبل.	والمكان، فلذلك اختار من الزمن يوم الجمة؛ لعظم اليوم وقداسته، واسترجاع حادثة السباحة في البحـــر التـــي حصلت له وهو في طرابلس، فقد فعل ذلك دون تفكير وخوف، فقد ألف المكان.	
لم يكن اليوم الأول نموذجا لما سيأتي، كان انطلاقة للتنفيس سرعان ما ذابت وخمدت حدتها.	عدم الانخراط نفسياً وراء الإحباطات التي بدت تتسلل إلى نفسه، ويحمل دلالة رمزية للقلق الذي يتسرب إلى أعماق الراوي.	202
ما مرت الأشهر سريعة.... مرورها والامتحان يقترب...ما مدى ما يمكنني أن أستفيد مما ضيعت من وقت في متابعة ما ليس مقررا...تصفحت أول ما دخلت وجوه الممتحنين فما وجدت من يقاربني عمراً...وما تجاوز الامتحان مني إلا ما تتجاوزه صفحات معدودة من (الرواية). وما مرت الأشهر بطيئة...طويلة مثلما ما مرت الأيام هالني هذا الكم من الساعات.	تتشكل في عالمه النفسي مشاعر القلق والأرق والترقب بسبب الواقع الذي يسيطر عليه الانتظار والترقب، الذي بدوره سيكون مفتاح الخروج إلى بوتقة الأزهر والانخراط فيه.	217-213
تنتهي السنة في القاهرة لتحس بخواء يتفرق الطلاب لتجد نفسك وحيداً دون رفاق، تنتهي السنة لتحس أنك تموت أو على وشك!... عندها تجب العودة إلى المدينة إلى صالحة وإلى الحاج... وإلى المحلة. عندها يطغى عليك الشعور بالشوق والحنين.	ولعل الاسترجاع هنا يعكس حالة نفسية متخبطة بين قطبين الألفة والمحبة التي كونها في القاهرة وشكلت عالما نفسياً لديه، وبين العودة إلى المدينة والأم والأب والشعور بالشوق والحنين الذي	165 .161

	يسيطر عليه في القاهرة بالنسبة له غربة والوطن أصبح غربة أيضاً (تعود بما يشبه الغربة)	

3 ـ كامل حسن المقهور زمن الانسجام الاجتماعي والتوفيق بين الأزمنة:

فتواجد الاسترجاع في النصوص السابقة ليحقق وظائف منه:

"عودة الكاتب إلى بعض الأحداث الماضية المهمة ليرويها في لحظة لاحقة لحدوثها أو لربطها في سلسة من الحوادث السابقة والمماثلة لها"[1]، كما في قوله:

"**عندها تجب العودة إلى المدينة إلى (صالحة)...، وإلى (الحاج)، وإلى (المحلة) وإلى الرفاق الذين نسيتهم أو كدت... تعود مرات ومرات وفي كل عودة تكتشف الجديد... تستعيد بعضا من صباك في (المدينة)، تراودك أحلام واسعة هناك لتضيق هاهنا... تعتقد أنك أكبر من أثرابك، فتهجم عليك المدينة... تكشف لك عن وجه آخر لم تكن تعرفه**"[2].

ـ "تجاوز واقع الشخصية القديم ومحاولة وضع مستقبل جديد لها"[3]، ويظهر ذلك في رفضه للعودة واستنكاره لها نفسيا، لما لقيه من تفتح فكري في القاهرة عموما والأزهر خصوصا؛ مما انعكس إيجابيا على شخصية الكاتب، التي يصفها بالتغير عند الرجوع للوطن، "**تعود بما يشبه الغربة تدور معك كما دار القطار على طول القطبان... تعود تبحث عن معنى تشترك فيه مع الناس، نعتقد أنه من الصعب أن نجد بديلا لمن عرفت! فلا الناس هم الناس ولا الوجوه الباسمة هي الوجوه العابسة... تعود كأنك لم تولد "إلا في قاهرة المعز ولم تخلق إلا في (الأزهر) و (وبنباقادن)، تعود... قرأت كما لم تقرأ من قبل، وكما لم يقرأ غيرك... تعود مغروراً ليس كمثلك شيء**"[4] .

---

(1) الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، ص 33.

(2) محطات سيرة شبه ذاتية، كامل حسن المقهور، ص 262، 266.

(3) الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، ص33.

(4) محطات، ص: 264 ـ 265

ـ اعتادت الشخصية بنفسها لما حققه من إنجازات مهمة في الماضي ويظهر ذلك عند حديثة حول الكتاب في خضم حديثه حول باحة (الفقيه أحمد)، "**وما كنت أنسى حفظ السور؛ كنت أتصور اللوح مقدساً... ما حمدت لشيء مثل ما حمدت وأنا أدور دون العاشرة في صحن الجامع، أسرد ما حفظته... بين طلبة لا تقل أعمارهم عن الخامسة عشر**"[1].

بعد تأمل السيرة ـ موضوع البحث ـ وجد أن الاسترجاع فيها احتل مساحة نصية واسعة تفوق مساحة زمن الحاضر ـ زمن القص ـ فقد شكل الاسترجاع العمود الفقري في سرد أحداثها وشكل ما يقارب ثلث مساحتها.

وقد أخذ الاسترجاع في السيرة صوراً منها:

ـ "الاسترجاع بواسطة الشخصية"[2] الذي يعد الكاتب السيرذاتي نفسه باسترداد ماضيه الطفولي البعيد من خلال الذكريات المخزونة في وعيه، والتي تتدفق لتضيء الجوانب المهمة من حياته، وخاصة طفولته متمثلا في زمن عودة الذاكرة إلى الوراء، واستدعاء ما حدث في ذلك الماضي البعيد ماضي الطفولة والصبى.

فقد سلط الضوء على الصراع النفسي الذي عاشه الكاتب وكان السبب المباشر وراء شعوره بالوحدة (والوحدة حرّاقة) ولم تكن خافية على المتلقي أسباب ذلك فقد كشف النص الاسترجاعي عن خفايا ونزعات داخلية تمثلت في حبه للقاهرة وعدم الرضا نفسيا بالرجوع إلى (المدينة).

ـ يمكن الخلوص إلى أن الحدث الرئيس في السيرة وهو (الغربة) إلى مصر والالتحاق بالأزهر الشريف للدراسة مما انعكس على نفسية الكاتب وعلى شخصيته

---

(1) محطات، ص: 30.

(2) ينظر: الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، ص: 44.

التي بدأت تحس النضج والتحرر من قيود المدينة والوالد والوالدة، والتطلع نحو التحرر الفكري والمعرفي.

ـ انحسرت وظيفة الاسترجاع في تقديم أحداث مهمة وفعالة في السرد السيرذاتي ومثال ذلك: عند دخول الكاتب إلى الكتّاب، وعند التحاقه بالأزهر للدراسة، وعند ذهابه للحسين لزيارته، ودخول المدرسة للدراسة، فانحسرت أحداث طفولة الكاتب حول أهم الأحداث التي طبعت في ذاكرته منذ الطفولة، وقد لعبت هذه الأحداث دوراً هاما في التأثير على حياته وتوجيه رغباته وأحلامه.

4 ـ أمين مازن:

"المساحة التي غطتها السيرة بدأت من ولادة الكاتب سنة 1937م، وتوقفت على مشارف العام 1973م.

والزمن المركزي في السيرة يغطي مساحة زمنية قدرها 35 عاما متواصلة، وثم زمن سابق تتبع جدور الحاصل في الزمن للحدث المركزي، فيعود إلى العشرينات وما قبلها ليؤصل لجذوره الاجتماعية في واحة هون"[1].

تصنيف دليل للأزمنه في كتاب (مسارب) لأمين مازن، حيث يضم التصنيف أبرز الأحداث التي أثرت في طفولة الكاتب، وتركت أثراً انعكس على ذات الكاتب وموضوعيته، وقد تمثلت في الاسترجاعات الآتية:

زمـن الاسترجـاع في النص السيرذاتي	سيكـولـوجيـة الـزمـن	الصفحة
إذ لم تكن تمر فترة من الزمن حتى بدأ الوجه الآخر في الظهور بكل ما فيه من مرارة وأسى، فلقد داهم المرض (زهرة)... وعبر أسابيع متتالية ما لبثت أن أسلمت روحها الطاهرة، للموت ووليدها لم يتجاوز العشرين شهراً (والدته) فقد عاش يتيم الأم وتوفيت وهو في عمر السنة تقريباً.	الموت يأخذ قيمة نفسية كبيرة في نفس الكاتب فهو لا يعني فقط نهاية شخصية حقيقية هي والدته بقدر ما تساهم في حالات أخرى أكثر عمقا في نفسيته، هي الحرمان من عاطفة الأم وتجدر مفهوم الفقد وتجلي الحنان.	77.76 97.96
زواج والده من امرأة أخرى ومفارقته لها. حدبت القرينة الجديدة على ذلك الابن الذي فقد أمه لمجرد أن دخلت باب منزل الشيخ...لكن الأقدار كانت مترصدة مرة أخرى، فلقد تبين أن تلك السيدة كانت تعاني من مرض الصرع، وهو يباغتها بشكل	مشاهد الفقد تتكرر لشخصيات مختلفة وبأشكال مختلفة كان له أثره على الكاتب السيرذاتي، فقد تكرر الفقد؛ ولكن بطريقة مغايرة، مما يطبعنا بسوداوية عامرة في نفسية الطفل.	79.78

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص 320

مستمر... فما كان أمامها إلا أن تتبنى دعوة ابنها إلى ضرورة الفراق، والتخلص من أي أشكال منتظر... خشية الوراثة.		
لقد كانت ليلة طويلة من ليالي الشتاء المبكر والذي اشتد برده وعصفت رياحه حينما ظل الشيخ ساهرا يتضرع...وما من أحد في بيته سوى تلك العجوز، والصغير الذي تركته الأم المتوفاة والأخرى المكتسبة... وغدا يدرك بعض الأشياء ويسأل عما يجري...يهوله ذلك الحزن ويخيفه الاحساس بالألم ويوجع قلبه أن يرى أباه الكبير يبكي ذلك البكاء و(السبب)، تم اجتياح المزارع من قبل الطليان واشتعال الحرب، وفي مقدمة المزارع مزرعة الشيخ... حلت المخاطر... وبدأ شبح الموت ماثلا.	واقع من الألم والحزن و العذاب الإنساني والقسوة الذين يخيمان في هذه الفترة من طفولة الكاتب هذه الفترة التاريخية التي عاشها والتي ارتبطت بشبح الفقد والموت الذي ربّما يصل المصدر الوحيد للأمان (الأب) الذي بدأ بصورة قلقة تمثل ضياع الوطن بفعل موت الأحباب وترابطه بشبح الحرب.	79،81 109.108
كان الزمن ينذر بصعوبات جمة إذ لم يبق من عائل سوى النخل... إن الناس هنا لا يملكون المواشي... كانت اجراءات التقشف قد طبعت الحياة.	حياة اجتماعية وسياسية مترديةمظلمة تتسم بغياب الحريات وضياع الحقوق، واقع من التعتيم وحالة من القمع والاضطهاد.	98، 100،101 107،104
الحياة تنذر بأشياء كثيرة، غامضة ومثيرة، بات يطرحها ذلك الغياب الذي أخذ يتوالى وينال من أعز الذين ارتبط بهم.	الزمن النفسي يهيمن عليه الإحساس بالخوف وفقد للأمان والحب والأمل.	110
غير أن الحاجة حين لاحظت تعلق حفيدها بأخته شرعت تحضرها له وتحملها معه...حين كان ذهابهم يتم باستمرار كجزء من إلهائه عن الأم التي غابت قبل ذلك... لقد داهم المرض عزيزة (أخته) وأقصاها أياما معدودة ما لبثت بعد ذلك أن أسلمت روحها.	تكرار الفقد مجدداً، الذي مثّل غيابا للاستقرار، ومثل نوعاً من ضياع الانتماء الذي يمهد لرسم صورة مماثلة لفقد الوطن في رمزية المرآة للوطن.	111.110
رحل أيضاً ابن عمه (محمد) الذي كان شابا ملء السمع والبصر... وتنادى الناس من كل	تكرار الفقد والغياب الذي ينعكس سلبا على نفسيته والإشارة بالدعاء	112

مكان يبكون ذلك الراحل... ويحملونه من ذات الشارع مانعين الأطفال من السير خلفهم... وعندما سأل عن الغياب قيل له إلى الجنة وكرر متى نلتقي بعزيزة ومحمد قيل: بعد عمر طويل ـ أدرك أن ثمة حاجة للحياة وأن الموت شيء غير سار	بالعمر الطويل ولد لديه الشعور بالحاجة إلى الحياة، وأيضا الرغبة في الموت لأنها الطريق الوحيد للوصول إلى من فقدهم (إعادة الإنتماء)	
لكن الأحزان لا توقف الحياة، ولا الأموات يظفرون من الدنيا بغير ذكراهم الطيبة، والأحياء لابد أن يتحركوا وبسرعة شديدة.	أزمات الفقد المتتالية ولد لديه الخوف من القادم، والتحرك يرمز إلى الحياة	144
عنيفة في تأثيرها وأثرها سحابة البؤس التي سيطرت على حياة كل الناس خلال الأيام العصيبة من تلك الفترة الحرجة من حقبة الأربعينيات.	تشكل في عالمه النفسي أصناف الأسى والحسرة وتجرع كؤوس المرارة والحسرة والكآبة وقتامة الواقع وانعدام الجدوى، الذي بدوره انعكس سلبا على واقع طفولة الكاتب.	151
كان يعاني من تأثير ذلك البرد القديم الذي تحول إلى دائم موسمي يتعرض له في الشهر مرة على الأقل في بداية ضربة برد حادة ولكن العلاج لم يكن متاحاً فتحول المرض البسيط على داء مزمن... فكان لذلك أثره الكبير على النفسية إذ كان يضطر خلافا لأبناء جيله إلى هجر النشاط الرياضي... الأربعينيات كانت في نهايتها فلقد أطلت حقبة الخمسينيات وهي حقبة لها ما بعدها في كل المسارب.	ظل محاصراً بحالة الفقد التي شكلت له قيمة مستمرة؛ يعيش معها في كل تفاصيل حياته مما جعلها ناموساً يؤطر عالمه الواقعي وتجسد في حالة المرض (يتأرجح بين الداخل والخارج) من خلال الأزمة النفسية وحالة الاغتراب والوضع الاجتماعي المادي الواقعي.	187

سيكولوجية الزمن عند أمين مازن

أمين مازن: زمن الفقد

النص السيرذاتي قد يضمن العديد من الاسترجاعات ؛بحيث يحقق القارئ فرصة التنقل بين أبعادها السيكولوجية، فنحن عندما نتوقف عند سيرة (مسارب) للكاتب (أمين مازن)، نجد الاسترجاع أداته الأثيرة في رسم صورة واضحة لأبعاد طفولته، من خلال الأحداث الدائرة حوله، فالاسترجاع لازمة من لوازم نصه، وهذا ما نجده في مستهل سيرته، عند استرجاع وفاة والدته الذي جسد فيها نهاية شخصية (والدته) ،التي تعد من أبرز الشخصيات في طفولة أي شخص، "**فلقد داهم المرض (زهرة) وعبر أسابيع متتالية ما لبتت أن أسلمت روحها الطاهرة للموت، ووليدها لم يتجاوز العشرين شهراً**"[1]، فقد عمقت هذه الحادثة الشعور بالفقد لديه منذ طفولته، ولهذا نجد الكاتب قد استهل أحداثه بها، ثم توالت عمليات الفقد الواحدة تلو الأخرى في أغلب استرجاعاته، ليعكس بذلك الحالة الشعورية التي يولدها الفقد لطفل منذ طفولته المبكرة.

فموت الأم كان محفزاً على الاسترجاع ،وبه يدرك القارئ أن الكاتب السيرذاتي في حالة حزن وألم من الفراق الذي ولّده له فقد الوالدة، والهدف من استرجاعه هنا يؤرخ لحادثة ألمت به منذ طفولته وهو من مقاصد السيرة؛ "حيث يحقق السرد عدداً

(1) مسارب، أمين مازن، ص: 76 ـ 77.

من المقاصد الحكائية؛ فهو وسيلة لتأريخ لإطار مكاني أو ماضي شخصية مـا"[1]، نجـد

الكاتب هنا يؤرخ لشخصية والدته في حدث استرجاعي واحد هو (الموت) المتمثل في الفقد.

أما بخوص الزمن النفسي الذي يتمثل بالاسترجاع، فسوف نأتي على التمثيل له، نأتي الآن إلى كون الزمن النفسي يطول ويقصر بحسب نفسية الشخصية، ففي سيرة (مسارب) يتغلغل الزمن النفسي، فعندما داهم المرض والدته التي كانت في ريعان شبابها وكيف أسلمت روحها إلى ربها على ذراع زوجها وهي تقول: (**الأمين يا مختار**) كان لزاماً على الكاتب استخدام الزمن النفسي في هذه اللحظات الرهيبة.

"**ما لبث المرض أن فتك بشبابها وأدخلها دوامة الحزن والقلق حتى كانت نهايتها مؤلمة في ذلك الصباح وكان أن جاء دور الزهراء التي لم يمض على إطفاء الشمعة الأولى لطفلها سوى بضعة أشهر... حتى جاء النذير يدعو إلى البيت وقبل أن يتمكن من أداء صلاة المغرب ليجدها عندما وصل وهي تواجه الحمام وجها لوجه فلم يسمع منها سوى كلمة واحدة (الأمين يا مختار) لتسلم بعد ذلك روحها لمن بيده الأرواح**"، وعندما سرد حديثه حول الكاتب وحفظه للقرآن الكريم وبداية الكتابة نجده يقول: "**أصبح الآن يكتب بواسطة الإملاء، وبدأ يتوقف عند النص يوم أن أملى عليه الشيخ سورة الحشر... كان المفروض يومئذ أن يخلص كل طالب السلكة الأولى من القرآن دون إصرار... لم يكن يبلغ الحادية عشر حتى**

(1) بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، سهام سديرة، رسالة ماجستير، 2005 ـ 2006، ص 29. ينظر: مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص 82. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص 121 ، 122. خطاب الحكاية، جرار جنيت، ص 60.

فرغ من إكمال السلكة الأولى ويومها جيء بشاة ثم في وقت لاحق نحرها... وكانت آخر نصيب له من إرث الماشية التي آلت إليه من أمه"[1]

في المثالين السابقين نجد الكاتب السرذاتي في الحالة الأولى قد وصف تسعة أشهر وما يزيد هي فترة حملها بالمولود، وفترة مرضها التي تتجاوز الشهور قبل وفاتها بأنها دهر وهذا نتيجة الرعب والخوف من حالة الفقد التي يعيشها ولذلك نجده قد خصص لها المساحة الأكبر من صفحات سيرته.

أما الحادثة الثانية فنجد الكاتب يصف فيها فترة زمنية طويلة نوعا ما إذا ما قورنت بالسنة التي وقعت فيها حادثة فقد الوالدة، فهو أتم حفظ القرآن في الحادية عشر من عمره، إذاً وعلى أبعد تقدير هو استغراق أربع سنوات أو خمسا إذا اعتبرنا أن الكاتب بدأ دخول الكتاب وهو في سن الثامنة أو السابعة من طفولته يصفها بأنها حلم جميل وهذا لشعوره بالراحة والاستمتاع لذلك لم يخصص لهذا الزمن مساحة كبيرة من استرجاعاته، بل على العكس نراه خصص لفترة الزمن القليل (السنة فما دون) مساحة الحدث الرئيس، وخصص لحدث الدراسة في الكتاب وختم القرآن الكريم مرتين مساحة أقل بكثير ولا تتجاوز عدة سطور، وذلك لاختلاف وقع الحدث في نفسية الكاتب.

ويمكن الخلوص إلى ما معناه "أن الزمن النفسي في أي رواية ـ عمل سردي ـ يمكن إدراجه في ثنائية لا ثالث لها، وهو الزمن السعيد /الزمن التعيس، الزمن المريح/ الزمن الصعب، الزمن الجميل/ الزمن القبيح، ذلك أن الزمن النفسي ينسلخ

([1]) ينظر: مسارب، ص 165.

من حسابات السرعة والبطء والطول والقصر، ولا يبقى له إلا مقياس واحد، هو أثره في النفس"[1]

فالزمن النفسي زمن يعتمد على الأحداث الداخلية التي تقع في أعماق الشخصيات في مكنون نفسها.

وفي السيرة نفسها نجد الكاتب يصف أيام الحرب بالأيام السوداء تعبيراً عن الأثر السيئ للحرب "**عنيفة في تأثيرها وأثرها سحابة البؤس التي سيطرت على حياة الناس خلال الأيام العصيبة من فترة الأربعينيات... لقد استمرت الانفجارات تتوالى طوال المساء وصباح اليوم الذي يليه...فضاعف ذلك من خوف البسطاء من الناس... لقد غدا كل شيء ينذر بالكساد والخوف وقد زار هذا الشهر ذلك الانفجار الذي هز الأرض وملأ لهيبه ودخانه عنان السماء... هذا الشهر الذي تخرج فيه العفاريت إلى سطح الأرض**"[2]

يضع الكاتب السيرذاتي مبدأ إيجابياً من خلال الزمن النفسي تستنشقه من سيرته، وهو على الرغم من أن الحرب من أطول الأزمان النفسية على الكاتب وعلى الشخصية، لكنه يفضله على العيش تحت نيران الاحتلال والظلم، فهو يمثل الفقد كما يمثل الرفض لسلطة الاحتلال، ولكنه لا مناص قد جسد أطول الأزمان النفسية المتمثلة في الفقد "فلا بد من وجود الزمن النفسي في كل (سرد)، فهو الذي يعبر عن الانفعالات الشخصية بالأحداث المختلفة والمتباينة وعلى الرغم من أن هذه الأحداث متعددة ومتنوعة فأنها لا تخرج عن الثنائية المذكورة آنفا"[3].

---

(1) الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، وجدان يعكوب محمد، رسالة ماجستير 2011، ص 88.

(2) مسارب، ص 139.

(3) الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، ص 91.

الزمن المقاوم والزمن الديني في طفولة الكاتب أحمد نصر

الطفولة رمزاً للمقاومة:

"زمن الأحداث قد بدأ في الحرب العالمية الثانية حينما شرع الحلفاء في قصف مواقع المحور في مصراتة ، فيتحدد الزمن مع طفولة الكاتب المبكرة 1941 ـ 1943 وتكون نهاية أحداث هذا الجزء عام 1957 زمن الذهاب إلى مصر لتكون الزمنية للجزء الأول في حدود السبعة عشر عاماً 1941 ـ 1957 "[1]

تصنيف دليل لزمن الاسترجاعات الخاصة بمرحلة طفولة الكاتب:

زمـــن الاسترجاعـــات	الزمن النفسي السيكولوجي	الصفحة
عوت صفارة الإنذار عواءها المنقطع فجأة فارتج مساء القرية الساكن أخمدت إضاءة الفنارات الناعسة واضطربت القلوب في الصدور خوفاً ورعباً... لقفته أمه بين ذراعيها... اندست به تحت السدة وشفتاها لا تفتر تلهج بذكر جدها... دوت الانفجارات، ارتجت الأرض، وارتجفت الأبواب، وقفزت القلوب إلى الحناجر،قفز أحمد إلى صدر أمه فانثنت عليه تدسه.	يكشف لنا هذا المقطع الزمني على معاناة نفسية يعانيها الطفل برفقة الأسرة نتيجة الحرب والانفجارات، وهو بذلك يعكس واقعاً داخليا تمر به النفسية، حيث إنها تعيش تناقضات واقعها وعدم استقرارها في ظل زمن الحرب والانفجارات فهو يعيش حالة خوف ورعب وذهول وعدم استقرار.	10
هو لا يذكر اليوم الأول الذي دخل فيه الزاوية ولا متى ولا كيف لكنه يذكر ـ ربما سن الخامسة أو دونها ـ لأنه يخرج صباحاً من الحوش، ويأخذ شارعاً ضيقـــا علـــى يمينـــه بمحـــاذاة الجدار...المسافة كلها من الحوش إلى السانية لا تتجاوز المائة متر.	يعد هذا الحدث الاسترجاعي حدث مهم ففي هذا الزمن الذي يمثل نقطـة تحول في حياته من الانغلاق الفكـري والاجتماعي إلى الانفتاح نحو التعلـم، فهو بذلك يحمـــل بعداً نفسياً لحـــالة الكاتب المعرفية والاستكشافية.	40

(1) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية ص322ـ 323.

بعد غياب الشيخ عن المسجد لأكثر من يوم شاع خبر مرضه... وبعد العشاء من اليوم التالي كانت مربوعة الكتب مكتظة، وكان الشيخ الجليل مسجي على فراش أرضي...هدأ الشيخ قليلا وارتاحت نفسه، وربما أخذته سنة من النوم.. لكن الأجل مسمى والوعد يقترب؛فلم ينهض الشيخ من مرقده ذاك إلا محمولاً على الأكتاف، لا يفهم أحمد معنى أن ينقل الرجال جده من مرقده... بكى لبكائهم وحزن لحزنهم وبما شعر بالفقد وهو يشاهد جده يغادر على الأكتاف.	(وفاة الحاج عبد الرحمن) ولعل هذه المظهرية الزمنية تعود على حالة الطفل بالشخصية النموذجية أو العصامية(الجد) فقد انفجر الحدث من الداخل متوغلا في رحلة عبر النفس في سرد يفيض بكوامن الذات، فجدلية الزمن هنا تتمحور حول مفهوم الحضور والغياب حيث نلمس ذات الجد الفاعلة ثم غيابها.	53 ـ 54
(الالتحاق بزاوية البي) هذا يوم مشهود اليوم الذي خرجت فيه من دائرة القرية إلى دائرة المدينة واكتشفت فيه ما يكتشفه الكتكوت بعد خروجه من البيضة، وحكيت لأمي عن زاوية (البي) واتساعها وكثرة طلابها وأشعرت أترابي أني غيرهم وأني أكبر منهم.	الخروج يرمز إلى التحول، التحول المادي والتحول النفسي، فالتحول المادي الملموس يشير إلى تغيير احتياجات الطفل المادية من مأكل وملبس وحرية في الخروج والدخول، والنفسي متمثلا في اكتشاف العالم والولوج فيه والإحساس المعرفي كلما تغير الزمن وتقدم وتغيرت تبعا له المعايير التي يؤمن بها.	68 ـ 69
وما هي إلا الأيام الأولى ثم استأنست للصحراء وخبرت العمل وتعود جسدي على التعب، أمسك بمقبض المحراث، وأهش على البعير، ويأتي موسم الحصاد، كنت مشتاقاً أن أرى زرع ما حرثته ونتاج ما بذلناه من جهد...تلك أيام لم أنس عددها حتى الآن.. وأستشعر شقاءها في خاطري كلما تذكرت... كان	يبدو الزمان والمكان متمازجين .... اللغة الوصفية هنا متمردة على الترتيب العقلي للزمانية بمفهومها التقليدي، فالصحراء هنا حيز لا نعثر منه على حدود ثابتة، ولعل هذا الامتداد والتداخل بين الزمان والمكان يبين وطأة المكان، وشقاء هذه الفترة الزمنية، فالصحراء هنا	199 ـ 200

تخفف عني وطأتها...شعوري بأني سأعود إلى القرية وراء قافلة محملة بغرائز الشعير يملئني الزهو وقد لوحت الشمس وجهي بسمرة الرجال	جعلت من الزمن النفسي لدى الطفل يتصاعد، فالصحراء ستجعل من الطفل رجلاً والعمل والشقاء سيجعل منه أكثر قوة.	
(الالتحاق بالزاوية الأسمرية) في الصباح كنا في زاوية الفقيه سليم غريبي... وما هي إلا أيام ثم اعتدنا على حياتنا الجديدة، انسجمنا مع فئات الطلاب على مختلف تنوعها... نستشعر طعم المجاهدة في سبيل التعلم وتحقيق الطموح... ذات مساء وأنا في الحفظ دوت الدفوف في مسمعي فأسندت لوحي وأسرعت إلى الساحة أمام روضة الشيخ كانت (الحضرة) ساخنة، الدفوف والجدب...فعدت إلى الخلوة وبي إحساس بالحنية والحرمان... بقيت في المعهد الأسمري ما يقرب من شهر ونصف ولم أطق أن أتم كل العطلة فالخلوة التي نعيش فيها مكتظة، الجو حار، والدراسة فيه ثقيلة... ولم أشعر بعظيم فائدة مقارنة بحجم المعاناة، لذلك أقنعت نفسي بالعودة إلى مصراتة.	الشعور بالانتماء النفسي للمكان المتمثل في زمن إقامته في مصراتة قد ولد لديه شعوراً بغربة وعدم الانتماء إلى المعهد الأسمري الذي كان يشعر بتوقف الوقت ورتابته وجموده، وتوقف الزمن وانحساره.	209 ـ 210ـ 255
(الالتحاق بمعهد القويري) قم امش للمعهد الآن...قم.. وسلط علي نظراته حتى قمت مكرهاً متباطئا ولم يتركني حتى تواريت في الشارع...تأخرت يا أحمد... الدراسة بدأت منذ أكثر من شهر.. قالها وهو يدون اسمي في السجل بين أسماء تلاميذ الصف الأول	هنا يجد الاستقرار النفسي الذي طالما تطلع إلى بلوغه.	229 ،232، 233، 261

الابتدائي...يومها عدت إلى القرية وطريق (الحاجية) لا تسعني أحسست أني صرت شيئا...هذا الشيء أنبت لي أجنحة.. صارت تنمو وتبرز...الأمر الذي بث الثقة في نفسي، ومحا في داخلي شعوراً نفسياً		

1ـ اقتصرت الاسترجاعات على الأحداث الماضية المهمة في طفولة الكاتب، وقد استخدم الأسلوب المباشر في جلب الواقعة الماضوية واسترجاعها في اللحظة الزمنية المناسبة، ولم تكن الاسترجاعات خاضعة لنظام خاص، أو تسلسل زمني معين بل على العكس من ذلك، فقد جاءت استرجاعاته وفق ما يقتضيه السرد السيرذاتي، وقد اقتصرت حول الزمن التعليمي الديني في الغالب ابتداءً من الكتاب في مصراتة وانتقاله إلى زاوية البي في المدينة، ومن ثم الخروج من المدينة والالتحاق بالمعهد الأسمري في زليتن، والالتحاق بمعهد القويري الذي كان بدوره نقطة تحول في أحداث الزمن التعليمي للكاتب.

2ـ تنوع الاسترجاع في السيرة، ولم يلتزم نمطاً واحداً ،بل ورد بعدة طرائق.

1ـ الاسترجاع بواسطة الكاتب السيرذاتي ذاته.

وهنا يقوم هو ذاته باسترجاع ماضيه الطفولي من خلال الذكريات المخزونة في وعيه والتي تتدفق لتضيء الجوانب الإيجابية والسلبية من حياته، ولنا في ذلك مثال (حياتي أرويها) فقد قامت بنيتها السردية على هذه الطريقة من عنوانها (أرويها) ،وذلك يعني أن الكاتب السيرذاتي سيرجع أحداثاً مركزية ومهمة في زمن السرد، ويعرضها للقارئ وكأنها شريط سينمائي[1].

إن شخصية الكاتب (أحمد نصر) صوت استدعى كل ذكريات الماضي سواء كان ماضياً داخلياً متمثلاً في أزماته النفسية المتمثلة في إصابته بالرمد والصراع مع عائلته التي حاولت معالجة ذلك بطرق بدائية من (كي و وسوسة) مما سبب في تأزم

(1) ينظر: الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، ص 45.

وضعه النفسي، وزمن الحرق والانفجارات التي حدثت وهـو صغير، وانعكس بسببهـا

الخوف والرعب في نفسية الطفل، فقد كان زمن حرب بامتياز، وعاش مجرياتها مع العائلة التي حاولت معالجة الأمر بطرق عقلانية باحتوائه وطمأنته.

فقد أظهر الاسترجاع زمن الحرب وعدم نسيانه في حاضر السرد وسبب في تأزمه النفسي (وأزعجت استقرارهم وأربكت أعمالهم وكسرت رتابة حياتهم)، والزمن الديني المتمثل في ارتياده الزوايا القرآنية ومحاولة حفظه للقرآن الكريم؛ تمثل في ثلاثة أحداث رئيسية في سيرته متمثلة في:

ـ الدراسة في الزاوية في سن الخامسة أو دونها.

ـ الانتقال للدراسة في زاوية (البي).

ـ الانتقال للدراسة في المعهد الأسمري بزليتن.

ـ الرجوع للدراسة في معهد القويري من جديد.

لعل هذه الانتقالات في هذا الزمن السردي السريع كان سبباً في إخفاقاته المتتالية في مجال التعليم.

من هنا يمكن الخلوص إلى أن التقنية الاسترجاعية في سيرة أحمد نصر :

ـ وضفت لتسليط الضوء على الحدث الرئيس في السيرة، فلم تبدأ الأحداث فيها إلا بعد (الانفجارات التي ارتجت الأرض بسببها، وعواء صفارات الانذار).

ـ الاسترجاع الداخلي هنا منح شخصية أحمد نصر فرصة الحضور في زمن الحاضر السيرذاتي (زمن الكتابة) ،فلولا الاسترجاع ما استطاع القارئ التعرف على طفولة الكاتب، التي كان لحضورها الدور الفاعل في رسم أحداث السيرة.

ـ يعد الكاتب هو المحرك الأساسي لاسترجاع كل الأحداث فقد لجأ وعبر تقنية (Flash Bake) إلى الماضي وفصل أحداثاً كثيرة وقعت في طفولته.

2 ـ **الاسترجاع بواسطة الحوار المنطوق:**

هنا يقوم الكاتب بسرد حوارات مسترجعة بين الشخصيات والحوار هنا منطوق يسمعه القارئ، وقد وجد هذا النوع من الاسترجاعات في سيرته (المراحل) الذي اتسعت سعته فشملت عدة صفحات، فعن طريق هذه التقنية استطاع أحمد نصر استعادة الذكريات التي مرت به كما في المشهد الحواري الذي استفتح به سيرته:

الجدة:

يا عبد السلام يا عبد السلام

محمد (الوالد)... وهو يجلس على (السدة):

قولي ياالله...رددن الشهادة...أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الصديق...يقف على عتبة الحجرة وعيناه للسماء:

لم هذا الخوف كأنكن أرانب؟

لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

قالت امرأة أبية وهي تلحظه ويدها تدور مع الرحى:

مازالت عيون حميدة توجع فيه

قالت الشتوانية بأسى:

ماذا نفعل؟ كل ليلة أرطب جفونه بزيت الزيتون وزينوبة وسوستله أكثر من مرة ووعدت بعملية الحك.

ـ "إذاً فالاعتماد على الذاكرة يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية ويصيغة بصيغة خاصة ،يعطيه مذاقاً عاطفياً"[1].

ـ وقد صرح الشيخ أحمد نصر في لقاء حاوره فيه الإعلامي (سفيان قصيبات) حول هذه المرحلة من حياته قائلاً:

"لا شك أن مرحلة الطفولة هذه التي عشتها بسلبياتها وايجابياتها قد أثرت في تكويني النفسي والوجداني، وترسبت في باطني مخزونا لا ينضب، رشحت بيئته في كتاباتي للقصة القصيرة في بداية حياتي الأدبية، وقد طرح عليه الإعلامي هذا السؤال:

طفولتك كانت فترة الحرب العالمية الثالثة كيف أثرت في تكوينك؟

هو سؤال مهم للوقوف على تأثير الزمن على طفولة الكاتب ولاسيما أنه من يجيب عليه لا كتاباته، فكانت إجابته.

ـ تلك مرحلة بائسة قاسية داهمتنا فيها قوى الغرب المتصارعة، وجعلت من بلادنا ساحة لحرب مدمرة ،أحرقت الأخضر واليابس، فسحقت تحت هولها ورعبها حياتنا وطفولتنا وعشنا حياة البؤس والفقر والتجهيل.

كان الأطفال خلال الأربعينيات كما كانوا قبلها تحت الحكم الإيطالي، يموتون في الأشهر الأولى؛ فلا رعاية صحية، ولا فرصاً ببلادهم؛ حتى إنهم لا يسجلون في

(1) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ،

السجلات المدنية، وكانت الأوبئة والأمراض كالجدري والرمد والسل تجتاح البلاد من حين لآخر، ناهيك عن شظف العيش، وقلة فرص التعليم..كل هذه الظواهر لا شك لها تأثير سلبي على نفسية النشىء..."

هكذا تكلم حول زمن الطفولة الذي عاشه وعايشه فيه أبناء جيله وعائلته ،ولكنه لم يصب بجل سلبيات ذلك الزمن...فحياة الكاتب فيها من الإيحائية مالا يخفى على ناظر اطلع على مرحلة، وقد ذكر ذلك في الحوار قائلاً:

"ومن لطف الله بي أنني نجوت من كل هذه المصائب التي كانت تجتاح مجتمعنا في تلك المرحلة؛ فعشت بعد أن مات لوالدي طفلان قبلي، أصبت بالرمد الذي أثر في نظري ،ولكن لم يعجزني عن القراءة والكتابة، وإنني رُبيت في بيت مستور الحال ماديا، وفي عائلة متنورة معرفياً، (جدي من علماء الدين في مصراتة وكذلك والدي وعمي خريج كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر)، وفي بيتنا (مربوعة) بها أكثر من خزانة للكتب".

ولا شك أن مرحلة الطفولة هذه التي عشتها بسلبياتها وإيجابياتها قد أثرت في تكويني النفسي والوجداني؛ وترسبت في وجداني مخزوناً لا ينضب رشحت بيئته في كتاباتي ،ولعل الجزء الأول من كتاب مراحل شاهد على ما أقول.

وهكذا نجد أن (أحمد نصر) قد عاش طفولته متأثرا بواقع الحرب، وكان الزمن الذي عاش فيه أقرب ما يوصف بأنه عاش طفولة الزمن المقاوم، فقد قاوم وعائلته هذه الأحداث، وعاش طفولة طبيعية؛ مقارنة بما يعيشه أطفال تلك الحقبة الزمنية من فترة الأربعينات.

الفصل الرابع

صور الشخصيات السردية في مرحلة الطفولة

المبحث الأول:

مدخل نظري لدراسة الشخصيات

المبحث الثاني:

حصر شخصيات الطفولة وتصنيفها

المبحث الثالث:

البعد التكويني للشخصيات في طفولة الكاتب

مدخل نظري لدراسة الشخصيات

أولاً: مفهوم الشخصية:

تعد الشخصية من أهم عناصر الخطاب السردي المعاصر، ولها من المكانة العظيمة ما للمكان والزمن، فهي تمثل العنصر السردي الثالث إلى جانب المكان والزمن، ولا يمكن تصور أي عمل سردي بدون شخصيات تحركه وتصنع أحداثه على ذلك الفضاء المكاني، وفي تلك الفترة الزمنية المحددة، ولذلك لا يكتمل أي عمل سردي بدون شخصيات تقوم بأحداثه، وتتفاوت في حضورها في النص؛ تبعا لرغبة الكاتب أو الراوي في إدخالها، وتبعاً للدور الذي ستقوم به ويخدم السرد، وللوقوف على مفهوم الشخصية في العمل الأدبي نجد الكاتب (فليب هامون) قد فتح أفاق جديدة للبحاث في مجال الأدب فقد قدم في كتابه (سميولوجية الشخصيات الروائية) ثلاثة محاور تقوم عليها الشخصية في النص السردي "مدلول الشخصية و دال الشخصية و مستويات التحليل، وقسم الشخصيات إلى ثلاثة أنواع: شخصيات مرجعية وشخصيات إشارية وشخصيات استذكارية"[1] ، فينبغي تحديدها في كونها "كائن له سماتٌ إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية " إذ لا يمكن فصله عن التصور العام للشخص أو الذات أو الفرد ، ممثل" له صفات إنسانية. ويمكن أن تكون الشخصيات رئيسية أو ثانوية (طِبْقاً لدرجة بروزها النصي)، ديناميكية (حركية عندما يطرأ عليها التبدل) أو استاتيكية (ساكنة ـ عندما لا تكون قابلة للتغير) (عندما لا تتناقض صفاتها مع أفعالها) أو غير متسقة؛ مسطحة (بسيطة ذات بعدين، قليلة السمات يمكن التنبؤ بسلوكها مباشرة)... وغالبا ما يستخدم مصطلح الشخصية على

(1) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص رولا بارت ، ترجمة الدكتور منذر عياشي ، مركز النماء الحضاري 1993، ص13-14 .

كائنات تنتمي لعالم المواقف والأحداث المروية"[1]. وقد بحث العلماء في ماهية الشخصية وحاولوا وضع حدود لها ليتمكنوا من الوقوف على مدلولها، وجاء في رأي باختين[2] "أن الشخصية تتكون عِيانا من مجموعة من القيم أو الحدود الوصفية التي تستخدم في وصف الفرد (موضوع الدراسة) بحسب المتغيرات والأبعاد التي تحتل مكاناً مركزياً داخل النظرية المعنية المستخدمة"[3]، وقد ورد أيضاً في تحديد مفهومها "الشخصية خصائص تحدد الإنسان جسمياً واجتماعياً، ووجدانياً، وتظهره بمظهر متميز عن الآخرين. والشخصية قبل أن تكتمل لا بد لها من أن تمر بمراحل يتعرف بها صاحبها بذاته الجسمية، ثم بذاته النفسية، وأخيراً بذاته الاجتماعية... وفي الأدب تبرز الشخصية بروزاً واضحاً، فإما أن نجد للأديب شخصية خاصة بأسلوبها أو موضوعاتها... وإما أن تكون مقلدة لا إبداع فيها... والشخص: صفة تطلق على كل عمل فردي ينطلق من الذات، ليعبر عن دوافع خاصة لصيقة به دون غيره، وقد تكون الكتابة شخصية تصف الانفعالات النابعة من الذات"[4].

وقد ورد في مفهومها فنياً "الشخصية هي العامل الأساسي في تحقيق الآثار الفنية، وهي التي تسبغ عليها طابعاً خاصاً، وتتجلى بوضوح في تصور موضوعاتها، وفي تنفيذها، والأسلوب المتبع فيها"[5]. وقد وضع مفهوم جامع لها في كون

---

(1) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة السيد إمام، ميريث للنشر والمعلومات، القاهرة، ص1، 2003، ص 30.

(2) ميخائيل باختين (1895 ـ 1975) فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي (سوفييتي)، ولد في مدينة أريول درس فقه اللغة وتخرج عام 1918 وعمل في سلك التعليم وأسس "حلقة باختين" النقدية عام 1921، ميخائيل باختين ـ ويكيبيديا، الموسوعة wiki,https>\\ar.m.wikipedia.org

(3) المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، مجلة الدراسات الأدبية، العدد الثالث، ص: 81، إعداد منيرة شرقي 4/11/2014.

(4) المعجم المفصل في الأدب، الدكتور محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 1419هـ ـ 1999م، ص 546.

(5) المعجم الأدبي، تأليف: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت ط1 1979، ص 147.

"الشخصية في الرواية أو الحكي عامة، لا ينظر إليها من وجهة نظر التحليل البنائي المعاصر إلا على أنها بمثابة دليل... لها وجهان أحدهما دال والآخر مدلول وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث إنها ليست جاهزة سلفا، ولكنها تتحول إلى دليل، فقط ساعة بنائها في النص، في حين أن الدليل اللغوي له جاهز من قبل... وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث إنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تُلخّص هويتها. أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها، وسلوكها، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع"[1] وفي النقد الروائي أطلق مصطلح الشخصية على "الذات الفاعلة ضمن العمل الأدبي فتتخذ هذه الذات أوجهاً متعددة ربما كان الروائي نفسه أحد تلك الأوجه"[2] وقد تعددت آراء الباحثين (الغرب) في تحديد مفهوم الشخصية وقد رأوا أن "الشخصية تنتظم دينامياً لوضعيات نفسية فيزيائية تحقق للفرد تكيفه مع الوسط الاجتماعي، وهذا يعني أن الشخصية ليست وجوداً مادياً فحسب، بل هي كيان متناسق من التصورات الحرة والأحاسيس والمشاعر"[3] فهم في تعريفهم للشخصية يبنون مفهومهم على جانبين النفسي والاجتماعي، فهم يؤكدون اتحاد هذين الجانبين، وتتفاوت أهمية الشخصيات في النص السردي وفقاً لأهمية النص، فالشخصية أول مكون يجده القارئ في النص الروائي وآخره ما يودعه، وهي من ينسج خيوط الأحداث، ويحركها، إذاً فهي كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية، ويختلف مفهومها باختلاف الاتجاه الروائي الذي يتناول الحديث عنها، فهي لدى الواقعيين التقليديين ـ

(1) بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي ـ بيروت، ط 1 1991، ص 51.

(2) بناء الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز، ص 9.

(3) المرجع السابق، ص 10.

مثلا الشخصية حقيقية (أو شخص) من لحم ودم، لأنها شخصية تنطق من إيمانهم العميق بضرورة محاكاة الواقع الإنساني المحيط بكل ما فيه محاكاة تقوم على المطابقة التامة، بين ثنائية: السرد/الحكاية، أما نقاد الرواية الحديثة فالأمر مختلف "إن الشخصية الروائية ما هي سوى كائن من ورق على حد تعبير رولان بارت، ذلك لأن الشخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني الروائي (الكاتب)، وبمخزونه الثقافي"[1] نلخص مما سبق أن الشخصية في النص السردي تتحدد وفق معطيات الحدث وفاعليتها فيه وقدرتها على العطاء والتجديد والديمومة وليس السكون والثبات[2].

ثانياً: بناء الشخصيات في السرد.

يشكل بناء الشخصية تقنية مهمة ووسيلة في سبيل تحقيق أهداف السرد الجمالية ودلالاتها الإنسانية، ولقد تعددت تصنيفات الشخصيات في السرد وأول هذه التصنيفات يقوم على مقابلة الشخصية الرئيسية بالشخصية الثانوية؛ وذلك بناء على وظيفة كل منهما في السرد، ودورها في القيام بالحدث، وحضورها في النص، وفاعليتها فيه، ولذلك يجب التعرف على مدلول كل منهما فـ:

1 ـ الشخصية الرئيسية:

"هي التي يقوم عليها العمل الروائي، فالروائي يُقيم روايته حول شخصية رئيسية تحمل الفكرة والمضمون الذي يريد نقله إلى قارئه، أو الرؤية التي يريد أن يطرحها

(1) الحوار المتمدن، الشخصية الروائية، حنان على www.mahewar.org 12 ـ 8 ـ 2013.
(2) مجلة كلية التربية، 109، مج 21، العدد 89، 2015.

عبر عمله الروائي ،فهو يمنحها حرية أكبر، ويوليها عناية فائقة ،لأنها هي المحرك للعمل الروائي ككل"[1].

2 ـ الشخصيات الثانوية:

"تقوم الشخصيات الثانوية بدور المساعد، ويختلف هذا الدور من شخصية ثانوية إلى أخرى، وتستخدم لتقوم بإدارة بعض الأحداث الجانبية لتسيير الحدث الرئيسي أو لإظهار شخصية البطل، وتوضيح بعض معالمها وسماتها"[2] وتصنيف الشخصيات في الرواية حسب معايير متنوعة وحسب اختلاف المدارس النقدية، فهناك إلى جانب الشخصيات الرئيسية والثانوية "الشخصيات العابرة، وهناك الإيجابية، وتقابلها السلبية، وهناك الشخصية المساعدة، وتقابلها المعرقلة، وهناك الشخصية النامية والشخصية الجاهزة والشخصية النمطية، وهناك الشخصيات الثابتة، وتقابلها الشخصيات المتحركة، وتقسم إلى شخصيات معروفة بأسمائها وأخرى بوظائفها، شخصيات تأتي في سياق الحديث، وقد تبنى الشخصيات على النقيض أو المماثلة إذا كان لها ما يماثلها أو يقابلها، ثم إن الشخصية في العمل السردي قد لا تكون كائناً بشرياً إذ يمكن أن يكون الفضاء شخصية رئيسية أو محورية"[3].

إذاً فالشخصية في السرد تختلف بعضها عن بعض في الصفات والأدوار والأهمية، ولذلك جعل النقاد هذه التقسيمات للشخصيات في العمل السردي لكي تحوي جميع صنوفها، ولتخدم العمل السردي بما يخدم الناقد، ويسهل عليه التعمق

(1) بنية الشخصية في رواية التبر لإبراهيم الكوني، تدنيل بن عباس، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن ضياف، 2014 ـ 2015، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 11 ـ 12.

(3) بناء الشخصية في رواية (سوائح الصمت والسراب)، محمد قاسمي، علامات 27، ص 100.

في أعماق الشخصية لمعرفة أبعادها الاجتماعية والنفسية والسيكولوجية ،ووظيفة كل شخصية في النص، وهنا

ك تقسيم آخر يصف الشخصيات من حيث طريقة العرض، وهي الشخصيات المدورة والمسطحة أو النامية، والشخصية المدورة "هي الشخصية التي تنهض بدور يتطلب الحركة والتغيير من فصل لآخر ومن حدث لآخر، فهي تؤثر في الحوادث، وتتأثر بها، أما المسطحة فهي: لا تتمتع بالديناميكية التي تتمتع بها المدورة ،ولا تفصح عما في عالمها الداخلي ،فلا يستطيع القارئ رؤيتها من جانب واحد هو الذي اختاره الكاتب"[1].

ثالثاً: وظائف الشخصيات في السرد:

إن وظيفة الشخصيات تختلف بحسب حضورها في النص السردي، وبحسب الدور الذي يُساهم في تطور البنية السردية، ومن خلال التحول الذي تتميز به، وكذلك من خلال تطور وتنامي أحداث الرواية، فالشخصيات في العمل السردي تسهم في رصد الأحداث والتأثير فيها، فيستحيل وجود عمل سردي يفتقر إلى الشخصيات التي تحرك الأحداث فهي "تقوم عادة وضمن حبكة مجددة بترتيب أمر ما ... فالحبكة تتكون من شخصيات تكافح قوى الطبيعة، أو ضد كائنات بشرية أخرى، أو تعيس أزمة داخلية، وتنعكس طبيعة هذه الشخصيات من خلال الحبكة في الأحداث"[2] ولا يمكن لأي راوٍ أن يخلق شخصية من الشخصيات من دون أن يعرف مسبقا ما هي وظيفتها فمثلاً هناك شخصيات يتم خلقها في النص لتؤدي وظيفة اجتماعية أو سياسية تخص مجتمع من المجتمعات، تخلق كفعل مضاد لكبت

(1) بناء الشخصية في رواية (نجمة أغسطس) لصنع الله إبراهيم، خليل يرويني وآخرون، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، صيف 1393، حزيران 2014، ص 25.

(2) الشخصية في النص السردي، د ثائر زين الدين، ملحق ثقافي 2009/6/16.

سياسي ظاهري أو خفي، أو فضح المستتر الاجتماعي والسياسي وغيره، وهناك شخصيات تعد متنفساً لاستنهاض ذاكرة الحروب والحضارات، ويخلق المؤلف لمثل ذلك شخصيات تتسم بالاتزان والتحليل والاستنتاج، ويخلق للشخصيات التي تؤدي وظائف اجتماعية وسياسية، الشخصيات المتمردة التي تقوم بعملية فضح الاجتماعي والسياسي[1].

إذاً فوظيفة الشخصية تتبدى من خلال دورها في تقدم الحكاية وتطورها، ومن خلال الدور الذي تلعبه على صعيد الحكاية، وهذه الوظيفة الاجتماعية للشخصيات في العمل السردي تحدث عنها الناقد سعيد يقطين في مجال تعريفه للشخصية، حيث قال "إن الشخصية تجسيد لنمط أو لأنماط وعيٍ اجتماعيٍ وثقافيٍ تعيش قلقها مع العالم ومع ذاتها"[2] ويضيف باختين بأن "وظيفة الشخصية داخل العمل الروائي تتأتى من خاصيتي الثبات والتحول، اللذين يميزان وجود الشخصية داخل هذا العمل"[3].

وقد طرأت تحولات عدة منذ أرسطو جعلت من الشخصية تابعة لمفهوم الحدث بالقياس فالعمل التخيلي هو من يحدد وظيفة الشخصية التي لا تعدو أن تكون أحد مؤثراته.

رابعاً: بنية الشخصيات في النص السيرذاتي:

---

(1) ينظر: وظائف الشخصية الروائية، علي حسين عبيد، حول حنون محيد مملكة البيت السعيد http\\www.alforat.info\index.page=article@id=2507

(2) كائنات من ورقق الشخصية الروائية في روايات إماراتية، العدد السادس والثمانون من مجلة نزوى، 1 يونيو 2011، ناقد سوري يقيم في الإمارات.

(3) الشخصية مفتاح الرواية، كتاب الناقد فانسون جوف، أثر الشخصية في الرواية، بقلم محمد نجيم، جريدة الاتحاد www.alittihad.ae/details.php?id=35340@y=2013

وبما أن السيرة الذاتية نص سردي فهذا يعنى أنه لا يقوم النص السردي إلا بوجود شخصيات تحركه وتعمل فيه، ولا يقتصر حضور الشخصيات في السيرة الذاتية على الشخصية الرئيسية السارد/المؤلف؛ لأن الحياة التي يسرد الكاتب تجربته الذاتية فيها تعني جمعاً لا نهائياً من الشخصيات، وهذه الشخصيات تختلف على أي عمل سردي آخر في كونها واقعية، الأمر الذي يتطلب التعامل مع عملية التشخيص بجدية وحذر ولهذه الواقعية في الشخصيات أهمية بالغة في دراسة هذا الجنس الأدبي، وتظهر الشخصية الوظيفية في السرد السيرذاتي بمظهرين اثنين:

1 ـ الشخصية الثابتة:

البسيطة هي "شخصية تحتفظ بسماتها ووردها البسيط في الحدود المرسومة والمتاحة لها في سياق السرد وفضائه المتغير والمتحول، ودون أن يتهيأ، أو تقبل على التكيف مهما اتسم الفعل المرافق بالحيوية، وباعتبار هذا النوع يركز على الشخصية الرئيسة المؤلف/السارد، ولا يعير باقي الشخصيات أهمية إلا ما ندر"[1].

2 ـ الشخصية الدينامية المركبة:

"وهي شخصية تلعب دوراً محورياً وحاسماً في مسيرة السرد؛ بحيث يبدو حضورها الدائم لازماً، وتحفيزها ضرورة تسهم في صناعة العقدة، وتعميق تأثيرها ونسيجها، كما تتيح نتيجة عمق تركيبها إمكانية قراءتها على أكثر من مستوى دلالي، بحيث يمكن إخضاع مركباتها لسلسلة من التأويلات"[2].

إذاً فالشخصية في النص السيرذاتي تتحدد من خلال سماتها وأفعالها، وطبيعة العلاقة التي تربطها بغيرها من الشخصيات في المحكيات، ولا يمكن أن تكون

(1) الشخصية وأساليب التشخيص نماذج من السيرة الذاتية، عمر إدلبي

(2) المصدر السابق.

الشخصية ثابتة لا تتعدد أوجه مكوناتها بل على العكس فهي غنية بالدلالات، إذاً فالشخصيات في النص السردي هي من يصنع المعنى الكلي للنص بما تقوم به من وظائف في النص السردي بكليته، والسبب في تعدد وجوه الشخصيات في السرد هو طريقة عرضها ومعرفة هويتها وذلك بواسطة مصادر ثلاثة هي:

1 ـ ما يخبر به الراوي

2 ـ ما تخبر به الشخصيات ذاتها

3 ـ ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات[1].

وما سينتجه القارئ عنها مختلف باختلاف القراء ووجهات نقدهم وتحليلهم، وهذا الاختلاف هو الذي ولد تلون الوجوه للشخصية الواحدة.

ولابد لدراسة الشخصية من توافر أبعاد ثلاثة لتكتمل صورة كل شخصية في العمل السردي "وتمثل هذه الأبعاد الجوانب (الجسدية والنفسية والاجتماعية) فالبعدان الجسدي والاجتماعي يشكلان الملامح الخارجية للشخصية؛ من وصف الصفات الحسية وغيرها من الملامح الدالة على الشخصية، وكذلك يدخل في هذه الملامح المكانية الاجتماعية والمنزلة العلمية، أما البعد النفسي فهو يكون الملامح الداخلية للشخصية يتناول الأفكار والانفعالات والدوافع والنوايا، وهذه الأبعاد في الغالب الأعم متداخلة ويؤثر بعضها على بعض"[2].

أما الأساليب السردية في تشكيل الشخصية فهي ثلاثة أساليب أيضاً:

1 ـ الأسلوب التقريري المباشر:

(1) ينظر: المصدر نفسه، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، ص 27.

(2) بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، ص: 67 ـ 69 ـ 90.

يقوم المؤلف بتقديم الشخصية بواسطة ظروفها ومواقفها الفكرية والعاطفية، مما يساعد في تكوين سماتها وقابليتها للانفعال أو الفعل.

2 ـ **الأسلوب التصويري:**

يعمد المؤلف إلى رسم شخصياته عن طريق التركيز على مسار تحركها، ورصد أفعالها، ونتائج صراعاتها مع ذواتها.

3 ـ **الأسلوب الاستنباطي:**

يعمد المؤلف فيه الدخول إلى أعماق النفسية للشخصية، وتحليل عقدها ومركبات نقصها أو قوتها[1].

إذا فالشخصية السيرية كائن من لحم ودم؛ وتنتمي لما هو واقعي حقيقي لا متخيل، والشخصية الرئيسية التي تتولى السرد السيرذاتي هي نفسها شخص المؤلف، ويشترط فيها التطابق بين السارد والمؤلف، أو بين السارد والشخصية الرئيسية، والشخصيات المحيطة بالسارد أو المؤلف شخصيات واقعية أضفى عليها الكاتب ومن خلال السرد بعداً فنياً يخدم رغباته وميوله ورؤيته.

(1) ينظر: الشخصية وأساليب التشخيص نماذج من السيرة الذاتية، عمر إدلبي.

حصر شخصيات الطفولة وتصنيفها

أولا: الوقدات (عبد الله القويري)

سوف يتم التركيز في هذا المبحث على تصنيف الشخصيات الحاضرة في طفولة الكاتب، وكان لها الأثر المباشر في طفولته، سواء كان الأثر إيجابياً أو سلبياً، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى المرجعية الواقعية للشخصيات في العمل السيرذاتي.

وسنوضح ذلك ضمن جدول نعرض فيه أهم الشخصيات وتصنيفاتها:

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
الوالد ص 10 ،11، 77	كان يأخذني من يدي..ولفافة هي منديل أبيض حول عيني ليتركني وحالتي هذه ألعب حوله وإذا سئل علي أجاب.."تو يصح" "تو يصح" - أبي عندما أودعني المدرسة لم تكن غايته غير أن أستطيع الكتابة والقراءة لأستطيع مساعدته في أعمال التجارة	شخصية سلبية	متزامن مع حياة الكاتب
الشيخ الذي كان سبب شفائه ولم يذكر اسمه. ص 10	إلى أن قيض الله لي شيخاً كان صديقه..و ما أن أزال الرباط عن عيني حتى صاح في والدي..أتريد أن يصبح أعمى"فاحتد الشيخ وأصر أن يتولاني بنفسه وكان أن أخذني إلى مستشفى الرمد، مازلت أذكر اللحظة التي رأيت فيها النور.	شخصية إيجابية	لم أكن قد تجاوزت السادسة
الأم ص 14،32،33	عندما كنت في الصغر كانت أمي تمسح رأسي بزيت الزيتون مستنجدة بسيدي عبد السلام الأسمر	شخصية إيجابية	متزامنة مع حياة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
السيدة الكبيرة في السن "خالتي الشعالية" ص 14 ـ 15	طويلة القامة، أجشة الصوت تحمل "قتباً" على رقبتها، وفي لحيتها بعض الشعيرات الطوال... طلبوا منها أن ترقيني.. طلبت مني أن أفتح فمي، وما أن فتحته حتى تفلت فيه...ولا أذكر أنه قد انتابني قرف من ذلك أو كان قد شملني غثيان ـ كانت إنسانة عاملة رغم سنها.. كانت تحرس قطيعاً من الغنم في الصحراء أمام خيمتها والبركة تأتيها من عملها البسيط.	شخصية ثابتة	السادسة أو السابعة من عمره
شخصية الشيخ سلمان ص 17 ـ 18	كان طويلاً، عريض المنكبين، ممتلأ البطن، يسير حافياً، ويحمل في يده مجموعة من العصي، ويلف على رأسه عمامة من خرق مختلفة الألوان وينادي بأدعية وكلمات مبهمة، كانت هذه حالة الشيخ سلمان عرفته وأنا صغير شحاذاً، ثم عندما كبرت وذهبت إلى الجامعة سألت عنه وعرفت أنه أصبح قطبا كبيراً.	شخصية ثابتة	عرفته وأنا صغير ثم عندما كبرت سمعت أنه أصبح قطبا كبيراً، شخصية استمرت مع الكاتب من الطفولة وعادت في الشباب.

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
توفيق الحكيم ص19	كان أستاذي في الحوار توفيق الحكيم ولاشك ثم تمردت عليه، ولكن قربه من نفسي كإنسان جعلني ذلك التلميذ المقـــر بالفضل..فلم يكن غير الحوار أسلوبه..فأنا مثله..عانيت طبيعتين مختلفتين	شخصية إيجابية	زمن مفتوح
"غبريال أفندي" مدرس الحساب ص 23 ـ 24	والمدرس دليلي. لم يكن المدرس بالنسبة لي هو الآمر الناهي المتسلط بل كان هو القادر على المنح والعطاء... ولم تستطع عصا"غبريال أفندي" مدرس الحساب أن تجعلني أتصور المدرس في غير هذه الصورة.	شخصية إيجابية شخصية ثابتة	الســابعـــة أو الثامنـــة مــن عمر الطفل
العم أحمد صديق والدي ص 33 ـ 34 ـ 35 ـ 44 ـ 81	ـ اخرجوا جثتين من "الإبراهيمية" ـ وأشار العم أحمد إلى مكانهما القريب على حافة الترعة قال عمي: ابتعد لا تذهب إلى هناك..عمّا قريب سنعود إلى البيت..أغلق عمي دكانه وسرت أتبعه عائداً للبيت..ويخنقني الخوف والغثيان ورأسي لم أستطع أن أقعده على كتفي، وضربتني الحمى.	شخصية دينامية إيجابية متحركة	زمـــن طفـولة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
أم كعبور ص70 ـ 71 ـ 72	يقتلني نواح أم كعبور نهاراً وليلاً.. ما أن أقترب من بيتها حتى يخرق قلبي صوتها:ياعيني ياضناي.. صوتها كقطعة حجر منحوت هي دائماً كابية على عتبة الباب متشحة بالسواد..هي مثلنا غريبة لا أذكر من ملامحها شيئاً.	شخصية سلبية شخصية ثابتة	في زمن الطفولة "عندما كنت صغيراً"
عمي الحاج عمر عمه الأكبر ص 77 ـ 78	كان عمي الحاج عمر عنيداً لايقبل نقداً للرأي، حريصاً على لباسه لم يغير من جرده، وطاقيته.احتفظ باستقامة عوده حتى وفاته، استمع معه إلى الدروس في المسجد بعد صلاة العشاء.	شخصية إيجابية شخصية ثابتة	على امتداد حياة الكاتب
العم إبراهيم ص86 ـ87 ـ 88 ـ89 ـ 90	كان يجلس معي أمام بيتنا في الصيف يحدثني على القطن والزرع وعن عمي الذي توفي في الحجاز. ـ أنتم المغاربة "واعرين" ـ الوعورة في طبعكم فأنتم لا تقبلون ما تأتي به الأقدار ـ كأنما فتح "عم إبراهيم" بكلماته نافذة أطل منها على داخلي وداخل أسرتي ، إننا نختلف عنهم .	شخصية إيجابية شخصية دينامية متحركة	شخصية استمرت مع الكاتب في السيرة

هذه هي الشخصيات التي ارتبطت بطفولة الكاتب عبد الله القويري، وذكرها في الوقدات فالكاتب تنوعت شخصياته بين الثابتة كشخصية الوالد والوالدة والخالة الشعالية، وبين دينامية متحركة كشخصية العم أحمد والعم إبراهيم الشخصيتان اللتان احتفظا بحظورهما في أغلب صفحات السيرة، ومرحلة طفولة الكاتب، فهذان الرجلان

قد رافقا الكاتب منذ بداية السيرة وحتى نهايتها، فشخصية "العم إبراهيم" و "العم أحمد" مارستا وعياً فعلياً إيجابياً بينما مارست شخصية الوالد والوالدة والخالة الشعالية وغبريال أفندي والشيخ سلمان وعيا سلبياً غير فاعل في السرد، بل على العكس واصلت هذه الشخصيات ثباتها واستمرارها لاستكمال البناء الاجتماعي في السرد ليس إلا.

ثانياً: "محطات" كامل حسن المقهور:

زاوج الكاتب في حضور شخصياته في النص بين ذكرها وإبعادها عنوة وقد صرح في ذلك في ميثاق سيرته قائلاً "**سوف أذكر أسماء أحمل لها وداً خاصاً...كانت رفيقاً في انتظار القطار في المحطة، أو كانت جليساً في السفر، أو كانت أنيساً في الوحشة، وسوف أبعد من خاطري كل من ناوشني وأنا أنتظر القطار، أو حاول أن يسرق مقعدي فيه، أو هاجمني في مجلسي، أو تطوع لرميي من عرباته**"[1] فقد قسم شخصياته إلى إيجابية وسلبية، والجدول الآتي سوف يفصح لنا على مكونات شخصيات طفولة الكاتب، ومدى صدق ميثاقه الذي واثقنا به:

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
الفقيه أحمد ص29-30، 143	يتربع على (الركابة)، نصف مغمض الرؤية...كانت له عين واحدة..أجلس دوما إلى يساره محتمياً بتلك العين التي لاترى	شخصية إيجابية	دون العاشرة من العمر
الشيخ حورية ص 31	ذلك الضرير الذي جعل القرآن بصره وسمعه...وترتيله...وأذكر أنه كان يتحسس رأسي..أصغر رأس حليق في الكتاب...كان يهابه الجميع.. وكنت أحبه	شخصية إيجابية	زمن الطفولة
الشيخ الجنزوري ص 31	كان الشيخ (الجنزوري) الأعمى (البصير) يتربع في داخلي وهو يتلو الشعر ويقرأ النصوص وكأنها مشكلّة أمام عينيه.	شخصية إيجابية	زمن الطفولة

(1) محطات مصدر سابق، ص: 22.

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
ص 32	يتكيء في (سدّة) جامع في المدينة...عيناه المطفأتان تراقبان من زاغ بصره أو تبرأ من مكانه		
(الصغير) ص 78	ليس كغيره من الشبان، ينزلق على قفاه شعره الأصفر كالنصارى يمشطه كالنساء... والصغير اختفى في يوم من الأيام..مضت سنون حتى ظهر دون شعره الأصفر إذ زحف على رأسه الصلع يحترف التلحين ويمارس الغناء.	شخصية سلبية	زمن الطفولة
مرسال ص89، 93 ـ 94 ـ 95	كان يرتدي بنطالاً، بدلا من السروال وفانيلة تحول لونها إلى لون جلده تتزرع على جسده الأسود الفاحم شعيرات بيضاء حتى على ساعديه، وبعضهم يعتقد أن شعر ساقيه أبيض.	شخصية سلبية	طفولة الكاتب
عاشور ص97 ـ 98 ـ 99	ليس من رواد الحانة، إلا أنه جزء لا يتجزأ منها، يرتشف في صوت مسموع تنشقات من بخار غير مرئي يتصاعد من أرضية الحانة..يتناول السجائر، ويرفع حاجبيه، عمله في الحانة من العاشرة إلى قرب الصباح، ينظر إلى (لاورا) نظرات خاطفة من بعيد، يغسل عالة الشاي...	شخصية سلبية	طفولة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
الحاج حسين ص 118 ـ 120	تميز في ذاكرتي (الحاج حسين) مهيب، كريم العين، حفظ القرآن، ويؤم الناس، يمتطي بغلته الصحراوية...تميز الحاج حسين بعينه التي لا تطرف، وحنجرته التي أكلها (السلطان) ورقدته في المربوعة.	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب
الشيخ (أحمد) ص 141	بدا لي شيخاً خرج من قبر...أبيض مثل الشمع، على رأسه طربوش إن خرج، وطاقيته بيضاء إن استقر في البيت، جلبابه أبيض هو الآخر يمتد حتى كعبيه، شواربه محفوفة، كأنها مرسومة تحت أنفه، في كلامه لكنة عجيبة محببة.	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب
الوالدة صالحة ص 144 ـ 146	لم تمتد صلتي بوالدتي إلى أن بلغت العاشرة أو قبلها بقليل عرفتها حينذاك، كما يجب أن أعرفها، سيدة لا تراها خارج البيت إلا لماما من صلاة الفجر حتى آذان العشاء، تدور في أرجائه نحلة لا تعرف المستقر لا أعرف منها لغوا أو لغطاً...وتلك كانت أمي (صالحة)	شخصية إيجابية مركبة	منذ سن العاشرة وعلى امتداد حياة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
الوالد ص 146	يعجبني الرجل الربع...ووالدي ذلك الربع بشعره الحليق وشاربه المبيض، يطوف في ثيابه الناصعة يشقها "بحوليه" المجعد المدخر لا يختال ولا يتبختر، ولكن الشياطين تسكن متى هز الشارع بعصاه...	شخصية إيجابية متحركة	على امتداد حياة الكاتب
"أم حسين" ص183 ـ 184	تدخل "أم حسين" على مهل تخلع ملايتها، تمد ساقيها أمامها وتبدأ الغسيل..تناجي نفسها عن "حسين" الذي غيبوه في الصحاري...حاولت أن أستعيض بها عن أمي "صالحة"	شخصية إيجابية	زمن الدراسة في القاهرة
لوزة ص 185	تحضر كما اتفق ترسلها "عواطف" قبل الظهر بقليل، تحمل حلة بها مأكولات..كانت تتكئ متى دخلت الشقة ثم ترفع الكلفة حتى ليسمع الجيران ضحكتها، وكانت ضحكتها أصفى من ماء الجدول.. "لوزة" حليب من القشدة مخلوط بلون القمح الأسمر، لا تلبس ملاية ولا تضع برقعا على الوجه..تدور في الشقة كأنها تستوطنها، تسوي شعرها على مرآة الحائط..تتطاول في الكلام...لو رأتها أمي "صالحة" لنهرتها، ولو اطلع على مسلكها "الحاج حسين" لطردها، ولو شاهدها الحاج "عمر" لجلدها أو لجز لها شعرها! والحق أني كنت	شخصية إيجابية	زمن الدراسة في القاهرة

	أشتاق إلى مواعيدها..دخلت "لوزة" و "أم حسين" عالمي الخاص حتى أصبحتا جزءا منه.		

من خلال الحصر تبين لنا شخصيات الكاتب في محطاته، التي عاشها في مرحلة طفولته، وكان لها الأثر في تكوينه النفسي والاجتماعي والبيولوجي، فقد تنوعت الشخصيات في طفولة الكاتب تبعاً للوظيفة التي تؤديها وتمس الكاتب منها ما كان له أثر إيجابي وله انعكاسات إيجابية، ومنها ما هو سلبي وكان له الأثر السلبي على الكاتب.

ثالثاً: "المراحل حياتي أرويها" أحمد نصر:

الشخصيات التي تقوم عليها سيرة أحمد نصر هي شخصيات متنوعة في الحضور والفعل في السرد، ولكن نجد أن الشخصيات الفاعلة في طفولة الكاتب انطلقت من "البيت المصراتي" البسيط الذي ولد فيه وعاش فيه تفاصيل طفولته أولا بأول، وقد لجأ الكاتب في عرض شخصياته إلى الطريقة المباشرة بما يناسب هذا النوع من السرد، واستعمل ضمير الغائب في رسم الشخصيات وقد صرح بذلك في مقدمة المراحل، معللاً ذلك بقوله "**إلا أنني في الفصل الأول اعتمدت على " ضمير الغائب"...ذلك لأنني في هذا الفصل تناولت مرحلة طفولتي المبكرة (فيما دون سن العاشرة) وهي مرحلة لا يتذكر الطفل منها في السنوات الخمس الأولى شيئا يذكر**"[1]، والجدول التوضيحي سوف يستوقفنا على أبرز الشخصيات الفاعلة في طفولة أحمد نصر.

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
الوالدة أمنة الشتوانية ص10 ـ 11 ـ 15 ـ 19 ـ 94 ـ 95	تلقفته أمه بين ذراعيها وهي تردد في هلع "يا بن شتوان..يا بن شتوان" أسرعت إلى قعر الغرفة وهو متشبث بعنقها، اندست به تحت السدة وشفتاها لا تفتر تلهج بذكر جدها. ـ تشبث أحمد بأمه أكثر دفن وجهه في صدرها وأغمض عينيه ثم أحس بسخونة صدرها الراجف فارتخى في حجرها... ـ قفز أحمد إلى صدر أمه فانتتت	شخصية إيجابية تمثل الإشعاع العاطفي والوجداني في طفولة الكاتب	متزامنة مع حياة الكاتب

(1) المراحل حياتي أرويها، أحمد نصر، ص: 3.

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
	عليه تدسه. - يا سبحان الله الولد لا يأتي إلا من آمنة الشتوانية اليائسة من الإنجاب هذه المرأة لا تخلو من البركة.		
الشيخ عبد الرحمن "جده" ص 13 ص 58 ص 54	تعلق إلى جده فشده من ذراعيه وجلس به متقرفصا...صار بين ركبتيه المرتكزتين يناوشه ويعبث بلحيته وهو يضغط على جسده النحيل... أسارير جبهته عميقة توحي بالصرامة والجدية، شاربه محفوف ولحيته قصيرة بيضاء، تمتد منها بصمة تحت شفته السفلى يشعر أحمد بخشونة يديه عندما يمسكه من زنديه، بسبابة يده إعوجاج عند الأنملة يقولون إن سببه غرزة مخيط، اللحية البيضاء والإصبع الأعوج والمعرقة هي الصورة التي تستدعيها ذاكرة أحمد كما ذكر الشيخ عبد الرحمن بن نصر.. أن جده مصدر من مصادر فخره واعتزاز عشيرته. - كان نشاطه ينحصر في إمامة مسجد القرية وفلاحة الأرض. - هذه كانت آخر صورة لوجه الشيخ الجليل في ذاكرة الطفل فلم يمحها	شخصية إيجابية	عايشت جزء من طفولة الكاتب

	غياب...يخْصُف برذعة حماره، ويفتل رسن بقرته ويتلقى (المدنة) الهابطة من رؤوس النخيل ويفتي للعامة والمنجل في يده، الكبير في مواقفه الوطنية ورسالته العلمية والاجتماعية عندها انسجمت هذه الصورة الشكلية مع المضمون واستحالت معاني وقيما ولعلها ترسبت في اللاشعور وكان لها شيء من أثر في نفسية الحفيد. - يرى فيه جده امتداد سميه بكره الذي رحل في عنفوان الشباب.		ص 34
الفقيه سالم القويري ص40 . 41 . 42	كان الفقيه سالم حينئذ شيخاً كبيراً يمشي على عكازين واحد في يده وآخر تحت إبطيه، يحتل شنبه الأبيض خطا أفقياً على وجهه المستغضن وكان في شبابه فتوه تحكي عنه القرية الحكايات... وكان يعامل الطفل أحمد برفق ولين فهو صديق وسلف لجده ويعرف مكانته في قلب أمه... وميلاده بعد طول حرمان.	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب في سن الخامسة أو ما دونها
زينوبة ص 47	امرأة حازمة قوية الشخصية، تدعي التطبيب، وتمارس الوشم والكي والحجامة مجرد ذكر اسمها في العائلة يثير الفزع في نفوس الأطفال فقلّ من أطفال القرية من لم تلسع جلده بمكواتها أو (توسوسه) بأعواد الرتم	شخصية سلبية	طفولة الكاتب

	أو تحك جفونه بخشونة ورق التين		
الشيخ محمد والده ص10 ـ 21 ـ 24	صاح الشيخ محمد القادم فـــي إثرها **(قولي ياالله..)** وأردف وهــو يجلس عـــلى درج السـدة (رددن الشهادة...أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ـ الشيخ محمد ألقى مفاتيح الدكان خارجاً على كتفه واتجه إلى المدينة يخرج الشيخ محمد وتحت إبطه صحيفة يحتل مكانه بينهم يقربون الفنار منه ويقرب الصحيفة من عينه، يقرأ..تغبش عيناه الكليلتان	شخصية إيجابية	
ص33	ـ وكان الشيخ محمد فوق الدكان المسطبة متكئا على الجدار، دافئا وجهه في كتاب مجلد.	تتفاوت بين السلبي والإيجابي	عـــايشت حياة الكاتـــب فـــي سيرته
ص 34	ـ الشيخ محمد أعلم من أبيه.. أبوه يراه فاتحة خير قطعت سلسة البنات.		
ص58	ـ على الرغم من سعة البال ولين الجانب الذي كان الشيخ محمد معروفاً بهما غير أنه في تدابيره وتصرفاته لا يعتمد إلا على نفسه، ولا يستشير أحداً فيما يفعل حتى في الأمور المهمة...وهذه النظرة القيادية الفوقية عند الشيخ كانت من سلوكياته حتى في حياة والده الشيخ عبد الرحمن.		
ص 267	ـ نظرت إلى والدي من جلستي		

	جنب الزجاج فرأيته يجفف دموعه بمنديله، وهذه المرة الأولى التي شاهدت فيها أبي يبكي، كما لم أر له دمعاً بعدها قط طيلة خمس وعشرين سنة أخرى عاشها.		
أمّه وادي ص 18	قالت داد! وادي ونظراتها إليه: هو ولدي أنا ما هو ولد الشتوانية، ابتسم الطفل والتصق بها ـ قالت وادي في نبرة لا تخلو من اليأس الدفين: وأنا من عندي!... ـ لك الله أولادنا أولادك ـ تمضي وادي والطفل يقفز فرحاً ويده في كفها، مسكنها في ظهر منزل (عبد الله الفقيه) كوخ من جذوع النخل وجريده مرقع بالصفيح وبضع نخلات سامقة وشجرة و طين وأزقة محاطة به ـ تضمه إليها بإحساس الأمومة المتدفق وتخاطبه ـ احميده أنت ولدي. ـ يهز رأسه بالإجابة تبتسم فيضحك تضمه ثانية وإحساس اللحظة يختلط باستدعاء الماضي..لا ولد .. ولا رجل... امرأة على هامش القرية... وعلى حافة الشيخوخة... سوداء البشرة، غليظة الشفتين، لا تعرف لنفسها أصلاً. ينهض الطفل، تشمله بنظراتها الحانية تدمع عيناها، تمسحهما، وتسأله... عندما تكبر... تتذكر	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب

	أمك وادي؟		
عاصي ص 12 ص 13 ص 24 ص 25 ص 45	ـ صاح الشيخ: ادخل يا عاصي ـ دخل عاصي وبيده فأس ومجرفة مرق مع الشيخ عبر (النتاقة) قال عاصي وهو يتأهب للحفر لكن يا سيدي الناس يقولون بعد انتصار الانجليز ـ أهمله الشيخ وحرك خطاه تاركاً عاصي والفأس بيده ترتفع وتهبط. ـ بعد المغرب كان عاصي قد أخرج الحصر من السقيفة وفرشها في الساحة أمام الحوش وأنشأ يعد العدة لشاي السهرة. ـ وخص عاصي بالتنبيه قائلاً (بعد الفجر تلحق بي في الغوط فغداً حصتنا في الماء الفوار) وتوارى داخل السقيفة. كان عاصي تحت الزيتونة يفتل	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
ص 46	حبلا من الليف كان عاصي في جانب آخر من الأرض معلقاً في رأس نخلة يزيل الكرناف ويهذب السعف ويدلي العراجين الخضر. ـ كان أحمد قد جاء من وراء عاصي وكبل عينيه بيديه مازحا فأخذ عاصي بيديه وجذبه إلى جواره		

ص 51	ـ اقعد سنصنع لك خاتماً ـ وتناول سعفة قص منها شريطاً بظفره فقال أحمد ـ ساعة ـ وساعة وفرارة استعاضت به الأسرة في خدمتها من حرفة الرعي و (رقي النخيل) والعمل على خدمة العائلة حتى صار فرداً منها.		
عمّه الصديق	قال الصديق وهو يقف عند عتبة الحجرة وعيناه في السقف كمن لا يبالي ـ لم هذا الخوف...كأنكن أرانب؟ ـ ولعلني أنا الوحيد مع بعض البنات اللائي في سني أو يكبرنني من بين الأطفال الذين يدركون شيئاً مما يحدث، وماذا يعنى توديع عمنا إلى فلسطين...	شخصية إيجابية	متزامـــن مـــع حياة الكاتب

الشخصية/الصفحة	**الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص**	**تصنيف الشخصية**	**زمن الشخصية**
الجدة ص 12	فر إلى جدته وارتمى في حجرها، قبلته وشدته إليها وهو يلهث، ثم أدخلت يدها في ردائها، وهي تقول: ـ اقعد ...سأعطيك حاجة التفت البنات حولها زجرتهن الجدة ويدها ما زالت تفتش في ثنايا ثيابها	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب

	على ما ستخصه به.		
ص 20	ـ كانت الجدة قد جالت بمحاضن الدجاج وأحضرت أكثر من (حارة)، ثم أنشأت تنثر حفنة شعير وسط الحوش، وتنادي بلغة الدجاج، فجاء يطير من كل اتجاه		
ص 57	وكان طبيعيا أن يهتم الشيخ بالتقتير على الأسرة لاسيما وأن أمه البابا وهي المشرفة على تدبير البيت أكثر منه حرصاً في تدبيرها		
ص 119	اليومي ويوم أن ودعناه كانت جدتنا "البابا" تخنقها العبرة وما كاد يغيب عن عينيها حتى أجهشت بالبكاء وانهمرت عيناها بالدموع...قالت والنشيج يقطع كلامها		
	ـ وأنا سأعيش حتى يعود؟		
ص 120	وحقا إن قلب الأم دليلها فلم تره بعد ذلك الوداع لقد رحلت جدتي رحمها الله قبل عودته بعد ثلاث سنوات		

إن الكاتب أحمد نصر يعتمد في (المراحل) على رسم الملامح النفسية والصفات الشخصية، في عرض شخصياته السيرذاتية، فقد بين لنا هوية الشخصيات في الحكي السيرذاتي من خلال مجموع أفعالها، مع عدم صرف النظر على العلاقة التي تربط بينه كونه الكاتب وبين الشخصيات كونها الفاعلة في طفولته، فأغلب شخصيات الكاتب في مرحلة الطفولة لم تتعد البيت الذي يعيش فيه، وأفراد الأسرة التي نشأ فيها، وعاش حياة ترف واهتمام وعناية في ظلها، فالشيخ أحمد نصر طوّع

شخصيات سيرته لخدمة هدف واحد، هو مكانة الطفل في نفسية كل شخصية من شخصياته ابتداءً من الوالدة التي رزقت به في سن متأخرة، والوالد الذي لم يتحصل عليه إلا من تلك اليائسة؛ مع وجود زوجاته الأخريات، مروراً بالجد الذي يرى فيه امتداداً لابنه المفقود في ريعان شبابه، وكذلك الجدة، والعم والشيخ عبد الرحمن الذي قدم له مواصفات من خلال ذاكرته أو الذاكرة المساعدة، فقد توفي في طفولة الكاتب، والطفولة المبكرة إلى حد ما، و(عاصي) ذلك الفتى الذي خصص له الكاتب محطات لا بأس بها من صفحات كتابه، يرمز بذلك لمكانته في نفسية الكاتب، فهو الشاب العامل ذو الوجه البشوش، الذي لا يكل ويعمل في المزرعة يداً بيد مع الشيخ عبد الرحمن ورفقة (أحمد) الطفل المدلل في العائلة المترابطة.

رابعاً: "مسارب" أمين مازن"

أمين مازن في مسارب لم يعط الشخصيات أهمية تذكر بقدر ما وظفها لخدمة واقع اجتماعي تعيشه الأسر في ذلك المكان، وإن كانت كتابته لا تخلو من وجود شخصيات فاعلة في طفولته؛ كشخصية الجدة التي مثلت التعويض النفسي والعاطفي، وشخصية الوالد الشيخ مختار؛ الذي قام بالدور النضالي إلى جانب الالتزام الديني، والتعصب الأسري الشديد الذي جعل من الطفل مسجوناً بقيوده في تحديد مصيره رغم الصراع مع الجدة.

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
زهرة والدته ص 76	لقد داهم المرض زهرة التي كانت في ريعان شبابها وقمة تألقها وسعادة الشيخ بها...اعتقد البعض في البداية أن المرض قابل للشفاء وأن الابتسامة العريضة ستعود والجسد الغض سيزهو مرة أخرى وأن الموت	شخصية إيجابية	لم يتجاوز السنة من عمره

	لن يتمكن من اغتيال ذلك الشباب الفوار والشخصية التي تمازح الجميع وتدافع عما تعتقد أمام الجميع.		
الشيخ "والده" الحاج مختار ص 97 ص 110	الزوج الذي ملأ البلدة بعلمه وشهرته وسر الأقربين بمكانته وألجم الحاسدين بهيبته وحسن قبوله...وذلك الشيخ الممتلئ أملاً وحبوراً فطالما أن الشيخ قد استبدل زوجته الأولى بدون سبب مشروع سوى المزاج الشخصي فلا أقل من أن يكلف بتسمية ابنته الأولى بغير الاسم الذي يحب!	شخصية إيجابية تحمل الدور النضالي ورسم صورة مثالية لحضوره الديني ومركزه الاجتماعي	تتزامن مع حياة الكاتب

الشخصية/الصفحة	**الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص**	**تصنيف الشخصية**	**زمن الشخصية**
القرينة الجديدة ص 78 زوجة والده	من جهتها حدث القرينة الجديدة على ذلك الابن الذي فقد أمه لمجرد أن دخلت منزل الشيخ موفرة له حنانا أنساه تلك الراحلة والتي لم يعرف سوى ملامحها.	شخصية إيجابية رغم أنها عاشت فترة بسيطة من طفولته لا تتجاوز الشهور	جزء بسيط طفولة الكاتب
جدته أم والده الحاجة "قنا" ص 83	دعيت الحاجة بهذا اللقب واستغني به عن اسمها الحقيقي باعتبارها المرأة الوحيدة من سكان المدينة الصغيرة التي استطاعت أن تؤدي فريضة الحج في تلك الفترة...وقد ترملت في الأربعين إلا أنها من حيث الهيبة تبدو لمن يراها أكبر من ذلك بكثير وتعليل ذلك أن الحاجة أو (قنا) كما هو الاسم الحقيقي امرأة متوسطة القامة قمحية البشرة، واضحة الجدية، لا ترى إلا وهي	شخصية إيجابية سيطرت على أغلب محطات طفولة الكاتب مثلت التعويض النفسي والعاطفي لفقد والدته.	

ص 84 ص 88	منشغلة في شأن من الشؤون ولا تتحدث إلا وهي شديدة الثبات، صارمة الوجه لا تغشى البيوت إلا في المناسبات المهمة... ومن عديد الصدمات وخيبات الأمل فإنها لم تتراجع قيد أنملة عن موقفها، ولم تتزحزح خطوة واحدة، ولم تتأثر رمشة عين، فهي امرأة لا تعرف الدموع... بل الأم والمرأة الحديدية التي اعتادت أن تقرر فتنفذ وأن تؤمر فتطاع.		
ميلاد ص 101 ص 102	ذلك الفتى الذي حل البيت منذ كان يافعاً وتمت تربيته وتدريبه في شؤون الزراعة لقد كان فقيراً معدماً للغاية... . لقد كان شاباً متوسط القامة واللون والهيأة، ولكنه لا يملك أي عصبية، فالذين ينحدر منهم عضهم الزمن بأنيابه، ولم يكن لهم ما يفرون له.	شخصيــة سـلبية غير فـــاعلة في طفــولة الكاتب	
الترجمـــان سالم أفندي ص 104	كان بالنسبة لها بمثابة الابن، مثل الترجمان سالم أفندي، الذي قدرها كما تقدر الابن أمه،...لقد ظل حفيدها يذكر ما كان يقدم إليه من احتياجات الطفولة التي لا تنتهي، ولا يمكن تلبيتها لمن لا دخل له	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب
عزيزة شقيقته ص 110	لقد غابت عزيزة التي كانوا يختلفون في تسميتها بحكم انقطاع الصلات بين الوالد والوالدة، فلقد اختار لها من الأسماء (سعده)... لكن جدتها من الأم أصرت على تسميتها (عزيزة)، تخليداً لاسم شقيقتها أو والدتها... لقد كانت الصغيرة لا تأتي باستمرار، غير أن الحاجة حين	شخصية إيجابية كان لغيابها الأثر البالغ في نفسية الطفل.	جزء يسير من طفولة الكاتب

	لاحظت تعلق حفيدها بأخته شرعت تحضرها له وتحملها معه إلى مزرعة القيصر.		
نائلـــة ص 128	كانت نائلة قريبة السن من فطومة، وقد تطلعت إليها كثيراً، وهي تمتطي الأرجوحة التي عقدت بين نخلتين...عينان سوداوان، شامة جميلة فوق ذلك الخد الحنطي، يقولون إن أباها رحل وتركها لأمها... تفتر عن ابتسامة خجولة، ....جذاباً، إلى جانبها بالطبع فتيات كثيرات، لكنها الأشهر والأكثر قربا لكل القلوب.	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب

الشخصية/الصفحة	الملفوظات الخاصة بالشخصية في النص	تصنيف الشخصية	زمن الشخصية
للاّ فضولة ص 130	كانت فضولة امرأة فارهة الطول كبيرة العينين، ذات صوت رخيم للغاية تقضي الساعات الطوال في نسج الصوف، كل ما تنسجه يكون محجوزا سلفا إلى جانبها.	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب
بوشينة ص 132	..الذي كان يقود السيارة الوحيدة التي بقيت بعد انسحاب الإنجليز...كان يزود المناطق الثلاث بالماء.	شخصية إيجابية	
زوجة بوشينة ص 132، 133 سيدة الكل	...عندما يخلص الماء لا يتردد الأطفال من الدخول إلى بيت السيدة زوجة بوشينة والشراب من هناك، فماء الحمام يختلف كثيراً عن ماء البلدة، والسيدة أم الجميع أليس اسمها سيدة الكل؟	شخصية إيجابية	
بابا لامين ص134	ذلك الرجل القصير الأسود الذي ينظر بصعوبة شديدة، وقد كان زوجاً لامرأة شديدة البياض .. تدعى عائشة ومعها	شخصية إيجابية	طفولة الكاتب

الخالة عائشة ص 134	عدد من البنات اللاتي كن ينظرن إلى أطفال الشارع بمثابة الأشقاء، حتى إن إحداهن لا تتردد في حمل البعض على كتفها..		
بوشنبه ص 170	كانت هذه الصفة تطلق من الكبار دون أن يعرف الأطفال أي معنى لها، عين واسعة، ونافذة، وأخرى تقل عنها اتساعا ونفاذاً، فهي دائماً نصف مغمضة، وجه مستدير أصفر مع آثار الجدري، الصورة غريبة نسبياً. ...ايه هو أبو شنبه وأشار إلى الشارب النصفي! ولأول مرة عرف الصغـــار أن الكلمة التي تطلق في أماكن كثيرة لها سر	شخصية سلبية	طفولة الكاتب
	يتصل بذلك الرجل وأنها تخص وجهه تحديداً.		
الفقيه الكفيف ص 228 ـ 229 ـ 230 ـ 238 ـ 239 ـ 240 ص 230	...الذي استطاع أن يجمع في ممارساته الحياتية وسلوكه اليومي مجموعة من الصفات التي جعلته أكثر تفردا... من بين هذه الصفات الذكاء: وشدة اليقظة، حتى إنه يكتشف ما يمكن أن يستنتجه ممن يجلس إليه...إن المرء ليصعق حقاً حين يستمع إلى هذا الرجل وهو يضبط مشروع الابتسامة التي كثيراً ما تكون مخيفة. ...يقطع كل طرق المنطقة من دون أي دليل يرشده ويدله على أي بيت يُعن له... لقد ابتلى بالعمى في طفولته المبكرة، إذ يروى عنه قوله إنه لم ير في حياته ولم يعلق بذاكرته سوى اللون الأحمر الذي		

ص 231 ص 233	كان رباطا على رأس والدته. ...حفظ القرآن حفظا جيداً، وألم بأحكامه كأجمل ما يكون الإلمام...درس إلى جانب القرآن الكريم مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية... حين رزق الشيخ مولوده الأول الذي خلد باسم صديقه ذهب إليه في بداية الليل مبشراً بالحدث ونشوة الفرحة، وحين تعرض الوليد لبعض أمراض الطفولة كان الكفيف يحرص على المرور بالبيت كل		
ص 234	يوم... فإذا ما وجده باكيا أسرع لحمله بين يديه الساعات الطوال مردداً تلك الأرجوزة الأصمعية. ...أما عندما بدأت مرحلة التكوين وأخذت الأسئلة تطرح حول بعض الأمور فقد كان الكفيف شيئاً آخر، موسوعة كاملة عن الأحداث وحجة لا تمارى في قولة الحق.		

المبحث الثالث:

البعد التكويني للشخصيات في طفولة الكاتب

أولاً:

- البعد النفسي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية
- البعد النفسي لصورة الرجل في السيرة الذاتية لطفولة الكاتب
- البعد النفسي لصورة المرأة في السيرة الذاتية لطفولة الكاتب

ثانياً:

- البعد الاجتماعي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية
- البعد الاجتماعي لصورة الرجل في السيرة الذاتية لطفولة الكاتب
- البعد الاجتماعي لصورة المرأة في السيرة الذاتية لطفولة الكاتب

البعد التكويني للشخصيات في طفولة الكاتب

إن للشخصيات التي عايشت طفولة الكاتب أبعاداً مختلفة لها من الأثر المباشر ما لا يخفى على قارئ السيرة، وقد تركت بصمات واضحة في تكوين شخصية كتّاب السيرة عبر مراحل حياتهم، وتتضح هذه الأبعاد والدلالات عند الخوض في عمق العلاقات التي تربط بين الكاتب السيرذاتي والشخصيات المذكورة في صفحات سيرته، فلم يذكر الكاتب شخصياتهم عبثاً، وإنما كان لذكرها أبعاد مباشرة في تكوين شخصية الكتاب، والتأثير في مراحل حياتهم المختلفة عامة، ومرحلة الطفولة بصفة خاصة، وتتمثل هذه الأبعاد في بعدين أساسيين، يتمثلان في (البعد النفسي) الذي ندرك من خلاله الكيفية الخاصة بتشكل مشاعر الفرد، واتجاهاته وتجاربه العقلية والعاطفية؛ التي تؤثر في بناء الشخصية، وعلاقتها بباقي شخصيات سيرته، و(البعد الاجتماعي) الذي يدرس العلاقة بين الشخصية والمجتمع؛ من خلال تصوير الحياة التي كانت تعيشها الشخصية، وتعكس فيها الحياة الاجتماعية بكل أبعادها، وتكمن أهمية البعد الاجتماعي في تحديد الشخصية، وما للأسرة والبيئة الاجتماعية والطبقة التي تنتمي إليها الشخصية والمهنة التي تمارسها من تأثيرات معينة على سلوكها وتصرفاتها في المواقف المختلفة، ويشمل البعد الاجتماعي الجانب المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع، فربما تكون مهنة الشخصية فلاحاً أو موظفاً أو مديراً أو عاملاً أو طالباً...وهذه المراكز الاجتماعية لها أهميتها البالغة في بناء الشخصيات وتبرير سلوكها وتصرفاتها، فلكل مجتمع مشاكله الاقتصادية والاجتماعية الخاصة ... والأدب كما يرى جماعة الفن للمجتمع يجب أن يسخر لتحليل الأوضاع الاجتماعية والمشاكل الانسانية وإظهار فساد المجتمع"[1]، كما يشمل البعد النفسي

(1) تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، الدكتور على عبد الرحمن فتاح، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة صلاح الدين ـ كلية اللغات قسم اللغة العربية، ص: 51.

للشخصية "الحالة النفسية والذهنية للشخصية، وتحدد مدى تأثير الغرائز في سلوك الشخصيات، من انفعال أو هدوء، من حب أو كره، من روح الانتقام أو التسامح، هل هي شخصية اجتماعية أو انطوائية؟ معقدة أم خالية من العقد؟ متفائلة أم متشائمة"[1]، وهل هي إيجابية أم سلبية؟ كل ذلك يرجع إلى ما قدمه علماء النفس حول الشخصية، وهي "قضية أخلاقية تدور حول التساؤل عما إذا كان الطفل بطبيعته إيجابياً أو سلبياً فيما يتصل بعالم الناس أو دنيا الأشياء، هل الطفل نتاج سلبي للخبرة لما يقع أو يحدث في البيئة؟ أم أن الطفل إيجابي يختار الخبرات التي يجتازها ويؤثر فيها؟"[2] فالأعمال الأدبية عامة هي نتاج مكونات الأديب النفسية والاجتماعية التي ترسبت بفعل الأيام في عقله الباطن فعبر عنها بأسلوب أدبي "فهو عمل يتخذ بُعده وتفسيره ـ من وجهة نظر التحليل النفسي ـ اعتباره رحلة العودة إلى الماضي مادام الحاضر هو الابن الشرعي للماضي، وحاضر عواطف الإنسان (مشاعره ونزواته وأهوائه) يضرب بجذوره في ماضيه الطفولي المبكر؛ حيث خرج إلى النور ليجد نفسه بين ذراعي أمه"[3].

وفي هذا المبحث سوف يتم التعرض للبعد النفسي لمكون صورة الطفولة في حياة الكتاب، وكذلك البعد الاجتماعي لصورة الطفولة أو مكون صورة الطفولة في سير الأدباء الليبيين الذاتية؛ من خلال دراسة العلاقة بين الكاتب والشخصيات الفاعلة في طفولتهم، والصورة التي رسمها الكاتب لكل شخصية من شخصياته، وانعكاس هذه الصورة على تكوين شخصيته، ومن ثم الصورة التي تكون عليها شخصية كل كاتب، وتعكس صورة الطفولة في السيرة الذاتية في الأدب الليبي.

---

(1) المصدر السابق، ص: 50.

(2) أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، تأليف بول ميسن، جون كونجر، جيروم كاجان، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، مكتبة الفلاح، الكويت، ص: 1، 1409 ـ 1986م، ص: 22.

(3) التحليل النفسي والأدب القصصي، أحمد أوزي، ثقافات ربيع 2002، ثقافات 62.

أولاً: البعد النفسي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية

ـ البعد النفسي لمكون صورة الرجل في السيرة الذاتية.

إن الدخول إلى العالم الداخلي للشخصيات وتصوير نفسياتهم وأذهانهم مهم جداً لكشف العالم الداخلي لهم، وشخصية الرجل تحظى بحضور بارز في كل السير، وتسليط الضوء على شخصيات ذكورية مختلفة ولكتاب مختلفين يختلف حضورهم من مكان لآخر ومن بيئة إلى أخرى مغايرة لها في الطبيعة والوضع الاجتماعي والبيئي الذي يعيشون فيه، ممّا كان له الأثر المباشر في تكوين صورة مغايرة لحياة كل كاتب من الكتاب عن الآخر، أو تقارب في تنشئة كل منهم، تكشفه العلاقة القائمة بين الكاتب وغيره من الشخصيات، وقد تنوعت شخصية الرجل عند كل منهم وهو أمر بديهي، فحياة كل شخص منا تتنوع فيها الشخصيات الحاضرة بقوة والشخصيات ذات الحضور المهمش، إذاً فشخصية الرجل تنوعت عند كتاب السير بين الوالد والجد والشيخ، أو الفقيه والعم أو الأعمام وشخصيات أخرى مختلفة، سوف نفصل فيها حسب درجة حضورها وتأثيرها في نفس الكاتب، وفق جدول يوضح كل كاتب وشخصياته، وسنفصل أولاً في شخصية الرجل (الأب) عند كل كاتب، ومدى التقارب والاختلاف الحاصل بينهم، الذي تفرضه ظروف التنشئة التي عاشوا فيها، وطبيعة المكان والأناس الذين تربوا في كنفهم.

المكون النفسي لصورة الأب في السيرة الذاتية

الكاتب	صورة الأب في السيرة الذاتية	البعد النفسي لمكون صورة الأب
عبد الله القويري "الوقدات"	"كان يأخذني من يدي...ولفافة من منديل أبيض حول عيني ليتركني وحالتي هذه ألعب حوله...أبي عندما أودعني المدرسة لم يكن غايته غير أن أستطيع الكتابة والقراءة لأستطيع مساعدته في أعمال التجارة".	صورة الأب المتسلط المتحكم في زمام الأمور؛ لتكون صورة الإبن مثالاً لصورة الأب الذي أجبرته ظروف الحياة القاسية على عكس تلك الصورة على منزله وأسرته، ولذا لا نرى القويري صورة إلا مثالاً لصورة الرجل المتسلط العنصري، وسبب ذلك ومرجعه إلى طبيعة الحياة التي عاشها الوالد في وطن الغربة، وأجبرته على فرض سلطته وجبروته على عائلة حفاظاً عليهم أو رغبة في التخلص من النقص الذي كان يعيشه في وطن أجبر على العيش فيه.
كامل حسن المقهور "محطات"	"يعجبني الرجل الربع...ووالدي ذلك الربع؛ بشعره الحليق وشاربه المبيض، يطوف في ثيابه الناصعة يشقها بحوليه المجعد، ولن ترى الشياطين تكن حيث هز الشارع بعصاه..."	نجد الكاتب قد أخذ المحطة التي تكلم فيها عن شخصية والده، ولا نكاد نرى صورة الأب الذي يعد ركناً أساسياً في طفولته إلا عند وصولنا إلى الصفحة "146" من سيرة الكاتب مما يجعلنا أمام تساؤل لا غنى عنه، لماذا فعل الكاتب ذلك؟ لماذا لم يكن للأب صورة في بداية سيرته؟ وكأنه ليس موجوداً، وكذلك نجده عند ذكره في منتصف سيرته سيتأثر بذكر البعد الفسيولوجي الجسمي، ويقتصر بذكر مواصفاته الجسمية وكأنه شخصية مهمشة؛ رغم أنه من خلال ذكرها قد صورها بقبول حسن لدى المتلقي، تمثلت في الصرامة والبأس والتدين والورع، لكن لا مناص من التوصل إلى أن الكاتب قد ذكر بعداً نفسياً متناقضاً لشخصية الوالد، فهو ذلك المتبحر في أمور الدين، ولم يسمح له بتحديد مستقبله العلمي في إجباره على الدراسة في الأزهر، على اعتبار أن العلم يقتصر عليه مما حمّل بعداً نفسياً سلبياً انعكس على حياة الكاتب.

الكاتب	صورة الأدب في السيرة الذاتية	البعد النفسي لمكون صورة الأب
أحمد نصر "المراحل حياتي أرويها"	لقد تزامنت صورة الشيخ محمد والده مع كل صفحات سيرته نراه في ص: 10، 21، 24، 33، 34، ... 267.	كان رجل دين كباقي أفراد عائلته أمثال والده الشيخ عبد الرحمن كان معروفاً بالورع الديني، وكان في ذات الوقت المسؤول على أمور عائلته المادية، فهو تاجر؛ ومن خلال مهنته كان يدبر أمور منزله الكبير، وكان عالماً يحب قراءة الكتب ليلاً عند الرجوع إلى منزله، ولديه نظرة قيادية؛ فوقية لا يستشير أحداً فيما يفعل وخاصة الأمور المهمة، قليل البكاء، معروفاً بالصرامة والقوة والقيادة، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يحب (أحمد)؛ لأنه يرى فيه قاطعة لنسل البنات في العائلة، ولكن إذا أمعنا التحليل لوجدنا أن شخصية الوالد تناوبت بين السلبي والإيجابي، فهو إلى جانب ورعه وقيادته لأمور العائلة فهو الذي هجر والدته مفضلاً غيرها من نسائه.
أمين مازن "مسارب"	برزت صورة الحاج مختار والده بعد استهلال طال ولم يذكر فيه غير تلك البلدة التي عاش فيها، فقد برز في الصفحة "97". "الزوج الذي ملأ البلدة بعلمه وشهرته، وسر الأقربين بمكانته، وألجم الحاسدين بهيبته وحسن قبوله...ذلك الشيخ الممتلئ أملاً وحبوراً.	يعد الشيخ الشخصية الإيجابية التي انعكست إيجابياً على الكاتب؛ فقد اختار من شخصية والده ما جعله يسمو في أفق التميز آنذاك حمل الدور النهائي، ورسم صورة مثالية لحضوره الديني، ومركزه الاجتماعي.

المكون النفسي لصورة (الفقيه، أو المعلم) في السيرة الذاتية

الكاتب	صورة الفقيه في السيرة الذاتية	البعد النفسي لمكون صورة الفقيه
عبد الله القويري	هو الكاتب الليبي الوحيد الذي لم يدرس في الكتّاب، بل درس في المدارس، وربما يرجع السبب في ذلك إلى الوسط المصري الذي يعيش فيه، وربما لأسباب أخرى لم يذكرها الكاتب، لكنه نوه إلى أن الوالد أدخله المدرسة ليستطيع القراءة والكتابة ليس إلا. "أبي عندما أودعني المدرسة لم تكن غايته غير أن أستطيع الكتابة والقراءة لأستطيع مساعدته في أعمال التجارة". "توفيق الحكيم" "غبريال أفندي" ص: 19، 23، 24. "كان أستاذي في الحوار "توفيق الحكيم" ولاشك، ثم تمردت عليه، لكن قربه مني كإنسان جعلني ذلك التلميذ المقر بالفضل". "المدرس دليلي، لم يكن المدرس بالنسبة لي هو الآمر الناهي المتسلط، بل كان هو القادر على المدح والعطاء، ولم تستطع عصا "غبريال أفندي" مدرس الحساب أن تجعلني أتصور المدرس في غير هذه الصورة".	نلاحظ أن الكاتب عبد الله القويري كان مغرماً بالاطلاع والدراسة رغم عدم تشجيع العائلة وخصوصاً الأهل . لذلك نجده يثني على من علمه ولم نلحظ في سيرته انعكاساً سلبياً لصورة المعلم أو الكتاب، بل كان شغوفاً بحب الاطلاع، حتى المدرس الذي كان متشدداً في التعامل معه ويستخدم وسائل التأديب كالضرب بالعصى، لم يغير ذلك شيئاً في نفسيته؛ لأن حب العلم كامن في نفسه.

الكاتب	صورة الفقيه أو المعلم في سيرة الذاتية	البعد النفسي لمكون صورة الفقيه
كامل حسن المقهور ص:31 ص:31 ص:31	(الفقيه أحمد) "ذلك الضرير الذي جعل القرآن بصره وسمعه...وترتيله..أذكر أنه كان يتحسس رأسي...كان يهابه االجميع... وكنت أحبه". (الشيخ الجنزوري) "كان الشيخ (الجنزوري) الأعمى (البصير) يتربع داخلي وهو يتلو الشعر ويقرأ النصوص وكأنها مشكلة أمام عينيه". (الشيخ حورية) "أذكر أنه كان يتحسس رأسي ...كان يهابه الجميع وكنت أحبه".	شخصية المعلم عند (حسن كامل المقهور) جسدت صورة المعلم الإيجابي؛ الذي كان يتصف بالحنان من خلال تحسس رأسه، والرأفة والعزيمة من خلال ذلك الشيخ الضرير .
أحمد نصر	(الفقيه سالم القويري) "..كان يعامل الطفل أحمد برفق ولين فهو صديق وسلف لجده، ويعرف مكانته في قلب أمه..."	كونه ينحدر من عائلة متعلمة فأبوه وجده وعمه كانوا يحفظون القرآن الكريم، كان لذلك الأثر النفسي والوقع الإيجابي على قلبه، فقد كان لتلك المكانة التي تحضى بها العائلة وسط المدينة من التقدير والاحترام الانعكاس المباشر حول تعليم الفتى الصغير وتيسير حفظه ومعاملته بالرفق واللين، ربما انعكس ومهد لولادة الأديب والحافظ لكتاب الله.

الكاتب	صورة الفقيه في السيرة الذاتية	البعد النفسي لمكون صورة الفقيه
أمين مازن	"...حين رزق الشيخ مولود الأول...ذهب إليه في بداية الليل مبشراً بالحدث ونشوة الفرحة، وحين تعرض الوليد لبعض أمراض الطفولة كان الكفيف يحرص على المرور بالبيت كل يوم...فإذا وجده باكياً أسرع لحمله بين يديه الساعات الطوال مردداً تلك الأرجوزة الأصمعية. ...وعندما بدأت مرحلة التكوين وأخذت الأسئلة تطرح... فقد كان الكفيف ... آخر موسوعة كاملة عن الأحداث وحجة لا تماري في قوله الحق.	كان لصورة الشيخ أو (الفقيه الكفيف) كما كان يعبر عنه انعكاساً إيجابياً في نفسية ذلك الطفل الذي فقد والدته في مقتبل العمر، فهو يعكس صورة الحنان والطمأنينة والسكينة في نفس ذلك الطفل الذي بدوره يحبه ويتودد إليه، فالنفس تميل لمن يحبها ومن يهتم بها، فهو كغيره من الأطفال يحبون من يعاملهم بالرفق واللين ويمنحهم الحنان والطمأنينة، والفقيه الكفيف توفرت فيه تلك الخصال التي جعلت من الطفل يتودد له ويسر لقربه فكوّن بذلك صورة إيجابية لصورة تلك الشخصية في طفولته.

ثانياً: الشخصيات المختلف على وجودها عند الكتاب

أما ما اختلف على وجوده فهي شخصيات كثيرة، كان لها الأثر الفاعل في طفولة الكتاب، ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال لا الحصر **(العم أحمد الصديق)** في **(الوقدات)** هذه الشخصية التي رافقت الكاتب في معظم تحركاته داخل السيرة ،نجده بمثابة المرشد لذلك الطفل، يرافقه ،ينصحه، يرشده وثارة يرعبه، "**أخرجوا جثتين مـن الابراهيمية**"، "**وأشار العم أحمد إلى مكانهما القريب على حافة الترعة**"[1] ..."**ابتعد لا تذهب إلى هناك**".

فوجود هذا الشخص في حياة الكاتب وطفولته عكس صورة الموت والقتل الذي كان منتشراً في صعيد مصر، متمثلاً في الأخذ بالثأر، فقد فتح أمام عيني الطفل الإحساس بالخوف، فعندما رأى تلك الحادثة يذكر ما اعتراه من الخوف حتى أصابته الحمى وبات طريح الفراش، "**وسرت أتبعه إلى البيت... ويخنقني الخوف والغثيان، وأرسي لم أستطع أن أقعده على كتفي، وضربتني الحمى**"[2].

وكذلك نجد من الشخصيات مَنْ عمّق الإحساس بالغربة ،وعدم الانتماء والتطلع للرجوع إلى موطنه الذي يحدثونه حوله، ويعكس حالة شعورية هيمنت عليه تتسم بالحزن والإحساس بالفقد واللوعة والغياب وعدم الانتماء، إذا ما اعتبرنا أن الكاتب ولد ونشأ في غير موطن أهله، شخصية **(العم إبراهيم)** الذي كان يجالسه أمام البيت.

---

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص: 33 ـ 34.

(2) المصدر نفسه، ص: 35، 44، 81.

"كان يجلس معي أمام بيتنا في الصيف يحدثني عن القطن والزرع وعن عمي الذي توفي في الحجاز [أنتم المغاربة واعرين]...الوعورة من طبعكم فانتم لا تقبلون ما تأتي به الأقدار"[1].

في حين نجد الكاتب **(كامل حسن المقهور)** في **(محطات)** قد خصص صفحات من سيرته للحديث حول **(مرسال)** و **(عاشور)** كمثالين متضادين للقيمتين من القيم الإنسانية التي ارتبطت بها طفولة الكاتب، فكان **(مرسال)** نموذجا عليه التعب والإرهاق وهو يعمل لسد قوت يومه، فنراه يجسد شخصيته قائلاً:

"كان يرتدي بنطالاً بدلاً من السروال وفانيلة تحول لونها إلى لون جلده، تنزرع على جسده الأسود الفاحم شعيرات بيضاء حتى على ساعديه وبعضهم يعتقد أن شعر ساقيه أبيض"[2].

أما (عاشور) الذي يمثل الشخص اللامبالي بمن حوله، مثالاً للأخلاق السيئة والعادات المنبوذة من قبل المجتمع، كتناول السجائر والنظر للمحرمات، لذا نراه يصفه قائلاً:

"ليس من رواد الحانة إلا أنه جزء لا يتجزأ منها، يرتشف في صوت مسموع تنشقات من بخار غير مرئي يتصاعد من أرضية الحانة، يتناول السجائر ويرفع حاجبيه، عمله في الحانة من العاشرة إلى قرب الصباح، ينظر إلى (لاورا) نظرات خاطفة من بعيد ...يغسل عالة الشاي..."[3].

---

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص:86، 90.

(2) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 89، 93، 94.

(3) المصدر نفسه، ص: 97، 99.

ونرى الشيخ **(أحمد نصر)** قد ذكر العديد من الشخصيات الذكورية التي كان لها دور مباشر في تشكيل ملامح طفولته، ومنها **(عاصي)** ذلك الفتى الذي تربى في كنف العائلة ،وهو بمثابة الابن للشيخ الكبير، وخاصة بالنسبة للطفل الصغير الذي كان يحبه ويتودد إليه ويحمله ويلاعبه، والطفل متعلق به أكثر من أفراد الأسرة نفسها، والدليل على ذلك تخصيص جزء لا بأس به من محطاته للحديث حوله من الصفحة (12) يبدأ الحديث حوله في مستهل محطاته ويستمر ذلك في عدة مواقع منها: ص 13، ص 24، ص 25، ص 45، ص 46، ص 51، فقد كان الابن **(عاصي)** أو العميل **(عاصي)**، صورة الابن الجاد المثابر المحب لعمله وأسرته، وقد انعكس ذلك على الطفل الصغير الذي كان يرافقه.

"**اقعد سأصنع لك خاتماً... تناول سعفة قص منها شريطاً يظفره، فقال أحمد: ساعة ـ ساعة وفرارة**"[1].

(1) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 46.

البعد النفسي لمكون لصورة المرأة في السيرة الذاتية

أولا: **البعد النفسي لمكون صورة الأم في السيرة الذاتية:**

عند الاطلاع على السير موضوع البحث نجد (صورة الأم) حاضرة عند كل وكاتب، وحضورها بتفاوت نسبياً، فمنهم من كانت صورة الأم حاضرة وبقوة في سيرته ،ولها ما لها من الأثر المباشر في تكوين معالم طفولته؛ مثل الكاتب (أحمد نصر) و الكاتب (أمين مازن) الذي فقدها عند ولادته، فهي الغائب الحاضر في نفسه، ومنهم من جعل من شخصيتها شخصية هامشية إلى حد ما؛ لندرة ما تكلم عنها وعن دورها في تكوين معالم شخصيته، وربما لأن الأم مهمشة في واقع الكاتب الذي يحيا فيه ،وواقع الكاتب ككل، فهي الضعيفة مسلوبة الحقوق.

فما أسباب هذا التغيّب؟ وما هي ملامح هذا الحضور؟ نجد إجابة كل ذلك من خلال عرض صورة الأم لدى كل كاتب.

الكاتب	البعد النفسي لمكون صور الأم
الكاتب عبد الله القويري ص32: "عندما كنت في الصغر كانت أمي تمسح رأسي بزيت الزيتون مستنجدة بسيدي عبد السلام الأسمر".	يتضاءل دور الأم نفسياً، ولا نكاد نجد لها سوي صورة واحدة ،وهي مسح رأس طفلها بزيت الزيتون والدعاء له والاستنجاد بالأولياء الصالحين، وكأن دورها اقتصر على ذلك، وكأن سجلها العاطفي اقتصر على ذلك، ودورها التربوي والتعليمي للنهوض بشخصيته قد غيّبت تماماً، لسبب.

الكاتب	البعد النفسي لمكون صورة الأم
الكاتب كامل حسن المقهور، ص: 144 ـ 146. "لم تمتد صلتي بوالدتي إلى أن بلغت العاشرة أو قبلها بقليل، عرفتها سيدة لا تراها خارج البيت إلا لماماً ،من صلاة الفجر حتى آذان العشاء تدور في أرجائه ... لا أعرف منها لغواً أو لغطاً وتلك كانت أمي (صالحة) "	هي هنا مجرد أم لها دور محدود في حياة الكاتب، ولا تحمل في تصرفاتها أو أقوالها ما يشير إلى شخصية عميقة، فصورتها غائبة تماماً، وتصرفاتها اقتصرت على تصرف يتم لا أمل له، فهي ليست شخصا أو شخصية عميقة ،بل هي مجرد رمز لفكرة الأمومة في معناها الأساسي.
الكاتب أحمد نصر، ص: 10 ـ 11، 15، 19، 94 ـ 95. "**الوالدة آمنة الشتوانية**" تلقفته أمه بين دراعيها وهي تردد في هلع يابن شتوان... يابن شتوان أسرعت إلى قعر الغرفة، وهو متشبث بعنقها، اندست به تحت السدة ،وشفتاها لا تفتر تلهج بذكر جدها.	صورة الأم المثالية الصابرة التي تحرص على تربية ابنها بطريقة صحيحة، وتعاني من أجل ذلك، ذات الشخصية القوية التي رغم انشغالها بتدبير شؤون البيت وتعاستها وقسوة الحياة المحيطة بها فإنها تؤثر في حياة أبنائها بشكل إيجابي وكبير ولها صوتها الخاص في سيرة الكاتب، وواقعها في تكوين شخصية ومعالم طفولته خصوصاً.
الكاتب (أمين مازن) **ـ (زهرة والدته)** يكاد لا نلتقي بصورة الأم التي فقدها الكاتب منذ ولادته إلا بعد 70 صفحة من سيرته؛ ولعل هذا البعد له أسبابه ونلتقي بها في قوله: "لقد داهم المرض زهرة التي كانت في ريعان شبابها وقمة تألقها، وسعادة الشيخ بها...اعتقد البعض في البداية أن المرض قابل للشفاء ،وأن الابتسامة العريضة ستعود والجسد الغض سيزهو مرة أخرى"	معالم صورة الأم مفقودة لدى أمين مازن؛ لأنه فقدها منذ طفولته ؛وحتى ما كتب عنها في سيرته هو عن طريق الرواية، ولعل هذه هو سبب عدم ذكرها في بداية كتابته؛ لأن معالم صورتها ليست موجودة، فهو لا يذكر منها إلا ما روي له عنها، ونجده ذكرها في صفحة واحدة من سيرة ضمن ثلاثة أجزاء، فالأم بالنسبة له شيء مفقود، ولكن القريبة الجديدة التي تزوجها والده قدمت حنان الأم الذي أنساه تلك الراحلة، التي لا يذكر ولا يعرف سوى ملامحها.

الكاتب/ أمين مازن	البعد النفسي لمكون صورة الجدة في طفولة أمين مازن
جدته أم والده الحاجة "قنا" التي عوضت غياب الأم. ـ "فهي امرأة لا تعرف الدموع...ولكن الأم والمرأة الحديدية التي اعتادت أن تقرر فتنفذ وأن تؤمر فتطاع" ص: 88. ـ "لا تتحدث إلا وهي شديدة الثبات، صارمة الوجه، لا تغشى البيوت إلا في المناسبات المهمة" ص: 84. ـ "وإن تكن جدته لأبيه لم تترك أي فراغ في ذلك البيت فصار بذلك لا يطيق الذهاب إلى منزل الجدة الكبيرة إلا قليلاً؛ مفضلاً البقاء إلى جانبها باستمرار" ص: 78. ـ "ما من أحد معه في بيته سوى العجوز والصغير الذي تركته الأم المتوفاة... غدا يدرك بعض الأشياء" ص: 81. ـ "لقد ظل حفيدها يذكر ما كان يقدم إليه من احتياجات الطفولة التي لا تنتهي" ص: 104.	وفرت لطفله الجو الأسري؛ الذي تسوده مشاعر الدفء بين أفراد العائلة، هيأت له العيش في جو من المحبة والاحترام والاهتمام والاتساع العاطفي إلى حد ما؛ رغم حالة الفقر التي كانوا يعيشونها، فقد استطاعت بحكمتها ورجاحة عقلها إلى جانب عطفها أن تعوضه فقد والدته وحزنه.

ثانياً: الشخصيات المختلف على حضورها عند الكتاب من خلال سيرهم:

من خلال تصنيف الشخصيات التي اتفق الكتاب على حضورها وبقوة في تكوين صورة الطفولة لديهم نلاحظ أن أغلبها من الوسط العائلي، من أسرة الكاتب: الوالد، والوالدة، والشيخ الفقيه، والجدة عند **(أحمد نصر)** و **(أمين مازن)** فهي مكون أساسي ،وشخصية ثابتة مؤثرة لدى كل منهما، أما من اختلف على وجودهم ولهم الأثر المباشر في نفسية الكتاب ونلتقي مع السيدة الكبيرة في السن **(خالتي الشعالية)** ص 14 ـ 15، التي كانوا يقصدونها للتداوي بالأعشاب والحجامة والكي في المجتمع الذي كان يعيش فيه **(عبد الله القويري)**، وكما هو معروف أن تلك المرأة أثرها السيء على نفسية الأطفال بصفة عامة ووجودها يترك انطباعا سيئاً للغاية في نفسية الطفل، فهي انعكاس للخوف والألم والقرف والمرض لدى الأطفال.

"**طلبت مني أن أفتح فمي وما أن فتحته حتى تفلت فيه...ولا أذكر أنه قد انتابني قرف من ذلك**"[1].

أما **(أم حسين)** التي جمعتها و **(كامل حسن المقهور)** الغربة نجدها تعكس في نفسه مشاعر الحب والانتماء والأمان الذي كانت توفره له **(أمه صالحة)** فقد عوضته عن أمه في الغربة.

"**تدخل أم حسين على مهل تخلع ملايتها، تمد ساقيها أمامها، وتبدأ الغسيل...تناجي نفسها عن (حسين) الذي غيبوه في الصحاري...حاولت أن أستعيض بها عن أمي صالحة**"[2].

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص: 14 ـ 15.

(2) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 183 ـ 184.

أما الشخصية التي مثلت ما يمكن أن نطلق عليه الشخصية المتحررة هي شخصية **(لوزة)**؛ التي تختلف تماماً على ما كانت عليه النساء في منزله وشارعه وبلدته، فهي تمثل انعكاسا نفسيا لمشاعر مندسة؛ رفض الكاتب من خلالها ما عليه نساء بلدته، أمثال أمه وجدته ووالده أيضاً؛ لأنه يعتبره السبب في العبودية وعدم التحرر من القيود بالنسبة له؛ لأنه عدها قيوداً وإن لم يصرح بذلك، فكان لهذه المرأة أثرها في تكوين معالم طفولته المتأخرة.

"**تحمل حلة بها مأكولات...كانت تتكأ متى دخلت الشقة، ثم ترفع الكلفة حتى ليسمع الجيران ضحكتها...وكانت ضحكاتها أصفى من ماء الجدول**".[1] فالكاتب يصف الضحك هنا بأنه كان بصوت عالٍ بما هو ليس أهلاً له "**أصفى من ماء الجدول**" دليل على أن النفس تحبذه.

"**(لوزة) حليب من القشدة مخلوط بلون القمح الاسمر، لا تلبس ملاية ولا تضع برقعاً على الوجه...تسوي شعرها على مرآة الحائط...تتطاول في الكلام**"، ويعقب بقوله: "**لو رأتها أمي صالحة لنهرتها ولو اطلع على مسلكها الحاج حسين لطردها ولو شاهدها الحاج عمر لجلدها**" ولكنه يعقب على ذلك بقوله: "**والحق أني كنت أشتاق لمواعيدها...دخلت عالمي الخاص وأصبحت جزءاً منه**"[2].

ما الذي جعل الكاتب يتعلق بها، ويدخلها عالمه الخاص؟ أكانت تعوضه أمه وأخواته في بلد الغربة؟ أم أنها جسدت ما يتوق للحصول عليه في بلده ويرفضه مجتمعه؟ أم أنها متنفس لرغباته التي يستحي منها ويحاول إنكارها؟ فقد رسمت شخصية **(لوزة)** صورة التحرر الذي تحبه نفسه، ولا تقيده قوانين مجتمع ولا أحكام دين.

---

(1) المصدر السابق، ص: 185.

(2) المصدر نفسه، ص: 185 ـ 186.

وهكذا نجد أن أغلب الشخصيات الأنثوية في السيرة تحمل دلالات إيجابية، رغم ندرة الشخصيات النسوية التي ذكرها الكتاب في سيرهم، فقد حصروا شخصياتهم في الوسط الأسري؛ متمثلاً في الأم، وعند تحررهم من هذا الوسط في كتابتهم نراهم يتحدثون حول شخصية أو اثنين ،ولا يتعدوها، وهذا هو الطبيعي، فالطفل تنحسر علاقته في مرحلة الطفولة بوالدته وأخواته وجدته والأطفال الذين يقضي الوقت بصحبتهم إذا كان ثمة بنات بينهم، فهو مقيد العلاقات، ولم تتسع دائرة علاقاته بعد.

من خلال ما سبق طرحه يمكن الخلوص لما يأتي:

ـ أن **(الأب)** في الأسرة المتعلمة في سيرة **(أحمد نصر وأمين مازن)** يمثلان فارقاً في حياة الكاتب وطفولته، فشخصية الأب تقدم بشكل مختلف تماماً على شخصية الأب التاجر غير المتعلم مثل ما في سيرة **(عبد الله القويري وكامل حسن المقهور)** فعبد الله القويري يحول والده كرمز للشر، يؤرق تقدمه وتعليمه، ولغته جافة، وألفاظه عنيفة تعتريها الغلظة، ولا يعرف للود والتشاور سبيلاً؛ خلافاً لغيره من كتاب السيرة، ولكن مع ذلك هناك ما يجمع بينهم كون الأب هو القائم على الأسرة ،وكون الأسرة في المجتمع الليبي أسرة أبوية بالدرجة الأولى، فصوت الأم مغيب تماماً، ولم تحضر في السيرة سوى صوت عاطفتها، فالأب هو الشخصية الأساسية التي تأمر فتطاع وعلى الأم والأطفال الخضوع التام له، الأب هو الذي يخافه الطفل ويخشاه؛ مما يبعث الكآبة في نفسه، ولا يستطيع تنفس الحرية التي يطمح لها إلا في غيابه، فدائماً العلاقة بينهما تفتقر للدفء، ومع ذلك لا يمكن أن نعد شخصية الأب سلبية في السيرة؛ بل نجد لها جوانب إيجابية تُغتفر، فالحزم هو الذي صنع من ذلك الطفل شيئاً يذكر.

في حين نجد شخصية **(الأم)** لينة لطيفة لدرجة الضعف وأحياناً نجد انعدام الشخصية وتغييبها غالباً عن كل الكتاب، فلم تذكر إلا في مقطع أو مقاطع بسيطة

لا تتعدى الأسطر، في حين نجد لشخصية **(الجدة)** الحزم والتدبير، والصوت المسموع الذي لا يرد، فهي أقوى شخصيةً من **(الأم)** في البيت الأسري الليبي، فهي الآمر الناهي؛ كما في سيرة **(أحمد نصر و أمين مازن)** في حين نجدها في سيرة **(عبد الله القويري و كامل حسن المقهور)** قد غيّبت تماماً ولم تذكر الجدة في سيرهم، وتنحصر وظيفة الأم في تنشئة الأبناء وتدبير الحياة في البيت، بينما الأب هو الأكثر بروزاً وتأثيراً في معظم الأحوال، من هنا نجد أن شخصية الأب هي السائدة والبارزة في السيرة الذاتية الخاصة بمرحلة الطفولة في الأدب الليبي، فالأبآء هم الذين يحتلون وسط المسرح ومجريات الأحداث أكثر من الأمهات، فصورة الأم غالباً منقهة ومنمقة مع تجنب الزوايا السلبية.

البعد الاجتماعي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية

بما أن الدخول للعالم الداخلي للشخصيات وتصوير أبعادها النفسية التي أثرت بشكل من الأشكال في تكوين معالم الطفولة عند الكتاب، فمما لا شك فيه أن هناك "علاقة تبادلية بين السيرة الذاتية الخاصة بالطفولة والخلفية الاجتماعية للكاتب"[1]، أي ان هناك مزيجاً بين الداخل (الهوية النفسية) للكاتب والخارج (الظروف الاجتماعية) التي عاشها الكاتب؛ وهذا المزيج هو الذي صنع الكاتب الذي بدوره كتب سيرته، فعندما ندرس العلاقة التي يكونها الكاتب مع الآخرين نتمكن من الوصول إلى صورة الحياة التي كان يعيشها في هذا الوسط ومع هؤلاء الأشخاص، إذاً فإن إثبات صورة الطفولة لا يتأتى إلا عندما يدون الكاتب مجريات الأحداث التي تحدث في واقعه الاجتماعي؛ ليدعم بها مكونات سرده، وعن طريق ذلك يتمكن القارئ من الولوج إلى عالمه الداخلي أيضاً "فمعنى ذلك أنه يتناول تناقضات الكيان الداخلي أيضاً"[2]، والواقع الاجتماعي المتمثل في البعد الاجتماعي لدى الكتاب ينحصر في جرد الوقائع الاجتماعية التي أثرت بشكل أو بآخر في تكوين معالم الطفولة، وهذا سبق الحديث عنه في الفصلين السابقين(المكان والزمان)، وأيضاً تحديد الحقل الاجتماعي والتاريخي المؤطر للأحداث، بحيث يمكننا الوقوف على ما يميز تلك الحقبة التاريخية وواقع الحياة الاجتماعية فيها، وحصر الفئات الاجتماعية المعينة، والقيم والأنساق الفكرية وبيان دلالاتها الاجتماعية والتاريخية، بحيث يمكننا الوقوف عند الشخصيات الداخلية التي تتحيز ضده؛ عن طريق سلوكها وأحكامها، والوقوف عند مكونات شخصية (الرجل) الاجتماعية المتكونة في الأب، والزوج، والفقيه وغيرها، ودرجة الاحتياج التي يمر بها الكاتب وهو طفل لهذه الشخصيات،

(1) في طفولتي، تيتز رووكي، ص: 292.

(2) المصدر نفسه، ص: 293

عن طريق دراسة مكوّنها الاجتماعي الذي نشأ بحكم علاقته بمجتمعه مع أن ذلك لا يعكس الواقع كما هو وبشكل خاص من أشكاله، فالعمل الأدبي المتمثل في السيرة الذاتية يعكس شكلاً من أشكال الواقع، ولا يعكس الواقع؛ كما هو وإلا لما كان العمل أدبياً ".إن العمل الأدبي لا يعكس الواقع كما تعكس المرآة العالم الخارجي، وإن جاز أن يشبه العمل الأدبي بمرآة فإنها في حالة مرآة خاصة، قادرة على رؤية النظام الكامن في الواقع، ثم عكسه إلينا مُكَثَّفاً خالياً من البعثرة الظاهرية لهذا الواقع"[1]، إذاً فالأعمال المطروحة لم تكشف لنا الواقع كما هو، بل كشفت لنا الواقع الاجتماعي في قالب أدبي، وخاصة ذلك الواقع الذي عاش فيه الكاتب طفولته، فلا يمكن مطلقاً كشف معالم ذلك الواقع كما هي، بل لا بد من إخضاعها للكتابة الأدبية؛ ليستطيع كتابة سيرته، وتدوين مرحلة طفولته، والظواهرالاجتماعية المنتشرة في مجتمعه، وانعكاساتها النفسية، كظاهرة (الغربة) مثلاً التي سبق وأن طرحت في فصل سابق ـ المكان ـ ومالها من انعكاسات اجتماعية كان لها الأثر المباشر في تكوين معالم طفولة (القويري) ورسم معالم سيرته وطبع طفولته بطابع الفردية التي تحدث عنها الأدباء، وأطلقوا عليها مصطلح (المونولوج الداخلي) "إن استخدام (مارسيل بروست) للمونولوج الداخلي لا يعكس نزعة فردية مغتربة فحسب؛ بل ينفذ إلى حقيقة على المجتمع الحديث، هي اغتراب ... ويساعدنا عمل (مارسيل) على رؤية الاغتراب بوصفه جزءا من واقع اجتماعي موضوعي"[2]، وبما أن الاغتراب والنزعة الفردية التي كان سبباً في تكوّنها يُعدان ظاهرة اجتماعية فإن هناك مشكلات اجتماعية جمّة تزخر بها السير العربية عامة والسيرة الذاتية للأدباء الليبيين خاصة؛ مثل كفاح المرأة ضد الظلم الذي لم نلحظه هنا، والمجتمع الذكوري، وترسيخ الخطاب الذكوري،

(1) النظرية الأدبية المعاصرة، تأليف: رامان سلدن، ترجمة: جابر عصفور، مج10، ع 1،2 ، فصول، مصر، ص: 181.

(2) المصدر نفسه، ص: 182.

وتهميش المرأة الذي كان حاضراً وبقوة في المجتمع الليبي آنذاك، وهذه هي أبرز الموضوعات العامة التي تميز الوضع الاجتماعي للمرأة والرجل في السيرة الذاتية في الأدب الليبي.

أولاً: المكون الاجتماعي لصورة الأب في السيرة الذاتية:

1 ـ **صورة الأب عند عبد الله القويري:** يلاحظ الأب العنيف أو المقصر أو غير المقنع هو النموذج عنده، "**كان يأخذني من يدي... ولفافة من منديل أبيض حول عيني... أبي عندما أودعني المدرسة لم يكن غايته غير أن أستطيع الكتابة والقراءة لأستطيع مساعدته في أعمال التجارة**"[1]، وربما يرجع ذلك إلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي المنخفض الذي تعيشه العائلة في الوسط المصري، فهو يمتهن التجارة والفلاحة، ولكنه غريب ومهدد دائماً بالرجوع، فربما يرى من طفله أنه غير مهيىء لتولي المهام والمعيشة الصعبة، فرأى تهيئته لتولي ذلك عن طريق الضغط عليه والعنف وعدم استخدام اللين، فصورة الأب تبرزه كمستبد وظالم ويرجع السبب في ذلك إلى الجو الاجتماعي للأسرة المغتربة إلى حد ما، وربما يرجع السبب في ذلك إلى المستوى التعليمي لدى الأب، فهو غير متعلم، ولم يذكر أن في الأسرة من الرجال من هو متعلم، فمن الطبيعي أن يكون رد فعله على هذا النحو وشخصية جافة وجاحدة ومعترضة على التعلم الذي يطمح له الطفل، إذاً فصورة الأب المتسلط عند عبد الله القويري يمكن إرجاعها إلى :

1 ـ تدني الوضع الاجتماعي الذي يعيشون فيه (الفقر).

2 ـ الاغتراب عن الوطن الذي جعل منهم أكثر حرصاً على جمع المال لضمان الحياة الكريمة.

3 ـ المستوى التعليمي غير المؤهل، الذي عليه صورة الأب، حيث لم يذكر أن والده من المتعلمين لا في الكتاب ولا في المدرسة التعليمية.

فصورة الأب عند (القويري) سلبية؛ مهما كانت شخصيته الحقيقية.

---

(1) الوقدات،عبد الله القويري، ص: 146.

2 ـ **صورة الأب عند كامل حسن المقهور**: نجد علاقته بوالده علاقة متناقضة، فهو يُكن له الحب والإعجاب كمعلم وعالم دين ورب أسرته "**ووالدي ذلك الربع بشعره الحليق وشاربه الأبيض، يطوف المحلة في ثيابه البيضاء الناصعة... ولكن الشياطين تسكن حين يهز الشارع بعصاه**"[1].

"**ووالدي حيث يجلس يحيط به جمع يتعدى في بعض الأحيان الخمسة من وجوه المحلة... يتداركون أموراً جمة وينسون هموم الأيام... ولا يخرج أغلب المترددين إلا راضيا وما زال بعض من يتامى المحلة يدعونه أباهم**"[2].

ومن جانب آخر ينكر عليه تفضيل شقيقه عليه مما زرع في قلبه شيئاً من الكره له، رغم أنه لم يصرح بذلك إلا أن ذلك يمكن أن نلمسه بوضوح بين كلماته؛ كاستفتاح المحطة الخاصة بوالده ووالدته بالشيخ ... صالحة والحاج مشيراً إلى علاقة الشيخ القوية بوالده ووالدته "**كانت والدتي وهي تراه يعمر البيت، ويعبر الشارع تتابعه بنظراتها التي لا تشبع منه، ولازالت، ولن تزل تحلف برأس الشيخ حمد ... وذلك قسم لم نجد له بديلاً حتى ماتت بعده!**"[3] فقد ختم المقطع بعلامة تعجب (!) وهذا استنكار لفعل والدته، ونجده يذكر لوالده قوله: "**يحكي في دكان (سي عبد المجيد) عن أنه سوف يكون له بمصر الولد بعد الآخر، سوف يجعل من أدمغتهم الخاوية هاته مركزاً للعلم، والعلم لا مستقر له إلا الجامع الأزهر ومصر أم الدنيا! وكان الحاج بذلك يغطي عن غصة إذ لم يستمتع إلا قليلاً بابنه العائد**"[4]، فقد اصطلح الابن على ما بقلب والده من حرقة لفقد ولده وإرساله للدراسة بالأزهر، فهو

---

(1) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 146.

(2) المصدر نفسه، ص: 147.

(3) المصدر نفسه، ص: 142.

(4) المصدر نفسه، ص: 147.

ينكر عليه ذلك ويتخوف لفقد والده ووالدته وينكر استئثار الأزهر بالعلم، إذاً فهو ينكر الغربة في هذه المرحلة من عمره.

إذاً فشخصية (الحاج) والده تحمل بعداً اجتماعياً إصلاحياً تربوياً؛ متمثلاً في المتفقه دينياً، ذا الصوت المسموع من قبل الوسط الذي يعيش فيه، الملتزم خلقياً، المحب للعلم الأزهري أو التعليم الأزهري، كما تحمل أيضاً صورة الأب القاسي الذي يحدد له مستقبله ومصيره، وخاصة فيما يتعلق بانتسابه للأزهر، مما كان الأثر السلبي على تكوين شخصيته.

3 ـ **صورة الأب عند أحمد نصر:** يبرز المضمون الاجتماعي لدى الكتاب في تكوين معالم الشخصية (الأب) الاجتماعية، فالمكون الاجتماعي لشخصية الوالد المحافظة المتمثلة في الخلفية الدينية المحافظة لكل أفراد عائلته، فالبعد الاجتماعي داخل البيئة العائلية المحافظة المتمثلة في الجد (عبد الرحمن) ، والوالد الشيخ (محمد)، والعم (الصديق)، فالشيخ (عبد الرحمن) الذي تبرز عنده أبعادٌ اجتماعية كـ "عدم الإيمان بطقوس التصوف الماعية أو الدروشة التي تصاحبها ورؤية لخاصية العلاقة بين العبد وربه، وموقفه السياسي الواضح تجاه أي داخل على أرض الوطن بأنه مصدر شر دائم، ولا يمكن الوثوق به، وهو يمثل الإنسان المكافح البسيط المتعلم"[1]، وكذلك نجد الشيخ (محمد) والده "مناضل سياسي ووطني في صفوف حزب المؤتمر يدعو للوحدة والاستقلال والتواصل مع المحيط القومي"[2]، هنا وفي تلك العائلة المحافظة المتدينة التي يغلب عليها الطابع الديني الملتزم والحس الوطني الواضح نجد شخصية (أحمد نصر) المتعلق بوضعه الاجتماعي الخاص، فهو أول الأبناء الذكور للشيخ (محمد) الذي رزق به من أرملة أخيه التي وجدت نفسها زوجة له وهو متزوج

(1) جدلة الذات والمرجعية في سيرة الأدباء الليبيين الذاتية، ص: 221.

(2) المصدر نفسه، ص: 221.

من اثنين، وأنجبت (أحمد) بعد عشر سنوات لتقطع بذلك سلالة البنات في العائلة وتنجب الابن الأول الذكر في عائلة الشيخ (عبد الرحمن) والشيخ (محمد)، إذاً فهو الطفل المدلل اجتماعياً الذي يحظى بالاهتمام والرعاية من قبل الأسرة كاملة؛ ابتداءً من الشيخ (عبد الرحمن) الذي يرى فيه امتداداً لوالده المتوفى، والجدة التي ترى فيه ابنها الذي فقدته ووالده الذي يرى فيه قطعاً لنسل البنات في ذريته، وهو على ما لقيه من مكانة اجتماعية مرموقة وسط العائلة وخارجها إلا أنه كان شديد التعلق بوالدته التي كانت تعاني من وضع اجتماعي خاص منذ زواجها من والده، فعلى الرغم من الالتزام الديني الذي كان عليه الشيخ إلا أن علاقته بوالدة (أحمد) كانت علاقة باردة لا يسودها الدفء والحب، ويمكن إرجاع ذلك لأنها كانت زوجة أخيه، ويرى أن زواجه منها واجب ليس إلا للحفاظ على بقاء نسل أخيه، وهذه العلاقة المهمشة بين الوالد والوالدة انعكست سلبياً على الطفل؛ الذي كان شديد التعلق بوالدته، فذلك يدعم فرضية "أن الثقافة الدينية التقليدية والعالم النسوي في مرحلة الطفولة قد شكلا بذرة الوعي وتمرد شخصية أحمد نصر"[1].

3 ـ **صورة الأب عند أمين مازن:** لكاتب يعيش في وسط اجتماعي خاص متمثلاً في الفضاء الصحراوي المتمثل في مدينة (هون)؛ تلك القرية الصحراوية التي تقطن الجنوب الليبي، هناك حيث النقاء الفطري لسكان الصحراء، وهنا يبرز والده الشيخ (مختار) مبرزاً دوره النضالي؛ حين يقول: "**الزوج الذي ملأ البلدة بعلمه وشهرته، وسر الأقربين بمكانته، وألجم الحاسدين بهيبته، وحسن قبوله وذلك الشيخ الممتلئ أملاً وحبوراً**"[2].

(1) المصدر السابق، ص: 222.

(2) مسارب، أمين مازن، ص: 97.

فالكاتب يحرص على رسم صورة مثالية لحضوره الديني وبيان مركزه الاجتماعي الذي كان يحظى به وسط المدينة من قبل الناس "**في هذا المسجد المتميز بموقعه في قلب السوق ولوجود عدد غير قليل من التجار الذين دأبوا على ارتياده ومجموعة من العلماء الذين وجدوا فيه حسن القبول الذي حظى به الشيخ**"[1]، فقد كانت له كلمة مسموعة والفتوى المأخوذ بها والرأي الراجح وسط القرية.

وتبرز صورة الأب المكافح لكسب الرزق وإعالة عائلته وسط أوضاع اجتماعية متردية يسودها الفقر والحاجة، فكانت صورة الأب المكافح الذي يسعى لتوفير الحياة الكريمة للأسرة، "**أخذ الشيخ في تلمس طريقه نحو العيش الهاني، وفي هذا الصدد آثر أن يسلك طريق الزراعة؛ بـــالنظر إلى أن الأسرة تمـــلك قسطاً وافراً من النخيل... والطريق لم يكن ميسراً نحو هذه الغاية المنشودة؛ بل تخللته بعض المصاعب والعراقيل**"[2]، لكنه تمكن بعد جهد وتعب ومشقة من النجاة بالعائلة من شبح الحاجة والفقر الذي يسيطر على المكان آنذاك.

"**وهكذا ازدانت فسحة العيش واختفى شبح الحاجة وسارت الأمور نحو الأفضل والأجمل**"[3].

فالكاتب (أمين مازن) من كتاب السيرة الذاتية الذي جسد المكون الاجتماعي والنفسي الإيجابي لصورة (الأب) المناضل، المتفقه في علوم الدين، القائم على إعالة أسرته، الحريص على تربية ذلك الابن الذي فقد والدته تربية نموذجية في حضن والده وجدته، التي تقاسمت مع الوالد أعباء الحياة ومشقاتها، فهو رسم للوالد الصورة النموذجية، ولا نكاد نلمس بُعداً اجتماعياً أو نفسياً سلبياً في رسمه لمعالم صورة والده.

---

(1) المصدر السابق، ص: 67 ـ 68.

(2) المصدر نفسه، ص: 69.

(3) المصدر نفسه، ص: 70.

ثانياً: المكون الاجتماعي لصورة الأم في السيرة الذاتية:

شخصية الأم الليبية سواء كانت أماً أو أختاً أو زوجة، هي المضحية الأولى بحياتها وسعادتها وراحتها من أجل أفراد عائلتها وأقاربها، وعلى وجه الخصوص غلبت صورة الأم في السيرة الذاتية تضحيتها لأجل أولادها، فهي في العموم تكرس معظم أوقاتها في السهر على راحتهم واستقرارهم، فلم تلق أهمية لنفسها ولمظهرها ولباسها وجمالها، فقد كانت مجرد آلة تعمل ليلاً ونهاراً، سعياً لإسعاد الآخر (الرجل)، ولضمان حياة كريمة لأطفالها، فمن خلال الاطلاع على الأعمال نجد أن المرأة الليبية كانت تعيش حياة بسيطة معدمة، آخر اهتماماتها فيها شخصية المرأة ومشاعرها وميولها، ومع كل تلك السلبيات فالكتاب لم يذكروا أمهاتهم إلا بالمعاني الإيجابية المثالية، والعلاقة بين الكاتب وأمه تكاد تكون وطيدة في مرحلة الطفولة، كما هي العادة في علاقة الطفل بأمه، وربما يكون ذلك هو السبب وراء الإيجابية المطلقة لصورة الأم في السيرة الذاتية الخاصة بالطفولة، فرغم سلبياتها نجد الكاتب ينكر عليها هذه السلبيات في ذكر مرحلة طفولته، فالأم وطن وإن كان محتلاً، ولكن رغم قوة هذه العلاقة التي تربط بين كاتب السيرة الذاتية وأمه إلا أن الكتاب لم يقدموا أمهاتهم بالنقد، فنقد الآباء وحضورهم أكثر من نقد الأمهات، فالرجل هو الذي يحتل وسط المسرح النقدي في السيرة الذاتية الخاصة بمرحلة الطفولة، وصورة الأم عادة منفتحة ومنمقة؛ مع تجنب الزوايا السلبية[1].

فالأم ليست من الشخصيات الرئيسة في حياة (عبد الله القويري)؛ لأنه غيّب تماماً حضورها الفاعل في حياته، وقيد ذكر أمه بصفحات قليلة من سيرته (ص: 33، 32، 14) وجعل حضورها مقتصراً على الخوف عليه، والاهتمام به، ولم يتعداه لغيره مطلقاً "**عندما كنت في الصغر كانت أمي تمسح رأسي بزيت الزيتون مستنجدة**

(1) ينظر: في طفولتي، تيتر رووكي، ص: 373.

بسيدي عبد السلام الأسمر فارس سعيدة، ولم يكن لديها من حول غير ذلك ... وتتركني أصارع الحمى بدعواتها..."[1]

"ومسحت أمي جبهتي وصدري بزيت الزيتون ولا أذكر كيف أخذني النوم مرة أخرى وحالة الرعب تهزني"[2].

"تلقفتني أمي لتأخذني بعيداً عن النار، وأبي جالساً ينظر مستغرباً حديثي عن الأرانب التي تملأ صدري"[3]. فالكاتب ذكر الدور السلبي لشخصية الأم في طفولته وعدم امتلاكها سلطة الكلمة حتى في الجانب الخاص بشفاء ابنها الصغير، **(ولم يكن لديها حول غير ذلك)**، **(تتركني أصارع الحمى)**، إذاً فشخصية الأم في طفولة الكاتب اقتصرت على تربية الأطفال ولا تتعداها لغير ذلك.

أما عند **(كامل حسن المقهور)** فقد أعطى للمرأة مساحة أوسع في السرد، نجد الكاتب نوّع في ذكر المرأة، فنجد إلى جانب الأم، (أم حسين، ولوزة) فقد كانتا شخصيتان حاضرتان بقوة في السرد وحضورهما يكاد يكون أقوى من حضور الأم، فالمقهور "يبرز عالم المرأة بوصفه قضية مهمة عنده؛ حيث انتقل بالقضية إلى أكثر من فضاء دلالي... تقدم لكشف منظومة القهر الاجتماعي، وكذلك إبراز البؤس الاقتصادي وكشف الواقع السياسي"[4]، فالقهر الاجتماعي وتخلف المرأة وتغيبها على الساحة الاجتماعية الخارجة على نطاق الأسرة تمثل في صورة الأم "**لم تمتد صلتي بوالدتي إلى أن بلغت العاشرة أو قبلها بقليل، عرفتها حينذاك، كما يجب أن أعرفها، سيدة لا تراها خارج البيت إلا لماماً من صلاة الفجر حتى آذان العشاء**

---

(1) الوقدات، عبد الله القويري، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، ص: 33.

(3) المصدر نفسه، ص: 32 ـ 33.

(4) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، ص: 173.

تدور في أرجائه، لا تعرف الاستقرار لا أعرف منها لغواً أو لغطاً، وتلك كانت أمي صالحة"[1]، وكذلك نجد الكاتب يسهب في حديثه حول نساء الجاليات المقيمة في ليبيا (اليهودية، المالطية، الإيطالية) ونجده يعقد مقارنة بينهن وبين المرأة الليبية المقهورة اجتماعياً، مقارنة بما عليه النساء المتحررات ـ في وجهة نظره .

نجده في حديثه حول زوجة المدير يقول: "**زوجته سمينة ناصعة البياض، لا تلبس الفراشيّة ولا تتبادل الزيارات، تزورها النساء للخدمة أو مصلحة، وكنت أعجب من عراء ساقيها وبياض بشرتها...**"[2]، فقد جعل المرأة في المحلة في مقارنة مع نساء الجاليات فقد صرح بأن الليبية محجوزة في البيت؛ بينما نساء الجاليات ترتاد الشوارع بلا غطاء ولا ستر وتزاحم الرجال، "**حماية اليهودية أنها نجسة، لها رائحة، وأنها محرمة، وأنها تقطر الخمور... حماية الإيطالية أنها فوق مستوى الإناث، وحماية المالطية أنها ترعى الماعز، ولا حماية للعربية إلا أنها محجوزة بجدار البيت**"[3].

إذاً نجد الكاتب ينكر عليهن الخروج وأنها في بيتها محمية مصانة، ولا حاجة لها بالخروج ؛كما هو الحال لدى نساء الجاليات اللواتي رأى أنهن لا خوف عليهن؛ فقد شبههن بالرجال فلا خوف عليهن "كأنهن رجال أو أشباه رجال"، ولم ير من حاجة لخروج النساء العربيات للشوارع ويقول: "**وما كان للنساء من سبب أو حاجة لارتياد شوارعها، سوى العجائز و (الدلالات) ودعيات الأفراح ،وربما بعض من**

(1) محطات، كامل حسن المقهور، ص: 144 ـ 146.

(2) المصدر نفسه، ص: 63 ـ 65.

(3) المصدر نفسه، ص: 62.

الندابات عودة لهن مما ينشغلن به"[1]، فقد صور الكاتب الواقع الاجتماعي الذي تعيشه المرأة الليبية المظلومة من جهة ،والمصونة المحفوظة من جهة أخرى.

ويذكر الكاتب شخصية أخرى إلى جانب (صالحة) والدته، شخصية تعرف عليها عند اغترابه للدراسة في مصر، ولكن لها من المشاعر ما يذكره بأمه و حنانها (أم حسين) "**تدخل أم حسين على مهل تخلع ملايتها، تمد ساقها أمامها وتبدأ الغسيل...تناجي نفسها عن (حسين) غيبوه في الصحاري... حاولت أن تستعيض بها عن أمي (صالحة)**"[2]، فأم حسين مثلت عنده صورة الأم في إدارة شؤونه في البيت المصري.

في حين نجد أن شخصية **(لوزة)** في مصر امتداد لشخصية نساء الجاليات في المحلة "**كانت تتكئ متى دخلت الشقة ثم ترفع الكلفة حتى يسمع الجيران ضحكتها... وكانت ضحكتها أصفى من ماء الجدول... لا تلبس ملاية ولا تضع برقعا على الوجه... تدور في الشقة كأنها تستوطنها... تسوّي شعرها على مرآة الحائط... تتطاول في الكلام... لو رأتها أمي صالحة لنهرتها، ولو اطلع على مسلكها الحاج حسين لطردها ولو شاهدها الحاج عمر لجلدها... والحق أني كنت أشتاق لمواعيدها**"[3]، ولكن هذه المرأة سجلت بعداً نفسياً تمثل في رغبة الكاتب في تحرر المرأة من القيود التي كبلها بها الواقع الاجتماعي في ليبيا، تلك الرغبة المدفونة التي لم يجرؤ على البوح بها في المحلة، وكان لمصر الدور في التصريح بها، فهو ينكر على المرأة الليبية شدة التعصب الذي يُمارس ضدها، ويتضح ذلك في قوله

---

(1) المصدر السابق، ص: 61.

(2) المصدر نفسه، ص: 183 ـ 184.

(3) المصدر نفسه، ص: 185.

أنهما دخلتا عالمه الخاص، رغم إنكار استحسان شخصيتها في المحلة، إذاً هو يميل إلى التحرر من قيود المحلة على المرأة.

وأما (**أحمد نصر**) فنجد أن الأم شخصية رئيسة في سيرته الذاتية، وذلك لأن الكاتب كان شديد التعلق بها وكذلك (آمنة الشتوانية) والدته كانت شديدة التعلق به، حتى أهملت ذلك الزوج الذي كان شديد الاهمال لها بخلاف زوجته، تلك الزوجة التي توفي عنها زوجها وتزوجها أخاه من بعده، فكانت هذه أولى التبعات الاجتماعية في حياتها، فزواجها من الشيخ لم يكن سوى واجب يتحتم عليه فعله، فلم نر في السيرة ما يشير لخلاف ذلك، وعندما رزقت بـ(أحمد) الذي قطع نسل البنات في العائلة وكان فرحة العائلة بقدومه، كرست حياتها للعناية به، وأهملت غيره "**يا سبحان الله الولد لا يأتي إلا من آمنة الشتوانية اليائسة من الإنجاب هذه المرأة لا تخلو من البركة**"[1].

"**فتشبث أحمد بأمه أكثر، دفن وجهه في صدرها وأغمض عينيه، ثم أحس بسخونة صدرها الراجف فارتخى إلى حجرها**"[2].

"**التفت البنات حولهما، زجرتهن الجدة ويدها مازالت تفتش في ثنايا ثيابها على ما ستخصه به، أحرجت المحاباة أمه، ولعلها لاحظت استنكاراً مكتوماً من ضرتيها، فهمت بسرعة إلى حجرها وأحضرت شيئاً من (الشاكار) طيبت به خاطر البنات**"[3].

المكون الاجتماعي لصورة الأم في (أحمد نصر) كوّن صورة إيجابية للأم التي تقوم على رعاية طفلها وتحميه من الظروف البالغة الصعوبة؛ كالمرض وغيره، وقد كانت مصدراً رئيساً للقصص التي كانت ترويها له عند نومه إلى جانبها على

(1) المراحل ، أحمد نصر، ص: 15.
(2) المصدر نفسه، ص: 10.
(3) المصدر نفسه، ص: 12.

(السدة)، إذاً فقد كانت مصدراً للمعلومات، رغم أنها تمثل مثالاً للأم الضعيفة المغلوب على أمرها.

بخلاف (الجدة) التي خصص لها مساحة أوسع في سيرته، فهي التي تدير شؤون العائلة من توفير الطعام والشراب والادخار لأوقات الشدة، والتي تخضع جميع نساء العائلة لأوامرها من نساء الحاج (محمد) زوجاته الثلاثة، وبنات ابنها (أحمد) المتوفى، وأطفال العائلة وعاملها (عاصي) فهي التي تجمع العائلة في المناسبات والوجبات والملمات، وتقدم الآراء، وتكون مطاعة من الجميع، "**كانت الجدة قد جالت محاضن الدجاج وأحضرت أكثر من (حارة) ثم أنشأت تنثر حفنة شعير وسط الحوش...كان طبيعياً أن يهتم الشيخ بالتقصير على الأسرة لاسيما وأن أمه البابا وهي المشرفة على تدبير البيت أكثر منه حرصاً في تدبيرها اليومي...**".

فشخصية الجدة في البيت الليبي طغت على شخصية الأم التي لا دور لها سوى رعاية أطفالها.

أما الكاتب (أمين مازن) الذي لم يعرف أمه فقد ماتت وهو في السنة الأولى من حياته، ولذلك فهو لا يذكرها بوعي كامل، إلا أننا نراها من خلال وصف الكاتب لها بأنها كانت طيبة ذات جمال وفرحة الشيخ بها وهي في ريعان شبابها ولكن لها الطيبة والحب والإخلاص، وهو يسرد ذلك عن والدته ويتخيل ظروف طفولته التي فقدها فيها ربما ليخفف عن نفسه الإحساس بالفقد الذي لحقه إثر وفاة والدته، إذ إنه مازال طيلة السرد ورغم حضور الجدة يفتقد أمه بشدة، "**لقد داهم المرض زهرة؛ التي كانت في ريعان شبابها وقمة تألقها وسعادة الشيخ بها... اعتقد البعض في البداية أن المرض قابل للشفاء، وأن الابتسامة العريضة ستعود، والجسد الغض**

سيزهو مرة أخرى وأن الموت لن يتمكن من اغتيال ذلك الشباب الفوار، والشخصية التي تمازح الجميع، وتدافع عما تعتقد أمام الجميع"[1].

في حين نجد صورة الجدة (قنا) التي تتمتع بالقوة والثبات والصبر والهيبة ورجاحة الرأي قد عوضت الطفل فَقدَ أمه، فقد كانت له أماً بدل أمه المتوفية، وفّرت له الرعاية والأمان، في حين نجد أن الطفل يفتقد أمه رغم ما توفره له الجدة من الرعاية، فحدث فقد والدته أثر سلباً على شخصيته، فنجد جدته تحيطه بالعناية والرعاية ؛فكانت أنموذجاَ للمرأة القوية الصلبة الملمة بأمور الحياة والأمور الدينية.

"**قد ترملت في الأربعين، إلا أنها من حيث الهيبة تبدو لمن يراها أكبر من ذلك بكثير... واضحة الجدية، لا ترى إلا وهي منشغلة في شأن من شؤون، ولا تتحدث إلا وهي شديدة الثبات، لا تغشى البيوت إلا في المناسبات المهمة، ولا نتوقف أمام واجب المواساة في أي ملمة**"[2]، يصفها هنا بأنها امرأة تحملت مسؤولية عائلة كبيرة وقت الاحتلال في أواخر العشرينات ،رغم أنها وحيدة لوالدها الشيخ البشير.

فقد عكست صورة مغايرة للمرأة في الأسرة الليبية التي عادةً ما تكون مسلوبة الحق ومظلومة من قبل الرجل؛ نرى الحاجة (قنا) هنا أخذت مكانه تميزها في السيرة الذاتية، حيث غيرت تلك النظرة غير الفاعلة في المجتمع الليبي، فقد كانت الحاجة (قنا) فاعلة في الوسط الأسري، وفاعلة في المجتمع ككل، خرجت من البوتقة التي اتسمت بها المرأة الليبية من تغليب لعاطفتها على عقلها نجدها ترجح العقل، وتنفي العاطفة في تدبير شؤون العائلة المسؤولة عليها، فقد كانت كلمتها مسموعة من قبل أبنائها ونساء الأسرة والأطفال ومحيط القرية.

---

(1) مسارب، أمين مازن، ص: 76.

(2) المصدر نفسه، ص: 83 ـ 85.

يمكن تعليل خروج (أمين مازن) و(أحمد نصر) في رسم المكون الاجتماعي لصورة الجدة التي انفردا بذكرها في سيرتهما خلافاً (للقويري والمقهور) أن الجدة لا تمثل في المجتمع الليبي الأسري ما تمثله الأم، فصورة الأم على ما هي عليه حتى عند (أحمد نصر، وأمين مازن)، أما صورة الجدة فتختلف، فهي التي تدير أمور العائلة، وتحرص على جمعهم، وهي التي تربط أفرادها، وتسعى للعبور بهم إلى بر الأمان، فالجدة لها سلطة؛ بخلاف الأم المغلوب على حالها، وسلطتها تتجاوز الإناث إلى غيرهن من الذكور في العائلة الليبية.

الخـاتمـة

من خلال المراحل التي قطعها البحث في دراسة موضوع صورة الطفولة في السيرة الذاتية في الأدب الليبي الحديث، توصلت إلى

جملة من الاستنتاجات المتعلقة بالكشف عن صورة الطفولة في السيرة الذاتية؛ في كتابات الأدباء الليبيين الذاتية، والكيفية التي اعتمدها الكتاب في نسج صور طفولتهم، أو صورة هذه المرحلة الزمنية المهمة من حياتهم من خلال النصوص السيرذاتية، وذلك بإعطائها صبغة فنية وجمالية، والمنهجية المسيطرة أمكنتنا من الوصول إلى إبراز خصوصية هذا الجنس الأدبي وهذه المرحلة العمرية بالداراسة، والتي نجملها فيما يأتي:

1 ـ توظيف آليات السرد في إظهار جانب الطفولة في السرد السيرذاتي على اعتبار أن السيرة الذاتية جنس أدبي يدخل ضمن أجناس السرد الأدبي رغم اتفاقها مع الأجناس الأدبية المقاربة لها في نقاط، واختلافها عنها في نقاط، إلا أنها تدخل ضمن دائرة السرد العربي المعاصر في جنس من أجناسه، وقد تباينت الآراء في تحديد مفهومها كتباينها في تحديد الجنس واستقلاليته، ولكنها تلتقي جميعاً على اعتبارها جنساً مستقلاً بذاته؛ يعبر عن تجربة ذاتية، أو تسجيل روايةٍ ما عاشها شخص ما أو قص تاريخ فرد ما، أو استعدادي نثري.

2 ـ عنيت بدراسة المكان في السيرة الذاتية الذي يحظى بالواقعية والحقيقة التي تفتقدها الأجناس الأدبية الأخرى، وهذه الواقعية في السرد لا تفقده بُعده الإيجابي السحري التي تحظى به الدراسات الأدبية لجنس الرواية، فالمكان في السيرة الذاتية يتلبس بألوان النفس وهمومها لانعكاس تأثير المكان على نفسية الكاتب.

وقد تنوع الكتّاب في طرح خصوصية المكان في سيرهم:

أ ـ فالأماكن الدينية كان لها وقع إيجابي في طفولة الكتّاب، حتى وإن اعتراها التقصير وموورست بها طقوس تتعارض وتفكير الكاتب ومسلماته التي يؤمن بها.

فالمكان الديني في السيرة الذاتية يحمل بُعداً إيجابياً لدى الطفل في مرحلة طفولته، ولكن لا يخلو الأمر من وجود أبعادٍ سلبية؛ نرجعها إلى عدم الطمأنينة والاستقرار النفسي لبُعد الطفل عن محيط عائلته، فيرى في المكان ذلك الشيخ الذي اختطفه من أحضان العائلة ليرمى به في أحضان المجتمع والناس الغرباء، مما عكس نفسية غير مستقرة لدى القراء، خاصة وأن الطفل يُرمى في أحضان الزوايا الدينية وهو في مرحلة مبكرة من مراحل طفولته، فلا عجب من استنكاره لهذا المكان.

أما ملامح البيت فنجد من أولاه الأهمية على اعتباره المكان المؤسس لهذه المرحلة من العمر، فهو بيت الطفولة كما عند (أحمد نصر)، ومنهم من عبر به تماماً كما عند (المقهور)، ويمكن إرجاع وتعيب بيت الطفولة في سيرة (كامل المقهور) (والقويري) وإلى حد ما (أمين مازن) إلى اتفاقهم الفكري، وتحررهم من قيود الانغلاق، وانطلاقهم إلى أماكن مفتوحة، فالبيت وفق التصنيف النوعي يعد من الأماكن المغلقة.

إذاً يمكن الخلوص إلى أن المكان في السيرة الذاتية انقسم إلى قسمين، أماكن مفتوحة تمثلت في الشوارع والمدن والمدارس والأماكن الدينية من زوايا وغيرها، وأماكن مغلقة كالبيت وعدة أمكنة كالفضاء المصري الذي يعده القويري مغلقاً وفضاء القرية (هون) الذي يعده (الأمين مازن) كذلك، ومرده عدم تقبل هذه الأمكنة رغم انفتاحها، والتطلع للتحرر والخروج عنها، واستنكار النفس لها، فرغم انفتاحها حملت دلالات مغلقة بخلاف القاعدة.

تحدث الكتّاب عن بيئتهم من خلال رسم البيئة السيرذاتية زمنياً ومكانياً، ومدى نجاحهم في جعل المكان عنصراً حيوياً فاعلاً في العناصر السيرذاتية، وقد اكتسبت السير أهميتها من خلال قدرتها على تشكيل الفضاء السيرذاتي وصبغه بالصبغة النفسية والاجتماعية كما عند (أمين مازن، وكامل حسن المقهور).

3 ـ الزمن في السيرة الذاتية له خصوصية، فهو ذو خصائص نفسية مطلقة، نظراً لعلاقته بالذات، فالزمن يعد حاضناً لأحداث الذات في سياقها الواقعي، وزمن الماضي هو الزمن الذي تدون فيه الأحداث، وخاصة ما يتعلق بمرحلة الطفولة التي تعد مرحلة أحلام وتطلعات، أكثر من كونها حقيقة زمنية، فالزمن في السيرة الذاتية زمن نفسي فني في المقام الأول، بعيد عن صياغة الأحداث وفق منظور الذات، ومرحلة الطفولة تعنى بدراسة ارتداد مرحلة عمرية ماضية، واستحضار أهم أحداثها، إما تذكراً أو رواية في الغالب، فالطفولة تعد وسيلة تأسيسية لغايةٍ؛ هي تكوين شخصية الكاتب التي هو عليها، واسترجاع الأحداث المهمة في السيرة الذاتية الخاصة بمرحلة الطفولة، ينحى بالسرد نحو الإيجابية في استخدام الاسترجاعات المحببة لنفس الكاتب، بخلاف كون الحدث السردي هامشيا أو مأساوياً، فذلك ينعكس سلباً على سير مجرى السرد في السيرة الذاتية، ومرد ذلك إلى الزمن النفسي الذي يتحكم في مجريات السرد السيرذاتي.

4 ـ الشخصيات في السيرة الذاتية هي شخصيات حقيقية من لحم ودم، وتنتمي لما هو واقعي حقيقي؛ لا متخيل، وإن لوحظ عليها الخيال فربما يكون في رسم معالم الشخصية؛ لا في حقيقة وجودها، فالشخصيات في السيرة الذاتية شخصيات واقعية أضفى عليها الكاتب من خلال السرد بعداً فنياً يخدم رغباته وميوله.

5 ـ من خلال تتبع الشخصيات في العمل السيرذاتي الخاص بمرحلة طفولة الأدباء فإن الشخصيات تنقسم بحسب حضورها في السرد إلى إيجابية كان لها مردود إيجابي

في حياة الكاتب، وسلبية لم يكن لها ذلك المردود، أو لم تخدم السرد، وتميزت بالثبات وعدم الفاعلية لأسباب نفسية عند الكاتب؛ ترتبط بوظيفة تؤديها هذه الشخصية، أو حدث قامت به، أو عمل مورس ضد الكاتب في مرحلة طفولته، أو سلبية مفرطة وعدم إيجابية في حياته، وبالنظر إلى إحصاء الشخصيات الإيجابية فقد تقاربت الأعداد عند الكتاب مع غلبة الجانب الإيجابي على السلبي عند بعضهم، كما هو عند (أحمد نصر) مما جعلنا نسلّم بأن الكاتب (أحمد نصر) من أكثر الأدباء الليبيين الذين عاشوا مرحلة طفولة مشبعة نفسياً واجتماعياً، وأقرب ما يكون لما يجب أن تكون عليه الطفولة السليمة، وخاصة في تلك الحقبة الزمنية التي أقرب ما تكون للطفولة غير المكتملة نسبياً، والتي يسودها القهر والحاجة والحرمان، كما عند (القويري) الذي لم تلق الشخصيات الحق الكافي في سرده، وغلبت عليها انعكاس المكان على نفسيته؛ مما جعل الكاتب يهمل بناء شخصياته، معتبراً أنها في غربة كما هو الحال لديه.

6 ـ الدخول إلى العالم النفسي للشخصيات الفاعلة في طفولة الكاتب، وبيان الحالة النفسية والذهنية التي تكون عليها الشخصية، ومدى تأثير ذلك في تكوين معالم الطفولة وشخصية الكاتب، والمتتبع للشخصيات في السير يجد أن الشخصيات تنقسم بطبيعتها إلى قسمين لا ثالث لهما إما ذكورية تشمل الأب والشيخ وبعض الشخصيات الأخرى الحاضرة بفاعليتها، كالجد والأعمام. وإما أنثوية تمثل الأم والزوجة والجدة وبعض النسوة الفاعلات في الطفولة، ولكن أغلب شخصيات الطفولة لا تتعدى البيت الأسري، من الأم والأب والجد والجدة والأعمام، وإن خرجت فتنحصر في الفقيه والمعلم، وهذا ما تقتضيه دراسة شخصيات هذه المرحلة، والمتتبع للبعد النفسي لشخصية الأب في السيرة يجد أن صورة الأب حاضرة وبقوة، وتحمل في معظمها دلالة السلطة والتحكم والشدة، فالمجتمع الليبي ذكوري بالدرجة الأولى،

فصورة الرجل غيبت صورة الأم في السيرة الذاتية، وصورة الأم اقتصرت على البعد العاطفي النفسي، ولا نجد لها دوراً فاعلاً في المحيط الاجتماعي الخارج عن نطاق الأسرة وتربية الأطفال، ورغم ذلك نجد الكتاب رغم عنايتهم الواضحة ببيان صورة الرجل الأب والجد والعم والزوج إلا أن الطفل ينكر عليه الإيجابية في معظم السير، بخلاف المرأة الأم والجدة والأخت التي رغم غيابها الفاعل وعدم حضورها إلا أنها تحمل دلالات ايجابية في سير الأدباء الليبيين، ومرد ذلك أن الطفل يميل نحو والدته أكثر، ولذلك اكتست ثوب الإيجابية المطلقة في كل سيرهم.

7 ـ إنه من خلال دراسة مرحلة الطفولة والدور الذي تقوم به الشخصيات والزمان والمكان في تكوين معالم الطفولة تبين أن للشخصيات الدور البارز في تحديد معالم الطفولة، وخاصة شخصيات الكيان الأسري، والوسط التعليمي، بينما يحظى المكان بالمرتبة الثانية في تكوين معالم الطفولة، ويليه الزمن، ولكن يبقى لتضافرهما الدور الذي لا ينكر، ولكن الشخصيات؛ تبقى الأكثر فاعلية؛ لأننا بصدد دراسة مرحلة عمرية يكون فيها الطفل أكثر تعلقاً بالشخصيات بخلاف الزمن الذي يجهله، والمكان الذي سرعان ما ينسجم معه حتى في حال تبدله، وهذا ما نلحظه من خلال هذه الدراسة، فالزمن يعد فاعلاً مستتراً في تكوين معالم طفولة الكتاب، وتبقى الأحقية في ذلك متأرجحة بين الشخصيات الحاضرة وبقوة والمكان الذي تتواجد فيه الشخصيات.

فصورة الطفولة في السيرة الذاتية في الأدب الليبي لا تختلف عمّا عليه واقع الحياة بخصوص طفل يعيش هذه المرحلة المميزة من عمره، فقد كانت واقعية إلى درجة لا بأس بها في عرض المكان والزمن والشخصيات والأحداث الواقعة في تلك الحقبة الزمنية، رغم أن الكتاب غيبوا أحداثاً مهمة، إلا أن ما ذكر يفي بالغرض في الخلوص إلى أن الطفولة عند كتاب السير تكاد تكون متشابهة من حيث طبيعة المكان والفترة الزمنية، وحتى عرض الشخصيات وحضورها وانعكاساتها النفسية

والاجتماعية مع تفاوت بسيط عند كل منهم، نرده إلى المستوى الاجتماعي المرفه في ذلك الزمن عند (أحمد نصر)، وغربة المكان وسوء المعيشة عند (القويري)، وانفتاح فكري وتطلع للخروج من بوتقة المكان والشخصيات عند (كامل حسن المقهور)، والحياة وسط مكان صحراوي وبيئة تحتاج بدل الجهد والعيش مما ينعكس على صورة الطفول الجافة من المشاعر إلى حد كبير عند (أمين مازن) ولكن جلّ الأحداث والأماكن التي ذكرها الكتاب تكاد تكون واحدة وحتى انعكاساتها الاجتماعية والنفسية.

يمكن الخروج بنتيجة يشترك فيها جميع كتاب السيرة الذاتية في الأدب الليبي، مفادها أنهم لم يذكروا كل ما حدث معهم بل كانت كتاباتهم انتقائية، مع إغفال الكثير من الأحداث الخاصة بمرحلة طفولتهم، ويرجع السبب في ذلك أنهم يذكرون ما تستدعيه الذاكرة، أو يروى لهم مشافهة في حين أن الذاكرة لا يمكن أن تستدعي كل ما يحدث مع الإنسان في هذه المرحلة .

و كذلك فإن التأثيرات النابعة من العادات والتقاليد والدين يحتم على المجتمعات الشرقية عدم البوح بكل ما يحدث للإنسان عند كتابة سيرته الذاتية ويكتفي الكاتب بالإشارة إلى تلك الأحداث؛ دون التصريح بها؛ على عكس المجتمعات الغربية؛ التي لا توجد لديهم هذه التحفظات عند كتابة سيرهم و هذا ما اتفق عليه جميع كتاب السيرة الذاتية في ليبيا عند الكتابة حول مرحلة طفولتهم .

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر.

1) محطات، كامل حسن المقهور، دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، د ت.
2) المراحل حياتي أرويها، أحمد نصر، ط1، 2007، منشورات الشعب للنشر والتوزيع.
3) مسارب، أمين مازن، منشورات مازن، 1998.
4) الوقدات، عبد الله القويري، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د.ط) 1984.

تانيا: المراجع العربية :

1) أدب السيرة الذاتية عبد العزيز شرف، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر، ترجمان السيرة الذاتية في الآداب الغربية إصدارات 1998.
2) أصداء دراسات أدبية فكرية، عناد عزوان، جامعة بغداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
3) الاقتلاع من المكان، دراسات في دلالات المكان وتشكله، نهى أحمد أبو سديرة، دار الثقافة والإعلام، الشارقة 2003.
4) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004.
5) بنية الرواية، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1984.
6) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1990.

7) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991.
8) جدلية الذات والمرجعية في سير الأدباء الليبيين الذاتية، حسن أحمد الأشلم دار الكتب الوطنية، بنغازي ـ ليبيا، ط1، 2015.
9) الحلم والرمز والأسطورة، شاكر الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
10) الزمن الدلالي، كريم حسام الدين، ط2، دار غريب، القاهرة، مصر، 2002.
11) الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، 2004، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.
12) الزمن في الرواية المعاصرة، مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998
13) السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.
14) السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان، وجبرا إبراهيم جبرا، إحسان عباس أنموذجا، تهاني عبد الفتاح شاكر، الأردن، ط1، 2002.
15) السيرة الذاتية في الأدب الليبي، نعيمة العجيلي، كتاب شؤون ثقافية، (د.ط) 2010.
16) الفن الأدبي أجناسه وأنواعه، غازي يموت، دار الحداثة، ط1، 1990.
17) فن السيرة، إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، دار الشروق، ط1، 1996.

18) في الأدب الحديث ونقده، عماد على سليم الخطيب، دار المسيرة، ط1 ، 1430 ،2009.

19) قراءات نقدية في الرواية العربية، إبراهيم الفيومي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2001.

20) الكاتب العربي ما بين السيرة الذاتية والسرد السيرذاتي، هويدا صالح، ديسمبر 2008.

21) مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي، جميل شاكر.

22) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.

23) المعجم المفصل في الأدب، محمد التونج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1419هـ، 1999.

24) المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، دار ابن هاني، 1989، د ط.

25) الواقعية في القصة الفلسطينية القصيرة عام 1969 ـ 1993، رفعت أحمد شناعة، دار المواسم، ط1422,1، 2001.

ثالثا: المراجع المترجمة .

1) أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، بول ميسن، جون كونجر وآخرون، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1 1409هـ ـ 1986 .

2) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، فليب لوجون ، ترجمة عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 1994.

3) السيرة الذاتية جورج ماي ، تعريب محمد القاضي و عبدالله صوالة ، رؤية للنشر و التوزيع 2017 .

4) النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، ترجمة جابر عصفور، مجلة فصول ، مصر.
5) جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة غالب هليسا ،ط3، 1407هـ ـ 1987، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت.
6) خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون المجلس الأعلى للثقافة، ط2.
7) فن التراجم والسير الذاتية ، أندريه موروا ، ترجمة أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة 1999 .
8) في طفولتي، دراسة في السيرة الذاتية العربية، تيتز رووكي، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002.
9) قاموس السرديات، جبر الدبرنس، ترجمة السيد إمام، ميريث للنشر والمعلومات، القاهرة، 2003.
10) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ،رولان بارت ، ترجمة الدكتور منذر عياشي ، مركز النماء الحضاري للأعمال الكاملة 1993.

رابعا: الرسائل العلمية .

1) بناء الشخصية في رواية (التبر)، إبراهيم الكوني، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن ضياف، 2014 ـ 2015.
2) بنية الخطـاب السردي في رواية شعلة المائدة لمحمد مفلاح، إعداد بن هشام، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014.
3) بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، سهام سديره، منتوري، قسطنية الجزائر، 2006.

4) بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، دراسة في ضوء المناهج الحديثة، شرحبيل إبراهيم المحاسنة، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2007.
5) الرؤيا والتشكيل في إبداع كوليت الخوري الروائي، رسالة دكتوراه، إعداد سهى محمد هايل موسى، جامعة مؤتة، 2009.
6) الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، وجدان يعكوب محمود، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية.
7) الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز، أطروحة دكتوراه، نجوى محمد جمعة البياتي، جامعة البصرة 1432هـ - 2011.
8) المكان في روايات عبد الرحمن منيف، مريم خلفان حمد، رسالة ماجستير، 1992.

خامسا: الدوريات.

1) بناء الشخصية في رواية (سوائح الصمت والسراب)، محمد قاسمي، مجلة علامات، 27.
2) بناء الشخصية في رواية (نجمة أغسطس) لصنع الله إبراهيم، خليل برويني وآخرون، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي و الفارسي ، ، العدد الرابع عشر، 2014/1393.
3) بنية الزمن في روايات شرفات بحر الشمال، واسني الأعرج، الأستاذة نصيرة زوزو، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة كلية الآداب واللغات ، العدد2 ،الجزائر2005.

4) البنية الزمنية في رواية (قبل البدء حتى) للروائي محمد بورحلة، صادق خشاب، مقالات الملتقى الدولي، عبد الحميد بن هنوقة للرواية، 15.
5) التحليل النفسي والأدب القصصي، أحمد أوزي، مجلة ثقافات، ربيع 2002.
6) تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، علي عبد الرحمن فتاح، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة صلاح الدين.
7) تقنية الوصف، مجلة أقلام الثقافية، عبلة عياد.
8) الحوار المتمدن، الشخصية الروائية، حنان علي www.mahewar.org 12 - 8 - 2013.
9) الشخصية في النص السردي، ثائر زين الدين، ملحق ثقافي، 2009.
10) الشرق والغرب في السيرة الذاتية، خالد الخشرمي، العربي، بيروت، 2013، http//www.almastaqbal.com
11) الصورة السردية في الخيال العربي، المغربي شرف الدين ماجدولين، classic.aawsat.com/details
12) طبيعة السرد في أعمال السيرة الذاتية عند يوسف شاهين، محمد عبد الرحيم، مجلة إلكترونية مستقلة متخصصة في قضايا وشؤون السينما والنقد السيميائي .
13) فورة الأجناس ورسوخ السيرة الذاتية في وجوه، محمد شكري، مجلة كتابات معاصرة، لبنان العدد52، المجلد13، 2004.
14) كتاب صورة الطفل في الأدب محمد جنادي 2017.
15) كائنات من ورق، الشخصية الروائية في روايات إماراتية، العدد السادس والثمانون من مجلة نزوى 2011.

16) المجلة الجامعية، العدد الخامس عشر، مج3، 2013.

17) مجلة كلية التربية 109، المجلد 21، العدد 89، 2015.

18) المكان الروائي ودلالاته، شرحبيل المحاسنة، 11 شباط 2012 shrhbeel19a@yahoo.com

19) المكان في السيرة الذاتية، دراسة عمر منيب إدلبي، أرشيف أدباء وشعراء، ومطبوعات 27/12/2009 .wwwstartimes.co

20) الوصف الروائي، سالم الحسيني، منتدى شظايا أدبية، www.shathaaya.com

21) وظائف الشخصية الروائية، على حسين عبيد، حول حنون مجيد مملكة البيت السعيد www.alforat.inforat.infolindex.paqe article @ id=2507

الملحق

التعريف بالكتّاب

ـ أحمد نصر:

الروائي والقاص أحمد نصر، من مواليد مصراته عام 1941، يعتبر من أعلام السرد في ليبيا، صدرت له مجموعة قصصية بعنوان: (تبعثرت النجوم)، وله أيضاً أعمال روائية منها: (وميض في جدار الليل)، ورواية (السهل)، وله أيضاً (المراحل)، وهي سيرة ذاتية من جزئين، نشرت أول أعماله في مجلة (الرواد) وكان يرأس تحريرها (أحمد إبراهيم الفقيه)، وكانت أول قصة له عنوانها: (الأنف).

ـ عبد الله القويري:

ولد عام 1930 بمحافظة (المنيا) بمصر، حيث كانت أسرته مهاجرة هناك، ودرس بمصر حتى المرحلة الجامعية، وتخرج من كلية آداب القاهرة عام 1955، نشر نتاجه الأدبي في (العمل والحقيقة وفزان وطرابلس الغرب والأسبوع الثقافي والإذاعة والصباح والفكر والقصص التونسية) وغيرها، من أعماله الأدبية (معنى الكيان)، و(كلمات إلى وطني)، و(الوقدات)، و(عندما تضج الأعماق)، و(الفرصة والقناص).

ـ كامل حسن المقهور:

كامل حسن المقهور (1935 ـ 2002) كاتب وقاص ليبي، وأمين (وزير) نفط أسبق، ومستشار قانوني، ودبلوماسي سابق، ولد في 1935 بمجلة (الظهرة) بمدينة

طرابلس، من أسرة ميسورة الحال، أتم كامل المقهور دراسته الابتدائية في مدرسة المحلة (مدينة الظهرة) سافر كامل المقهور صبياً يافعاً إلى (القاهرة) تحصل على درجة الليسانس في الحقوق عام 1957، سافر بعد ذلك إلى باريس في دورة تأسيسية، وبعد ذلك عاد إلى بلده، من إصداراته (14 قصة من مدينتي) مجموعة قصصية، (الأمس المشنوق) مجموعة قصص، (هيمنة القرون الأربعة) مقالات، (محطات) سيرة شبه ذاتية، (حكايات من المدينة البيضاء) مجموعة قصص، عن الثقافة وهموم الناس (منوعات) توفي سنة 2002؛ عن عمر يناهز 66 سنة.

ـ أمين مازن:

الأمين مختار مازن كاتب ليبي أحد مثقفي ليبيا وكتابها ذوي الحضور الملموس منذ ستينات القرن الماضي، ولد سنة 1937 عاش وتربى وتعلم في مدرسة (المختار)، والده المتدين المحافظ ، ورغم أن بدايته كانت بالشعر إلا أنه سرعان ما انحاز انحيازاً كاملاً للمقالة بفرعيها الأدبي والسياسي، سواء وهو يمارس النقد الأدبي عبر صفحات مجلتي الرواد والإذاعة أو صحيفة الميدان؛ التي تعد أقوى الصحف الليبية في حقبة الستينات، كان ضمن سبعة أدباء انتخبوا من طرف الجمعية العمومية التأسيسية لاتحاد الأدباء والكتاب في النصف الثاني من السبعينات، من أهم اصداراته (دوائر الزوايا المتداخلة)، (القصة في أدب عبد الله القويري)، (الشعر شهادة)، (كلام في القصة)، (دفء الكلمات)، (جبال السفن المقلعة)، (مسارب)، (ثلاثة أجزاء) (المولد).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
المقدمة	أ ـ د
الفصل الأول (تمهيدي):	
نشأة السيرة الذاتية في الأدبين الغربي والعربي:	1
ـ مفهوم السيرة الذاتية وأنواعها	2
ـ مفهوم السيرة الذاتية	3
ـ مشابهات السيرة الذاتية	6
ـ المذكرات	6
ـ اليوميات	6
ـ المقالة	7
ـ فن السيرة الغيرية	8
ـ الرواية	8
ـ نقاط الالتقاء والافتراق أو التناقض	10
ـ نقاط الالتقاء	10
ـ فضاء السيرة الذاتية	11
ـ نقاط التناقض	14
ـ السيرة الذاتية في الأدب الغربي	17
ـ السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم	20
ـ السيرة الذاتية في ما قبل الإسلام	20

ـ السيرة الذاتية في العصر العباسي	21
ـ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث	25
ـ بدايات السيرة الذاتية في الأدب الليبي	28
ـ تطور السيرة الذاتية في الأدب الليبي الحديث	30
الفصل الثاني:	
صورة المكان السردي في مرحلة الطفولة:	31
ـ مدخل نظري لدراسة المكان	32
ـ مفهوم المكان في السرد	33
ـ مفهوم المكان في السيرة الذاتية	36
ـ صورة المكان في البنية السردية	39
1ـ كامل حسن المقهور وتعدد المكان في البنية السردية:	39
أ ـ الزوايا والكتّاب	39
ب ـ ثنائية المحلة والمدينة	41
ج ـ صورة المدينة	48
د ـ انعكاس صورة المدرسة على طفولة الكاتب	51
هـ ـ الرحلة إلى القاهرة تجاوزاً للضيق واكتساباً للوعي	52
و ـ الأزهر والحسين	58
ز ـ الحسين وتخبط الأحاسيس	60
2 ـ أحمد نصر وسيطرة الوصف المكاني (مكان الطفولة):	62
ـ بيت الطفولة: البيت القديم وتداعي صورة الماضي	64
ـ التحول في المكان واستشعار الواقع	65
3 ـ الاغتراب وعلاقته بطفولة القويري:	68
أ ـ فضاء التكوين	69
ب ـ فضاء التصوير	70
4 ـ أمين مازن وتشكل فضاء النشأة والغزلة لديه:	73
ـ فضاء النشأة	73

ـ فضاء العزلة	74
الفصل الثالث:	
صورة الزمن السردي في مرحلة الطفولة:	77
ـ مدخل نظري لدراسة الزمن	78
ـ الزمن الموضوعي والزمن السيكولوجي	79
ـ الزمن الطبيعي (الموضوعي) و(الخارجي)	79
ـ الزمن السيكولوجي (النفسي)	80
ـ زمن القصة وزمن الخطاب	81
ـ الزمن في السيرة الذاتية	81
ـ الاسترجاع	83
ـ المعالجة التطبيقية لفكرة الزمن من خلال تناولها الكتّاب	84
1 ـ عبدالله القويري	85
ـ القويري زمن الغربة المتأصلة في الذات	87
2 ـ كامل حسن المقهور	95
ـ كامل حسن المقهور زمن الانسجام الاجتماعي والتوفيق بين الأزمنة	99
3 ـ أمين مازن	102
ـ سيكولوجية الزمن عند أمين مازن	105
ـ أمين مازن زمن الفقد	105
ـ الزمن المقاوم والزمن الديني في طفولة الكاتب	109
ـ الطفولة رمزاً للمقاومة	109
ـ تصنيف دليل لزمن الاسترجاعات الخاصة بمرحلة طفولة الكاتب	109
ـ سيكولوجية الزمن عند أحمد نصر	113
الفصل الرابع:	
صورة الشخصيات السردية في مرحلة الطفولة:	118

ـ مدخل نظري لدراسة الشخصيات، مفهوم الشخصية	119
ـ بناء الشخصيات في السرد، الشخصية الرئيسية والثانوية	122
ـ وظائف الشخصيات في السرد	124
ـ بناء الشخصيات في النص السيرذاتي، الشخصية الثابتة	125
ـ الشخصية الدينامية المركبة	126
ـ الأسلوب التقريري المباشر، الأسلوب التصويري	127
ـ الأسلوب الاستنباطي	128
ـ حصر شخصيات الطفولة وتصنيفها:	129
أولاً: الوقدات (عبد الله القويري)	129 ـ 133
ثانياً: محطات (كامل حسن المقهور)	134 ـ 138
ثالثاً: المراحل حياتي أرويها (أحمد نصر)	139 ـ 147
رابعاً: مسارب (أمين مازن)	148 ـ 153
ـ البعد التكويني للشخصيات في طفولة الكاتب	155
ـ البعد النفسي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية	157
ـ البعد النفسي لمكون صورة الرجل في السيرة الذاتية	157
ـ المكون النفسي لصورة الأب في السيرة الذاتية	158
ـ المكون النفسي لصورة (الفقيه أو المعلم) في السيرة الذاتية	160
ـ الشخصيات المختلف على وجودها عند الكتّاب	163
ـ البعد النفسي لمكون صورة المرأة في السيرة الذاتية	166
ـ البعد النفسي لمكون صورة الأم في السيرة الذاتية	166 ـ 168
ـ الشخصيات المختلف على حضورها عند الكتّاب من خلال سيرهم	169
ـ البعد الاجتماعي لمكون صورة الطفولة في السيرة الذاتية	173
ـ المكون الاجتماعي لصورة الأب في السيرة الذاتية	176
ـ المكون الاجتماعي لصورة الأم في السيرة الذاتية	181
الخاتمة	189 ـ 194

قائمة المصادر والمراجع	200 - 195
الملحق	201
فهرس الموضوعات	203